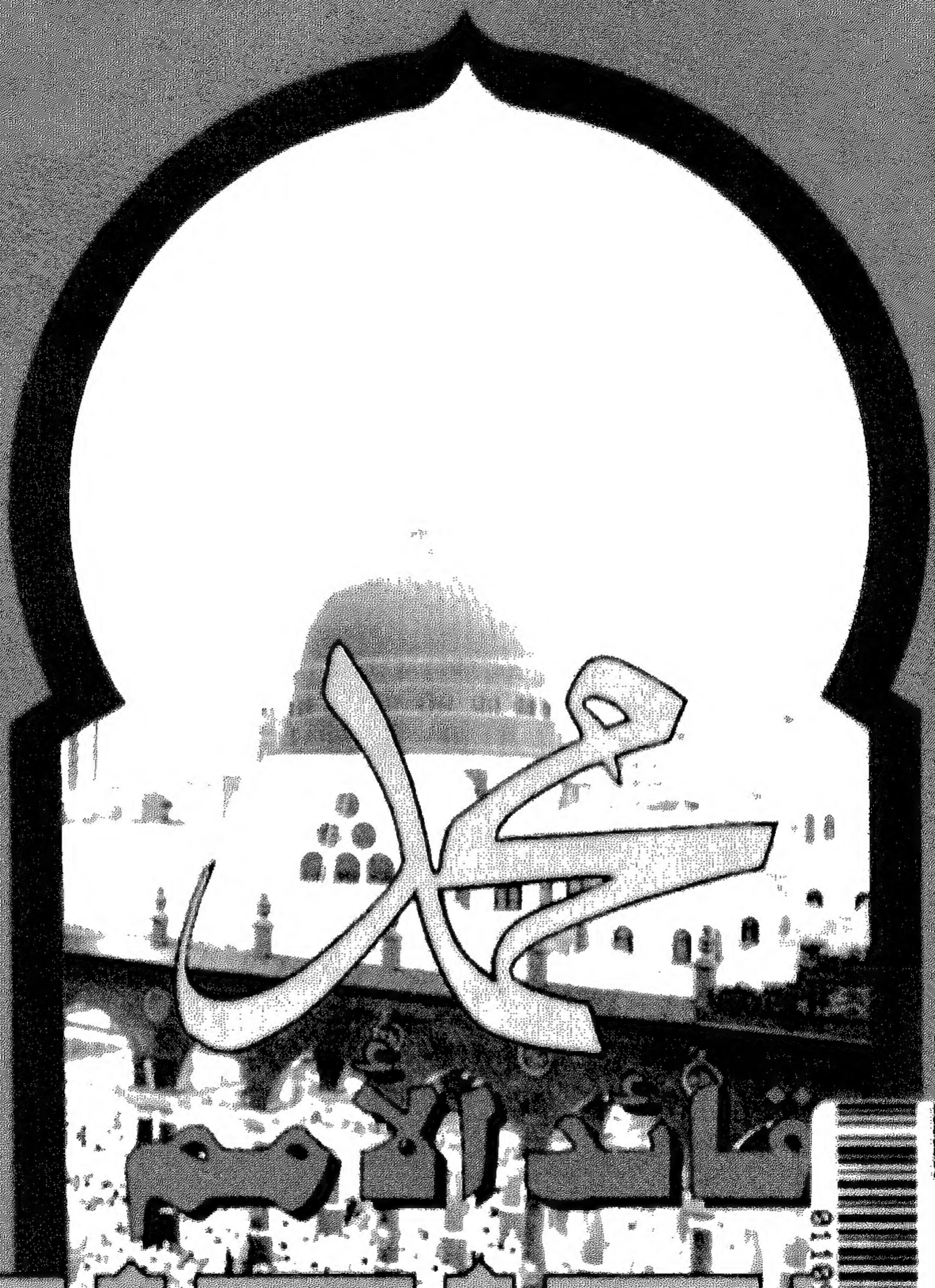



المكتبة العامة
مركز محمد السادس



د. اسماعيل حطمي

Bibliotheca Alexandrina



8119936

مكتك

قائد الأسماء

بحث واعداد

د. إسماعيل حلي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُعَلِّمِي الْأَسْدَادِ

صَدَقَهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سعدت بهذا الجهد العمل الطيب في خدمة الاسلام والمسلمين
 من كاتبه صاحب قلب مخلص لدينه ولوطنه ولنشر راية
 الاسلام والمسلمين والوحدة الوطنية التي تجمع بين الديانات
 السماوية جميعا تحت راية الاسلام الذي هو دين الأمن
 والسلام لكل انسان يحب الخير لأخيه الانسان .
 تمنياتنا له بالتوفيق والمزيد لخدمة الاسلام في كل مكان .
 مفتى جمهورية مصر العربية
 أ . د . د . نصر فريد محمود وأصل

سعدت بهذا الجهد العمل الطيب في خدمة الاسلام والمسلمين
 من كاتبه صاحب قلب مخلص لدينه ولوطنه ولنشر راية
 الاسلام والمسلمين والوحدة الوطنية التي تجمع بين الديانات
 السماوية جميعا تحت راية الاسلام الذي هو دين الأمن
 والسلام لكل انسان يحب الخير لأخيه الانسان .

تمنياتنا له بالتوفيق والمزيد لخدمة الاسلام في كل مكان .

مفتى جمهورية مصر العربية
 أ . د . د . نصر فريد محمود وأصل

الاهداء

- الى كل عاشق لمحمد عليه الصلاة والسلام
- الى من يعرف ان محمدا هو لسان الحق
- الى من يؤمن أن محمدا صاحب اذن بالشفاعة
- « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا »

(سورة طه آية ١٠٩)

- الى من يؤمن أنه لا نبي بعد محمد
- الى من يثق أنه سيد الخلق أجمعين
- الى من يؤمن بمعجزات محمد
- الى أهل البدع لعلمهم يفيقون ويعرفون أنه الحق
- الى قادة الشعوب ليستنبروا بقائد الأمم
- الى كل مسلم مؤمن ليتعلم الدرس من القائد محمد
- الى أبنائي الأحباء وزوجتي وأهلي وأصدقائي وعشيرتي
- الى روح أمي وروح أبي
- اليه هو القائد الانسان النبي الحق حبيب الله وصفيه
- الذي قال الله تعالى فيه « وما ينطق عن الهوى »

سورة النجم (آية ٣)

- الى الذي خير أن يكون ملكا رسولا أو عبدا رسولا
- فاختار أن يكون عبدا رسولا
- اليك يا حبيبي اليك يا من تسكن قلبي وفؤادي
- الى حبيب الله الذي أخذ جبريل بيده الى سدره المنتهى
- اليك يا من كلمات اللغة لا تفويه حقه من التبجيل
- اليك الى أن ألقاك كتابي هذا

الباحث

د. اسماعيل علمي

مقدمة

فى السواقع :

أمتنا الحبيبة تمر بظروف قاسية فى هذا العصر بالذات وقد زج بنفسه كثير من الجهلاء بدعوى أن هدفهم الاصلاح ومناصرة الاسلام وقد نسوا أو تناسوا أن ما يقومون به بعيد كل البعد عن الاسلام بل هو حرب على الاسلام وتشويه لحقيقته .

وهذا فى الحقيقة يجعل الغريب عن الاسلام يبتعد عنه والمسلم العاصى يزداد بعدا عن دينه .

فالاسلام يدعى له بالحسنى ويدعى له بتعريف واظهار أعمال أقطابه ورجالاته الأبطال الشرفاء بأمانة .

الذين زينوا بأفعالهم دينهم فكان لأفعالهم هذه الفضل فى أن يقبل على الدين البعيد عنه ويرى العلامات المضيئة فيه .

وهذا هو دافعى لاظهار معجزات محمد ﷺ وتصرفاته وحياته ومناقبه وأخلاقه التى قال الله فيها :

« وانك لعلى خلق عظيم » سورة (ن آية ١)

ولذلك جاء بحثى هذا

ايما نا منى بأن أحسن ما يقدم فى هذه الدنيا هو العمل الباقي وان الخير طريق النجاح والشر طريق الهلاك .

ولعلمى ويقىنى أن محمدا قدم للعالم كله ما لم يقدمه بعده بشر ولن يقدمه بشر الى يوم الدين حيث أن محمدا جعل المعجزة تابعة للايمان ، بعد أن كان الايمان تابعا للمعجزة .

أحسست من كل قلبى أن محمدا لا بد وأن يدرس
كشخص له تصرفات تحسب له ويؤخذ عنه أخلاقه .

أحسست أنه لا بد من وقفة أمام هذه الشخصية التى لم
تكن فقط رسولا يوحى اليه ويرسل للناس ما أوحى له
ليأخذوه عنه ويقرّوه لأنه لا ينطق عن الهوى .

وانما هذه الشخصية أين ولدت وكيف وأين عاشت .

وبمن تأثرت ومن علمها وماذا فعلت ؟

وهل مقدمات هذه الشخصية هى التى مهدت لنتائجها ؟

أم ان هذه المقدمات لو توفرت فى أى شخص فلن تأتى
بمثل هذه النتائج الا بعناية الله وأمره .

وهذا دليل الدلائل على أن محمدا هو الحق وليست
الجاهلية مقدمة للاسلام وليس الفساد سببا للاصلاح .

وليس قريش ولا جزيرة العرب ولا دولة القياصرة
ولا أبهة الأكاسرة هى التى بعثت محمدا لينكر العصبية على
قريش ويعلم العرب تسفيه التراث والموروث من الآباء
ويهز العروش التى قام عليها الطغاة وتآلهوا عليها من دون
الله .

بل هؤلاء جميعا كانوا ضحية البعثة المحمدية .

هؤلاء جميعا كانوا مريضها الذى شفى على يديها بغير
شعور منه بالمرض وبغير سعى منه الى الشفاء .

وليس القصد من هذا الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف
الى السير النبوية التى زخرت بها المكتبات لأننى لم أقصد
وقائع السيرة لذاتها .

وليس الكتاب شرحا للاسلام أو لبعض أحكامه أو دفاعا
عنه أو مجادلة لخصومه فهذه أغراض استوفت فى مواطن
شتى يكتب فيها أصحابها ومن لهم القدرة عليها .

انما بحثى هذا تابع من الحب الذى يدين به كل-
انسان ، والتقدير الواجب لشخص محمد وهو ايمان منى بأن
عمل محمد كان لتخويله المكان الأسمى بين صفوة الأخيار
الخالدين *

وحيث نرى أن ميزان القيادة وميزان العمل وميزان
العقيدة قد رجح بمحمد *

فهو بذلك قائد عظيم لا ينال منه فى عظمتة هذه بغى
الجهلاء كما لم ينل منه بغى الكفار وقت الرسالة *

ولهذا سوف يلقي بحثى هذا الضوء على الأمور التى
تخص شخص محمد حيث أسرة محمد ومن هم - ومن هو
محمد وميلاده - قصاحته - عسكريته - بصيرته فى القيادة -
ذكاؤه السياسى - ملكاته الشخصية - رئاسته وصداقته
لمرءوسيه - محمد الزوج - محمد الأب - محمد العابد -
معجزاته وأخلاقه *

أسأل الله العلى القدير

أن يهينى لنا من أمرنا رشدا

زيوفتنى الى تقديم مادة يقبل عليها القارىء

وأن أكون قد أوصلت معلومة يرضى عنها سيدى وسيد
الخلق أجمعين محمد عند اللقاء فى الآخرة لأننى أومن أن
المرء مع من يحب فى الآخرة *

انك سميع مجيب يا الله

ر. نسماعيل علمى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
أُمَّةٍ إِلَّا لَهَا نَبِيُّهَا

صدق الله والعظيم
سورة آل عمران

القسم الأول

مولده ونشأته

أولا : نسبه الشريف :

١ - من جهة أبيه :

نبينا العربى ، الهاشمى القرشى ، أكرم العرب نسبا ،
وأشرفهم حسبا ، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
(واسمه شعبة الحمد) ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن
نزار بن معد بن عدنان ، وينتهى نسبه الشريف الى اسماعيل
ابن ابراهيم أبى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويدعى
(أبا العرب المستعربة) .

وقد نظم بعضهم الشعر فيه فقال :

« نبينا محمد قد ينتسب	قطعا لعبد الله عبدالمطلب »
« فهاشم عبد مناف فقصى	كذا حكيم مرة كعب لؤى »
« فغالب فهر فمالك يلى	نضر كنانة خزيمة انقل »
« مدركة الياس أيضا فمضر	نزارهم معد عدنان انحصر »

٢ - من جهة أمه :

وأمه السيدة أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن
حكيم ، الذى هو الجد الخامس للنبي الشريف ﷺ ، وهى من
أشرف بيوت قريش (وهذا هو النسب الشريف المتفق على
صحته من علماء التاريخ والمحدثين) .

وقال فى نسبه الامام البوصيرى رحمه الله صاحب البردة

والهمزية فى مدح خير البرية المتوفى فى سنة ٦٩٥ هـ ،
بالاسكندرية وضريحه بها مشهور ومعروف .

« نسب تحسب العلاء علاه قلدتها نجومها الجوزاء »
« حبذا عقد سؤدد وفخار أنت فيه اليتيمة العصماء »

ثانيا : أسرة النبى :

منذ ثبتت للبيت الحرام تلك المكانة العالية بين العرب
كافة وجبت له أمانة الخدمة بما له من حق محفوظ وشرف
ملحوظ ، ووجب لخدمة السمى الذى يجعل هذا المقام وهو
فوق مقام الرئاسة الدنيوية وعلى مثابة من مقام العبادة
والتقديس .

ولم يقم بهذه الأمانة أحد كما قام بها أجداد النبى عليه
السلام من بنى هاشم ، فقد حفظوا حقها وعرفوا اسمها بل
طبعوا عليه فطرة بغير كلفة ، وبدأ منهم الايمان بما فى مآزق
الشدة التى يمتحن فيها الايمان بحب النفس وحب البنين ،
فيفلب الايمان على حب المرء لنفسه وحبه لبنيه .

وقد تنافس بنو هاشم وبنو أمية على هذا الشرف
فأسفرت المنافسة بينهما عن فارق فى الطباع ملحوظ الأثر
فى خلائق الأسرتين من أيام الجاهلية الى ما بعد الاسلام بعدة
قرون ، ومهما نجد من ندين متناظرين فى هاشم وأمىة
الا وجدت بينهما هذا الفارق على نحو من الأنحاء .

كان بنو هاشم أصحاب عقيدة وأريحية ووسامة ، وكان
بنو أمية أصحاب عمل وحيلة ومظهر ، وينعقد الاجماع أو
ما يشبه الاجماع على أخبار الجاهلية التى تنم عن هذه
الخصال فى الأسرتين وبقي الكثير منها الى ما بعد قيام
الدولة الأموية ولم يفندوه .

ومن هذه الأخبار أخبار المنافرات المتتالية تجمعها منافرة
حرب وعبد المطلب الى نفيل جد عمر بن الخطاب اذ يقضى
لعبد المطلب ويخاطب حربا قائلا : « أتنافر رجلا هو أطول
منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم منك وسامة وأقل منك
لامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا ، وأطول منك
مدودا » .

أبوك معاهر وأبوه عف وزاد الفيل عن بلد حرام .

والنسابون يؤيدون ما تواترت به هذه المنافرات، فيقول
وغفل النسابة لمعاوية ونسأله عن جده أمية « رأيت رجلا
قصيرا ضريرا يقوده عبده ذكوان » . قال معاوية : « ذلك
ابنه أبو عمرو ! » قال دغفل : « ذلك شيء تقولونه أنتم ، أما
قريش فلم تكن تعرف أبدا الا انه عبده » .

ويقول الكلبي في أبناء عبد المطلب : « كانوا اذا طافوا
بالبيت يأخذون البصر » .

الروايات المتقدمة على علاتها ، ولكنه لا يحتاج الى
المشكوك فيه من تلك الروايات ليعلم هذا الفارق الواضح من
خلائق العشيرتين فيما أثر عنهم قبل الاسلام وبعد الاسلام ،
ففى حلف الفضول قام بنو هاشم بالأمر وقام به معهم بنو
أسد وبنو زهرة وبنو نديم ، وتغلى عنه بنو عبد شمس فلم
يشتركوا فيه وخلاصة قصته أن رجلا يمانيا قدم مكة
ببضاعة فاشتراها رجل فلواه بحقه وأبى أن يرد عليه
بضاعته ، فقام فى الحجر أو فى مكان على شرف وصاح
يستغيث ، وكان من أجل ذلك أن تعاهد أناس من بنى هاشم
وأحلافهم ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد الا
كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه من أنفسهم ومن غيرهم ،
وعمدوا الى ماء من زمزم فجعلوه فى جفنه وبعثوا به الى
البيت ففسلت به أركانه وشرفوه . وقد أبى الامويون وبنو
عبد شمس عامة على أن منهم أن يدخل هذا الحلف وكان

أخذهم عتبة بن ربيعة يقول : لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل حلف الفضول .

وربما خفى السبب الذى يرجع اليه هذا الفارق بين الأسرتين ، فقد يرى بعضهم أنه يرجع الى النسب المدخول وقد رمى الأمويون الأوائل بشبهات كثيرة فى عمود النسب وعرض لهم بذلك أناس من ذوى قرباهم فى صدر الاسلام ، وأشهر ما اشتهر من هذه الشبهات قصة ذكوان الذى يقولون أنه من أبائهم ويقول النسابون انه عبد مستلحق على غير سنة العرب فى الجاهلية . ومما يعلل به هذا الفارق أن بنى أمية كانوا يغيبون عن ديارهم ويغوذون اليها فلا يطيب للمقيمين فيها أن يعترفوا لهم بدعوى الزعامة عليهم ، وانهم أكثروا من الرحلة فى بادىء الأمر لحاجتهم وقلة محصولهم من نتائج الزعم وأرباح التجارة ، وليس بالبعيد أن « المعاهدة » التى أشار اليها المحكمون بينهم وبين الهاشميين قد أورثتهم بعض أمراضها ودست فى أخلاقهم شيئا من خباثتها ، وليس بالبعيد أيضا أن الفارق بين الأسرتين إنما كان من قبيل تلك الفوارق التى نراها بين اخوة كأنها قسمت بينهم ميراث الأخلاق فذهب أحدهم بالحول وذهب أخوه بالحيلة ، أو ذهب أحدهم بالكرم والاريفية وذهب أخوه بنقائضها من خلال الاثرة والدعوى .

وأما كان سر هذا الفارق البين لقد كان بنو هاشم — أسرة النبى — أصحاب رئاسة ، وكانت لهم أخلاق رئاسة .

عرفوا بالكرم والنبيل والهمة والوفاء والعفة ، وبرزت كل خليقة من هذه الخلائق فى حادثة ماثورة مذكورة فلم تكن خلائقهم هذه من مناقب الأماديح التى يتبرع بها الشعراء أو من الكلمات التى ترسل ارسالا على الألسنة ولا يزداد بها معناها .

كان هاشم غياث قومه فى عام المجاعة ، فغذل طفليه

لكل نازل بمكة أو وارد عليها ، وسمى بالهاشم من ذلك اليوم
لهشمه الثريد ودعوة الجياع الى قصاعه •

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مة مسنون عجاف

ومما يروى أنه كان أول من سق الرحلتين لقريش !
رحلة الصيف ورحلة الشتاء • وحقيقة ذلك فيما يخلص لنا
من سوابق الرحلات أنه كان يحمى تلك الرحلات وينظمها ،
فنسب اليه انه أول من سنها •

ومكانته فى غير قريش ، وفى مدن التجارة ، تدل عليها
مصاهرته لبنى النجار فى المدينة ، وزواجه من سلمى بنت
عمرو التى كانت - لشرفها وعزتها - تأبى أن تتزوج الا أن
يكون أمرها بيدها ، ولو لم يكن لهاشم مقامه فى الحجاز كله
لما أصهر الى القوم ولا ارتضى القوم هذه المصاهرة من رجل
يزور مدينتهم زيارة الطريق بين مكة والشام • وقد كان
المعهود من بنى مناف أنهم لا يقعدون جميعا فى ديارهم وأنهم
لا تزال لهم همة طامحة فى رحلاتهم وأسفارهم ، ومات
أكثرهم فى غير وطنهم ، فمات هاشم بغزة فى الشام ومات
عبد المطلب برومان الى ناحية من أرض اليمى ، ومات نوفل
بسلمان فى العراق •

وابن هاشم عبد المطلب سيد قريش غير مدافع ، ويبلغ
هذا التقايل بين الأسرتين أقصاه فى عهد مناظرة جرب بنى
أميه ، وكان كلاهما نمطا فى بابه من طرفى العقيدة
والأريحية وطرف السعى والحيلة •

وكان عبد المطلب متدينا صادق اليقين ، مؤمنا بمحارم
دينه فى الجاهلية لأن ثقة الايمان طبيعة فى وجدانه ، وهو
أول من حلّى الكعبة بالذهب من ماله ! ويعنينا منه أنه كان
فى الحق نمطا فريدا بين أصحاب الطبائع التى فطرت على
الاعتقاد ومناقب النبى والايثار •

فلم تكن مناقبه من مناقب الطامع والوتيرة التي تتكرر على صورة والده بين المتصفين بها ، ولم يكن كرمه ولا حزمه ولا شجاعته من قبيل الصفات التي تعرف بهذه الأسماء في جميع الكرماء وذوى الحزم والشجاعة .

بل كانت مناقبه مطلبية تدل عليه ولا تصدر من غيره ، وكانت كلها مزيجا من الانفة والرصانة والاستقلال ومواجهة الغيب على ثقة وصبر وأناة .

وهذه طائفة من أخباره لا تفتقد في واحدة منها تلك المناقب المطلوبة التي تعز على خيال المتخيل ما لم يكن ورامها أصل تحكيه وترجع اليه .

وصل أبرهة الحبشى عام الفيل الى أراضى مكة وبعث رجلا من العرب يسمى حناطه يسأل عن أمير مكة ، ويبلغه أن أبرهة لم يأت لقتالهم وإنما أتى لهدم البيت الحرام ، فان لم يمنعوه فهم فى أمان من حربه . فلما لقي الرسول عبدالمطلب أبلغه رسالة أبرهة . قال عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وهذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يشأ منع بيته وحرمة وإن لم يشأ تخلى عنه ، والله ما عندنا من قتال .

قال الرسول : انطلق معى الى الملك ، فانطلق معه عبد المطلب الى أن أتى معسكر أبرهة وأدخلوه عليه .

يقول الرواه : وكان عبد المطلب رجلا عظيما مهيبا وسيما فنزل أبرهة عن سريره وأجلسه معه وسأله فى طلبه فقال عبد المطلب الابل ساقها جندك ! .

ويقول الرواة : فهان أمر عبد المطلب فى نظر أبرهة وقال له : أتسأل عن البعير وتترك البيت الذى هو دين آبائك ودينك من بعدهم ؟ فقال عبد المطلب أنا رب الابل ، وللبيت رب يحميه . فأمر برد ابل عبد المطلب دون غيرها ، فأخذها

عبد المطلب وقلدها النعال وساقها هدايا الى الحرم ، ووقف
على باب الكعبة يقول :

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا

هذه هي « المطلبية » التي نعنيها في خصال هذا الرجل
العظيم ، لا تهور مع القوة الطاغية ، ولكن لا خضوع لها بل
وضع لها في موضعها وقول يناسبه كل مقام ، فاذا خامر الظن
أحدا لا يفهم معنى هذه الأنفة التي تأنف من التهور كما تأنف
من الجبن ، فهناك الجواب الفعال الذي يغني ما ليس يغنيه
المقال : ما سألت عنه الا بل لأنني أضن بأثمانها فأنني قد
وهبتها بعد ذلك للبيت ، لكنني سألت عنها لأنها هي موضع
سؤالي ، وتركت السؤال عن البيت لأن استجداء الرحمة من
أبرهة لبيت الله يدني الثقة بالبيت وبالله . . .

وقد حدث بعد ذلك ما حدث مما لا شك فيه ، وهو فتك
الجدري بجنود أبرهة وانهزامه عن البيت وخوفه من أن
يتقدم اليه بأذى ، وانه لخبر قد يسهل انكاره على المتحذلة
من أدعياء التاريخ الذين يجمعون التمهيص كله في الانكار
لولا أن حديث الجدري الذي فشا (في سنة ٥٦٩) مثبت
كما تقدم في تاريخ بروكوب Procope الوزير البيزنطي
المعروف .

وخبر آخر من أخبار هذه المناقب المطلبية انه عاش زمنا
قليل الولد لم يرزق غير ابنه الحارث الذي كان يكنى به
وعيره عدى بن نوفل بن مناف يوما فقال له : أتستطيل علينا
عبد المطلب وأنت قد لا ولد لك ؟ فأجابه عبد المطلب جوابه
الذي أثر عن ذلك اليوم : أباقله تعيرني ؟! فوالله لئن آتاني
الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة ! وسنعود
للتعقيب على هذه القصة في حديث عبد الله أبي النبي
عليه السلام ، ولكننا نجتزئ هنا بأن نقول أننا لا نسقطها

لمجرد اختلاف الرويات فيها فان أخبار الحاضر تتناقض
أمامنا ونحن لا ننكر وقوعها لهذا التناقض ، وقد اختلف
الرواه في عبد الله بن عبد المطلب هل هو أصغر أبناء جميعا
أم أصغر أبناء من أمه ، وهل بلغ أبناءه العشرة أو حسب
أبناء الأبناء ، وكل أولئك لا يسقط القصة كما أسلفناه
وكما يجيء في سيرة عبد الله .

وملتقى الروايات في هذه القصة انه أمر بنيه أن يكتب
كل منهم اسمه في قدح وطلب من صاحب القداح أن يضرب
عليها فخرج السهم باسم عبدالله فعلم بانفاذ نذره لو لم يتشفع
عنده ابنه العباس ورجالات قريش « وتنادوا بينهم لتن
فعل ذلك لتكون سنة ولا يزال يأنى بابنه فيذبحه فان يكن
فداء فبأموالنا جميعا نفديه ! »

واحتكموا الى عرافة بالحجاز فسألتهم : الديه كم فيكم؟
قالوا عشرة من الابل . قالت : قربوا من ولدكم عشرة من
الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم ، ثم زيدوا الابل كلما
أخطأها السهم حتى يخرج السهم عليها فانحروها عنه ، فقد
رضى ربكم ونجى ولدكم » .

يقول الرواه : وعادوا الى مكة فقربوا عشرة من الابل
وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله ، وجعلوا يزيّدون
عشرة فعشرة حتى بلغت مائة قيل ثلثمائة ، فخرج السهم
عليها فانحروها وتركوها لا يمنع من لحمها انس ولا وحش
ولا طير .

ومن أخباره أن قريشا خاصمته ماء زمزم بعد أن
احتفرها وعارضوه في احتفارها ، فاحتكموا الى كاهنة بنى
نضد بن تميم بمشارف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من
بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر يتقدمون ،
وفنى ماء عبد المطلب عند بعض المفاوز بين الحجاز والشام
فظلما أصحابه حتى أيقنوا بالهلكة ، وطلبوا الماء ممن معهم
من قريش فلم يسقوهم ، فجمع أصحابه وسألهم : ما ترون ؟
قالوا : رأينا . تبع رأيك فمرنا بما شئت .

قال : فاني أرى أن يحفر كل منا حفرة فيواريه فيها أصحابه اذا مات ، حتى يكون آخركم موتا قد واري الجميع ، فضيعة رجل واحد خير من ضيعة الركب كله . . ثم بدا له رأى أصوب من هذا الرأي فقال لأصحابه : والله ان القاءنا أنفسنا بأيدينا للموت هكذا دون أن نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا لهو العجز . فهلما نرتحل ، ولم يذهبوا في طريقتهم غير يسير حتى انفجرت عين ماء عذب تحت خف راحلته فشربوا وملأوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلما الى الماء فقد سقانا الله . فقال أصحابه لا نسقيهم والله لأنهم لم يسقونا . قال : نحن اذن مثلهم ، ولم يرضه أن يعمل مثل عملهم وهو أحق بالرجحان عليهم ، وعرف القرشيون له هذا الحق فكفوا عن منازعته في ماء زمزم وسلموا السقاية التي كانوا ينافسونها عليه .

ويروى عنه انه كان له جار يهودي يسمى ذينه ، وكان له مال كثير فطمع فيه حرب بن أمية وأغرى به فتيانا من قومه فقتلوه ، فلم يزل عبد المطلب يستقصي خبره حتى علم باغتياله ومن اغتاله ، فأبى ألا ان يكره حربا على الدية وأخذ منه مائة ناقة أسلمها الى ابن عم اليهودي وارتجع ماله الا شيئا هلك فارتجعه من ماله .

وهذه هي المناقب « المخصصة » التي نقول انها لا تجزى مجرى الطابع والوتيرة ولا تغنى عناوينها عن النظر في ملامح أصحابها ومميزاتهم في التفكير والعمل ، وهي مناقب لا تخترع ولا يضيرها أن يضاف فيها الخبر المخترع الى الواقع . لأن الرواة المخترعين في هذه الحالة انما ينقلون عن صورة أصلية تمت في أذهانهم قبل اختراع أخبارهم عنها ، فحاولوا أن تكون أخبارهم المخترعة مطابقة لحقيقتها ، ففي كل خبر من هذه الأخبار « المطلبية » ايمان وحزم ووفاء وجرأة على الخطر ولكن في غير مبالطة ولا اصطناع ، وانما قوام ذلك كله حزم يملك زمامه ويفعل واجبه كما يراه .

وأدعياء التاريخ خلقاء أن يسألوا أنفسهم هنا سؤالين لا يغفلهما أحد يفقه معنى تمحيص الخبر ، وأولهما في هذا السياق : لماذا يخترع الرواة هذه الأخبار عن عبد المطلب دون غيره ؟ وثانيهما : لماذا لم يخترعوا أمثالها عن جرب بنى أمية ؟ فإذا كانت صورة الرجل في الأذهان هي علة الاختراع ، فهناك حقيقة اذن ماثلة وراء هذه المخترعات وهناك دلالة في اتفاق الأذهان على الاختراع أولى بالتصديق من اتفاقهم على رؤية العيان ، لأن رؤية العيان تحتاج بعدها الى البحث عما تدل .

وقد اتفقت الروايات كلها على صفات عبد المطلب قبل الاتفاق على أخباره ، واتفقت الصفات والأخبار معا على ملامح شخصية قوامها الايمان والحزم والوفاء وضبط النفس في مواجهة القوة والخطر بعزيمة لا تنهز في غير جدوى ولا تنكص على عقبيها خوفا من فوات الجدوى .

وكلها صفات جديرة بأباء الأنبياء .



عبد المطلب :

ولد عبد المطلب في المدينة وسمى « شيبة » تفاؤلا له بطول العمر في أسرة لم يكن طول الأعمار من خصائصها ، وتربى بعيدا عن آل أبيه فصدق عليه في طفولته قول القائلين في عصرنا أن الطفل أبو الرجل ، لأنه كان يلاعب الصبيان من لداته فيذكرون آباءهم ويفخرون بهم عليه وهو لا يرى آباه بينهم ، وحز ذلك في نفسه فجعلت أمه تسرى عنه وتحدثه عن آل أبيه ومآثرهم في جوار البيت الحرام ، فطال اشتياقه الى رؤيتهم والاقامة بينهم ، بيد أنه أخجم عن السفر مع عمه « المطلب » حين قدم الى المدينة لأخذه الى مكة ، وبصر أمه في الدار حزينة واجمة تبكي

لفراقه وتستمهل عمه عسى أن يبقية لديها الى عام قابل ،
فظهر في تلك السن الباكورة شوقه الى أهل أبيه وقد عز عليه
في المدينة ان يفاخر بهم لداته بين آبائهم وذويهم ، وقهر
في ابان الطفولة ذلك التطلع الى المجهول وذلك الحنين الى
الفرائب وتلك الرغبة في كل حركة في كل انتقال من مكانه
الذي هو فيه ، وقال لعمه بعد أن تهلل لمراه رحب بالعودة
معه الى قومه : لن أترك أمي أو تأذن لي بالسفر معك راضية .

وفي سفرته تلك سمى عند مدخل مكة بعبد المطلب لأن
أهلها رأوه مع المطلب لأول مرة فحسبوه عبدا اشتراه ،
وجعلوا يدعونه باسم « عبد المطلب » كلما أرادوا أن يميزوه
من أبنائه فغلبت عليه .

وشب الغلام عزوفا أبيا لا يستكين للهزيمة ولا ينزل
عن حق له أو حق كان لأبيه ، فلما أراد عمه نوفل أن يستأثر
بمنزلة أبيه هاشم وميراثه لديه حتى تحين فرصة السفر الى
المدينة وعاد الى مكة بعصبة من أقارب له وأخواله ، وهم أولو
عصبة أشداء ، يشاد بصوتهم في مدائح الشعراء :

ولو أبي وهب آنخت مطيتي

غدت من نداه رحلها غير خائب

وتلقاهم عمه نوفل مرحبا ودعاهم الى ضيافته فلم
يقبلوها أو يرضى فتاهم ، فصالحهم على ما يرضيهم ويرضيه .

وصح التفاؤل في عبد المطلب فعاش حتى ناهز المائة
أو جاوزها ، ومات والنبي عليه السلام دون العاشرة وعهد
به الى كفالة عمه أبي طالب شقيق أبيه .

كل ما تفرقت فيه الروايات من أمر قد استقرت على
صفة لا تتفزع فيها روايتان ، وهي صدق التدين والايمان
بمخارم الدين في سدانته أو في غير سدانته ، واسم ولد من
أولاده عبد العزى الذي اشتهر بعد ذلك باسم أبي لهب لزهره
كانت في لون وجهه ، ومن حديثه انه كان يتعصب للعزى

الشيء نمتي اليها باسمه ، وانه زار أحد عبادها المتنسكين لها
فنى مرض موته فوجده يبكى ، فسأله ! ما يبكيك ؟ أمن الموت
تبكي ولا مفر منه ؟ قال الرجل : كلا ، ولكنى أخاف ألا تعبد
العزيز بعدى ! *

فقال أبو لهب : والله ما عبدت وأنت جى لأجلك ولا تترك
بعدك لموتك ، فاطمأن الرجل ومات وهو يقول : الآن علمت
أن تلى خليفة يرعاها *

وكانت العزى بوادى حراص على يمين المصعد الى
العراق ، وكانت قريش قد حمت لنا شعبا يقال له سقام
يضاهون به الكعبة ، وهى التى يغنيها أبو جندب الهذلى
اذ يقول فى بعض غزله :
لقد حلت جهدا يمينا غليظا بفرع التى تحمى فروع سقام

ولها منحز تذبح فيه الذبائح ويقصد اليه الحاج بعد
منى كما يقول نهيكه الغزارى يخاطب عامر بن الطفيل :
يا عامر لو قدرت عليك رماحنا
والراقصات الى منى فالغيب

وشأن هذه القصة فى مناقب عبد المطلب أن التدين لم
يكن وسيلة من وسائل الرجل الى طلب السيادة والسدانة ،
وأنه لم يتدين لأنه سادن الكعبة وصاحب المنفعة فى تعظيمها ،
بل كان يعظم العزى ولا منفعة له فى هذا التعظيم ، وكان
الدين عنده ايمانا خالصا من الحيلة ومن مآرب الكهانة *

ولا يخفى أن النوراة فى الطبائع لا فى الشعائر
وظواهر العبادة ، فمن كانت عنده عقيدة الايمان بالغيب
والعلو بما يؤمن به من عوارض الأهواء واللذات ، وهان
عليه نسيان المنافع والشهوات فى سبيل رضاه ، وطابت
نفسه بالقداء وفرائض الطاعة والوفاء ، فهذه الطبيعة التى
تورث على اختلاف الشعائر والعبادات ، ومثلها فى ذلك مثل

الشجاعة في القتال ومثل السخاء بالمال ، فان الابن الذي يرث منه ميدانه ولا تتوقف شجاعته الموروثة على سلاحه فقد يحارب الابن بسلاح لم يعرفه أبوه وفي ميدان غير ميدانه ، وقد يبذل المال لاقامة مسجد ولم يبذل أبوه المال الا لتحت ضنم أو ذبح قربان على وثن ، ولا غضاضة على ما ورثه من شجاعة ولا ما ورثه من سخاء .

وهذه الطبيعة هي التي ينظر اليها الناظر في مناقب الأسرة الموروثة ، فلو كان عبد المطلب ينافق بالتدين ليضع به قومه ويتوزع به الى الرئاسة عليهم كما كان هو عبدالمطلب الذي تورث منه خصال الصدق والايمان ، ولكنه تورث منه هذه الخصال حين يصدق في معتقده بالكعبة وبالعزى ، وحين يدين الناس بما يدين به نفسه في رئاسة هؤلاء الناس .



أبو طالب :

وكان أبو طالب - خليفته في الوصاية على النبي - أشبه آبائه به في جميع خصاله ومناقبه . والخلاف كثير في اسلام أبي طالب ، اذا لم يتفق الرواة على اسلام أحد من أعمام النبي غير حمزه والعباس وهما في مثل سنه ، العباس يكبرهما بنحو ثلاث سنوات .

ولكن لا خلاف على حمايته له وحبه اياه وصبره على عداوة قريش كلها في سبيل نصرته ورد آذاهم عنه ، وقد لقي في ذلك ما يطيق وما لا يطيق ، وعظم عليه الخطب وأشفق من مغبته عليه وعلى ابن أخيه ، فقال له في ساعة من أشد ساعات الحرج :

« أبق على نفسك يا بني ولا تحملني من الألم مالا أطيق » . فحزن النبي وحسب أنه سيخذله وقال له وهو يهم

بمفارقة: « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » *

فلم يبرح النبي غير قليل حتى ناداه عمه وقال له وهو حزين لحزنه « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا » *

وفي رواية ابن اسحاق « أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم أن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين رسله ودين آيينا إبراهيم ... بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت ، أي عم ، أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه » ... فقال أبو طالب « أي ابن أخي ! اني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن - والله - لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت » *

وقال ابن اسحاق : « وذكروا أنه قال لعلي : أي بني ! ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله وبرسول الله ، وصدقت ، ما جاء به ، وصليت معه لله اتبعته ، فزعموا إنه قال له : أما إنه لم يدعك إلى خير ، فالزمه » *

وبر أبو طالب بقسمه وحمل السيف في سبيل نجدته ، وروى القرطبي أنه ناجز أبا جهل وجلة قريش في مجموعهم يوم اعتدى ابن الزبير عليه في صلاته * وكان النبي عليه السلام قد دخل الكعبة ليصلي كعادته ، فقال أبو جهل : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ، فقام ابن الزبير فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي ، وانفتل النبي من

صلاته وقصد إلى عمه : من فعل هذا بك ؟ قال : عبيد الله بن الزبير ! فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوه قد أقبل جعلوا ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لحملته بسيفي ، فقمعدوا حتى دنا منهم ، وأخذ أبو طالب فرثا ودما ولطخ به وجوههم ولحاهم وانصرف وهو يغلظ لهم القول .

وقد تكفل أبو طالب بالنبي في طفولته بالكرة والضجة في غدواته وروحاته خوفا عليه من أساءة تمسه في غيابه ، وانتوى السفر إلى الشام والنبي في نحو الثانية عشرة من عمره فأشفق عليه أن يجشمه عناء السفر البعيد ، ثم تهيا للرحيل وتعلق به الغلام الودود وبكى لفراقه ، فلم يقو على مفارقتة وهو باك ، وقال لصحبه « والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا » .

ولقد كان الرجل الجليل يذكره أخاه كلما لمخت عيناه الغلام اليتيم فتشرق عيناه بالدموع ، ويقول : ما أشبهه بعبد الله ، وقد كان أبو طالب وعبد الله - كما تقدم - أخوين شقيقين ، ولم يثبت قط أن هذا العم الكريم تخلي طرفه غين عن ابن أخيه أو أحزنه بكلمة لا ترضيه من طفولته إلى أن جهر بدعوته ، ولم يخالف هذا الإجماع من أخبار أبي طالب والنبي أحد المؤرخين حتى أولئك المفسرين الذين حسبوا أن أبا طالب هو المقصود بما جاء في القرآن في سورة الأنعام :

وَأِنْ يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا
جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
(٢٥) وَمُتَّبِعُونَ عَنْهُ وَيَتَنَبَّؤْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يُشْعُرُونَ (٢٦)

الأنعام ٢٥ - ٢٦

فقد وهم أولئك المفسرون أن أبا طالب كان هبوا المقصود بهذه الآيات لأنه كان ينهى عن أذى النبي ولا يدين بدينه، ولم يكن أبو طالب ممن يلقون النبي ليجادلوه فيصدق عليه ذلك التفسير، وأوضح من خطأ هؤلاء المفسرين هنا ظنهم أن أبا طالب مقصود بعد وفاته بقوله تعالى في سورة القصص : « انك لا تهدي من أحببت » . فان سورة الأنعام . قد نزلت بعد سورة القصص كما جاء في كتاب الاتقان ، فلا هداية ولا جدال ولا نهى عن أذى النبي بعد الوفاة .

وعلى الجملة يبدو لنا رعاية أبي طالب لابن أخيه علي الرغم من أن قريش خلأق رحمة ونخوة ووفاء واعتداد بالجاه والكرامة ، وتبدو لنا من سيرته كلها خلأق أخرى من قبيل هذه الخلأق التي تجمع بين الطيبة والقوة . فأننا نعلم أنه كان يلقب بسيد الأباضع ، وأنه كان يخرج للتجارة مرة بعد أخرى، وأن أباه عبدالمطلب كان على ثراء عظيم وكان سادات بني أمية ينافسونه بالغنى والسخاء فلا يدركونه في هذا ولا ذاك ، ثم نعلم على كل هذا أن أبا طالب قد لقي ضنكا في شيوخه وان النبي قد أعانه بكفالة ابنه علي وتربيته في داره ، ونعلم كذلك أن النبي لم يكن على حال من الوفر قبل اشتغاله بتجارة السيدة خديجة ومشاركته في ربح أموالها فمضير أبق عبد المطلب وحفيده الى حال من القلة بعد غنى الجدود الأوائل قد ينبىء عن نصيب الأسرة النبوية من السدانة ومن مناصب الدين في البيت المعمور ، فأكبر الظن أنها كانت مغنما يأخذ من أموالهم ولم تكن مغنما يربحون منه الكثير أو القليل ، ولولا سعة التجارة التي عمل فيها هاشم والمطلب حتى قيل أن أحدهما سن لقريش سنة الرحلتين الى الشام واليمن - كما وصل اليهما ذلك الثراء المشهور ولا استطاعا النهوض بأعباء الشرف ومناصب الدين .

ولقد مر بنا من نجدة أبي طالب ما تنم به فضيلة النجدة كاملة لهذا الشيخ الكريم ، ولكنها كانت في الحق نجدة تتسع

لكل قاصد ومستجير ولو لم تكن حقوق ابن الآخ على عمه ،
فقد استجار به أبو سلمة صاحب بنى مخزوم فأجاره وأعلن
على الملاء جواره ، فمشى إليه رجال من بنى مخزوم فقالوا :
يا أبا طالب ما هذا ؟ منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك
ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : انه استجار بى وهو ابن أختى
وان أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى .

فغضب أبو لهب فى هذه المرة لأخيه الشيخ وثار بهلم
قائلا : يا معشر قريش ! والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ،
لا تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله
لتنتهن عنه أو لتقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما
أراد . فخشى زعماء قريش مغبة الوفاق بين الأخوين فى
النجدة والجوار ، وكان أبو لهب معهم على رسول الله فى
دعوته ، فقالوا : بل نتصرف عما تكره يا أبا عتبة ،
وانصرفوا راغمين .

وحكى عن هاشم بن السائب الكلبي عن أبيه فى رواية
لا تثبتها ولا ننفيها أن أبا طالب لما أحس الموت جمع إليه
وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش ! . انى
أوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى
العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ، العرب وأهل الوبر
والأطراف المستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا
كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فضاربت
رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفائها
أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه وأحظاهم
عنده قد محضته العرب ودارها وأصفت له فؤادها وأعطته
قيادها . يا معشر قريش ! كونوا له ولاة ولعزبه حماية ،
والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ، ولا يأخذ بهديه الا سعيد ،
ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزائن
ولديفت عنه الدواهي ، وهذه الوصية لا يثبتها القارىء
لها على هذا الأسلوب الا أن تكون لسان حال لا لسان مقال .

الا أن يكون ما قيل بعض لفظها وبعض معناها ، ولم يكن كل
ما جاء فيها .



العباس وحمزة :

وعمان آخران غير أبي طالب كانت لهما شهرة وصلة
بالدعوة النبوية عرفنا منها بعض ما اتصفا به من صفات
وكفايات ، وهما العباس وحمزه ، وكلاهما أخ لعبد الله
غير شقيق .

فالعباس على صغره تولى السقاية بعد أبيه ، وامتناز
بين سادات قریش بالرأى والدهاء وطول الاناء ، وكان له
علم بالأنساب وقدرة على تألف الناس ودفع العداوات ، مع
هيبة يحسب لها حسابها جلة قریش من هاشميين وأمويين ،
وهو جد بنى العباس ومن خلائقه خلائق أبنائه الكفاة
الدهاء مرة كل رئيس مطاع فى هذا البيت الفريد بين
بيوتات الهاشميين .

وحمزة فارس الفرسان فى خلائق الفروسية كلها من
شجاعة وصدق وإيمان ودراية بالسيف والخيل ، فان ابن
اسحاق فى قصة اسلامه : « فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب
رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص يرمى
ويخرج له ، وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى
يطوف بالكعبة ، وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قریش
الا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى فى قریش
وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة - مولاة عبد الله بن جدعان -
قالت له : يا أبا عماره . لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد
أنفا من أبى الحكم بن هشام ؟ . وجده ها هنا جالسا فاذا
وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد
ﷺ ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به كرامته ، فخرج

يسمى ولم يقف على أحد ، معدا لأبى جهل اذا لقيه أن يوقع فيه • فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فأقبل أن يوقع حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجحة منكرة ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد ذلك على أن استطعت • فقامت رجال من بنى مخزوم لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره • فانى والله قد سبيت محمدا ابن أخيه سبا قبيحا •

• قال القوم : ما نراك يا حمزة الا قد صبأت •
فقال حمزة : وما يمنعنى وقد استبان لى منه ذلك • •
أنا أشهد انه رسول الله •

ومن أعمام رسول الله غير حمزه والعباس رجلا لم يسلما وهما الزبير وعبد العزى أبو لهب ، وكلاهما كان يحتفى بالطفل الصغير ويدلله ويواليه بالسؤال عنه وكان الزبير يرقصه بأبيات الشعر يرجو له طول العمر والنجاة ووهب له أبو لهب جاريتة ثوية ترضعه وتخدمه فى طفولته ، ولا نعرف من أخبار الزبير ما ينبىء عن صفاته وكفائاته ، أما أبو لهب فالمعروف عنه - ولا سيما فى علاقاته بابن أخيه بعد الدعوة - غير قليل •

كان بنو هاشم وبنو المطلب جميعا فى نصرة النبى من آمن منهم به ومن لم يؤمن ما عدا أبا لهب وبنيه ، وفيه نزلت الآيات :

لَبَّيْكَ يَا أَبَى لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرًا لَهُ رَحْمَةُ الْخَطْبِ ④ فِي
جِدِّهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَكٍ ⑤

المسد ١ - ٥٠

وتعليل هذا الشذوذ انه من لوازم الأسر الكبيزة التي لا تشذ منها أسرة ذات خطر في التاريخ ، فهو هنا المقياس المطرد مع طبائع الأمور ، ولكن من علله انه يدعى بعبد العزى يتعصب لها ويغضب أن يحسب أحد أمامه أن عبادتها مرهونة بحياته كما تقدم *

وكان من علله أنه الكبير أن يقاد للصغير ولا ننسى أنها أنه لا تستغرب في عشائر البادية وعشائر الرئاسة منها على التخصيص ، ومن استغربها فليذكر أن العباس وخمزه — عمى الرسول اللذين أسلما — كان من لداته عليه السلام — الا سنوات ثلاثا أو أربعاً تقدم بها العباس فكان لها أثرها في تأخير اسلامه لسنوات *

وكان من علل ذلك الشذوذ انه كان على حلف ومشاركة لبيوتات قريش كلها لكثرة ماله وسعة تجارته وأعماله ، وقد قال للنبي في مجمع الأسرة : هؤلاء هم عمومك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة ، وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، فحسبك بنو أبيك وان أقيمت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء في بنى أبيه بشر مما جئتهم به *

وفي مجلس آخر قال له أبو طالب : هؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما أنا أحدهم ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب *

قال أبو لهب : هذه والله السواة * خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم * * * وانفض المجلس على غيظ يكظمه أبو لهب ، وعهد يبرمه أبو طالب ويقول فيه مقسما : والله لنمنعه ما بقينا *

وهذا هو الهوى الذى يزين لصاحبه أن يسوقه مساق الحكمة والحيلة ، فيزعم أنه يدفع الشر عن ابن أخيه وعن

قومه ويجنبهم مالا يطيقونه من جهاد العرب ، وأنه في
طويته ليأنف أن ينقاد لمن هو أصغر منه ، وينخشي ما يصيبه
من جراح انقياد لو سلسلت له كبرياؤه .

وليس من العليل التي تنسى في هذا المقام أنه كان زوجا
لأخت أبي سفيان ، وأن ولديه كانا متزوجين لرقية وأم كلثوم
كريمتي رسول الله ، وبين الزوجتين والزوجة من لا تهدأ ،
ولا تزال تتحين الفرصة للوقعة والتفرقة والعداء .

وأيما كان ما كان من أبي لهب فهو الشذوذ الذي يستغرب
ألا يكون وليس بالغريب أن يكون ! .

وأشهر أبناء الأسرة من غير الأعمام ابن عمه الحبيب
وابنه بالتربية علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وصفاته
وكفائاته فأخذ من كل من ساداتها بنصيب : شجاعة
وطيبة وفهم واقبال على المعرفة وإيثاق للمعروف .

أسرة لا تخرج النبوة وما خرجت قط من خير منها .

ونشأة النبي عليه السلام فيها أصدق المقدمات التي
قلنا أنها مقدمات التمهيد والتحضير .

ألا أنها كسائر المقدمات التي مهدت من جانب لتقييم
المصاعب كلها من جانب آخر .

أسرة عزيزة الآباء والأجداد ، فخرها بالنسب أعظم من
كل فخر ، وسيادتها بالخلائق الموروثة أثبت من كل سيادة .
ثم ينشأ لها من بينها نبي ينعى على الآباء والأجداد ما كانوا
عليه من ضلالة ، وينكر من الأبناء أن يسلكوا مسلكهم
ويهيئوا على آثارهم ، ويقول لهم كما قال إبراهيم :

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤

الأنبياء ٥٤

ويهيىب بمن آمن منهم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
ءَابَاءَكُمْ وَءِخْوَانَكُمْ ءَوِلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾

التوبة ٢٣

ويدعوهم أن يتبعوا ما أنزل الله لأن آباءهم لا يعقلون :

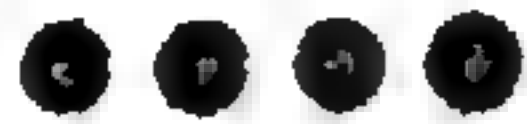
وَإِن قِيلَ لِمَنِ اتَّبَعُوا مَا أَزْك
اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٤﴾

البقرة ١٧٠

لقد نشأ محمد فى الأسرة التى تعطيه خير ما تعطى
الأسرة بنيتها •

ولكنه جاءها بالنبوة التى لا يعطيها غير الله •
وكانت الأسرة تمهيدا له فيما ورث منها •

ولكنها وما ورثت من قومها هى عقبة الأرض التى
مهدها السماء •



والدا النبي (عبد الله وآمنة) :

وتلك هي الأسرة العامة التي شملت الأجداد والأعمام
والنبي صلوات الله عليه ! مع هذه الأسرة العامة ، أسرة
خاصة من أبويه الشريفين عبد الله وآمنة *

ولم يعقب لنا التاريخ كثيرا من أنباء هذين الأبوين
الشريفين ، ولكنه أعقب لنا ما فيه الكفاية لبيان أثرهما
النفسي في وجدان والدهما العظيم *

ندرت في أبوات العظماء أبوة كأبوة عبد الله بن
عبد المطلب ونكاد نقول انها مرت بغير نظير فيما وعيناه
من تاريخ الأنبياء والهداة من كل قبيل *

فتى لم يكد ينجو من الموت ذبيحا حتى مات بعيدا عن
زوجه التي فارقها عروسا وعن ولده الذي لم تره عيناه *

لكانما وجد هذا الفتى في الدنيا ليعقب ذرية تريدها
العناية الالهية ثم يتركها في كلاءة تلك العناية لـقدر
لا تغنى عنه عناية الآباء *

وفي تاريخ الأنبياء أب عاش حتى شهد بعثة ابنه
فأنكرها وتواطأ مع قومه على خذلانها ، فبقيت ذكراه خيبة
أمل وحيرة لمن يجبل الدعوة ويجبل ابراهيم *

فأما هذه الابوة فالرحمة فيها تملأ مكان الخيبة ، والبر
بالذكرى يملأ مكان الحيرة ويتطلع وراءه الى الأسى على
الفقيد والعزاء للوليد الوحيد *

وحياة لا تشبه سجل الحوادث والخطوب ، ولكن النفس
تشبعها بما يعوضها عن حوادثها وخطوبها حبا ساينا وجمالا
يفتن فيه الحس والخيال *

وهذا الذي صنعت بهديه الحياة الصادقة فلم تدع
سيرة عبد الله حتى أودعتها من الخواطر والأمانى ما تزدهم به

أعمار طوال ، فما تمناه له المحزونون على صباه وتقواه
يفيض في جوانب سيرته حتى تمتلئ به مائة حياة *

قيل في بعض ما قيل من هذه الخواطر والآمانى « انه
لما انصرف مع أبيه بعد أن فداه بنحر مائة من الابل لرؤيا
رآها مر على امرأة كاهنة متهودة قد قرأت في الكتب يقال لها
فاطمة فقالت له حين نظرت الى وجهه - وكان أحسن رجل
في قريش لك مثل الابل التي نحررت عنك وايدل لك نفسى
لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبی
الكریم صلى الله عليه وسلم * فأجابها بقوله :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى وهب بن عبد مناف
ابن زهرة وهو يومئذ سيد زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة
وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش نسبا ووضعها ، فحملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها فمر
بالمرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها : مالك
لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالأمس ، فقالت : فارقك
النور الذى كان معك فليس لى بذلك اليوم حاجة انما أردت
أن يكون النور فى فأبى الله ألا أن يجعله حيث شاء » *

وفى أسانيد ابن هاشم أن عبد الله « انما دخل على امرأة
كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل فى طين له وبه آثار
من الطين ، فدعاها فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ،
فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به ، ثم خرج عائدا
الى آمنة ، فمر بامراته الأولى فدعته فلم يجبها ، وعمد الى
آمنة فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بامراته
تلك * فقالت له : مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء
فدعوتك فأبيت » *

قال اسحاق بن يسار صاحب الخبر : فزعموا أن امرأته
تلك كانت تحدثه أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس *

فقبلت : فدعوته رجاء أن تكون لي فأبى على ودخل على أمية
فحملت برسول الله . . » .

وجاء في غير خبر أن فتيات مكة ذهبت بهن الحسرة
لزواج عبد الله بن أمية ، وكانت كل فتاة منهن تتمناه زوجا
لها لجماله وتحدث الناس بفدائه .

وفى كل هذه الأخبار قسط من الصحة لا نهمله ولا نسوى
بين رواية السير له وبين خلوها منه ، فان مجيئه في السير
يثبت لنا معنى صادق الدلالة وان يكن غير معناه المقصود :
يثبت لنا لونا من شعور الناس بصاحب السيرة ولونا من
تغيرهم عن ذلك الشعور ، ومن كان هذا المعنى لغوا عنده
فخير له أن يتجنب السير والتواريخ .

وأما حكم الواقع على حدوث الخبر فحسبنا فيه حكم
القرآن الذي يبطل على الكهان بالغيب كما يذكره على
أعوانهم من الجان ، وفي صورة سبأ عن سليمان بن داود
عليهما السلام :

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْنِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنْ سَأَلَهَا فَلَمَّا أَخْرَجْنَاهُ مِنْ لَوْكَا أُولَئِكَ الْغَيْبُ مَا لِمَنْ
فِي الْعَذَابِ الْهَيْنِ ⑤

سبأ ١٤

والقرآن الكريم يقول في غير موضع أنه لا يعلم بالغيب
إلا الله ، ويقول بلسان النبي : ولا أعلم الغيب .

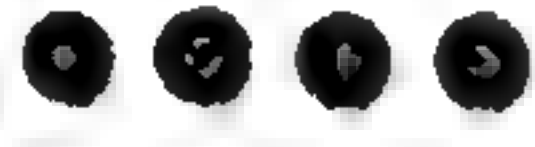
فلا كاهن يعلم من أمر الدنيا سرا من أسرار الغيب فضلا
عن أمر النبوة والرسالة ، والكهانة التي تريد أن تحمل بنبي
لا يخطر لها أن تحمل به سفاحا فيقول لها عبد الله :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه

واما آن تكون زوجه ثم لا تروى من زوجها تلك الضرة
قبل ذهابها ثم تأبى معاشرته بعد ذهابها — فليس ما يجوز
تصديقه من شئون الزواج *

فالقصة كلها ، وما شابهها من القصص ، رغبة وزبد
وزبدتها جمال عبد الله وأسى النفوس لما فاته ذلك الجمال فى
عنقوان صباه *

ولا نكران لما كان عليه عبد الله من الوسامة والوضاعة
ونضارة الشباب سواء حفظت لنا السيرة قصة من تلك
القصص أو جاءتنا غفلا منها ، فقد حفظت لنا رؤية العيان
أنه كان واخوته يطوفون بالكعبة مع أبيهم فيأخذون الأبصار،
ولم يصف الواصفون بنى هاشم بدمامة أو معابه فى الخلق
والصورة حتى فيما وصفهم به الشائنون وطلاب العيوب *



وفيما وصل الينا من سيرته قصة غير تلك القصص
لا قبل للمبالغة وحدها بأن تخلقها ، لأنها تحتاج افتنان فى
وصفها وتحتاج — مع الافتنان — الى مصلحة مفروضة تدعو
الى اختلافها ، أو علة من العلل المعروفة تفسر لنا ذلك
الاختلاق *

وتلك هى قصة النذر التى أوردناها فى الكلام عن
الكعبة وهى تقوم بديوان جامع من القصص للتعريف
بخلائق عبد الله *

وليس يكفى فى معيار النقد التاريخى أن يكون اختراع
القصة ممكنا ليقال أنها مخترعة * فان اتهام كل خبر
بالاختراع لأنه يجوز أن يسقط أخبار التاريخ كله فى
الزمن القديم وفى الزمن الحديث ، وانما يظن الاختراع
بالخبر لمسوغ يدعو الى الشك فيه ولمصلحة توجب اختراعه
وتضطرننا اضطرارا الى نفيه على ثقة أو على ترجيح *

وهذه القصة بعينها ينبغي قبل نفيها أن نعرف مصلحة المسلم أو الجاهل في اختراعها والصاقها بعبد المطلب وعبد الله ، فقد قيل انها لم تظهر في الجاهلية قبل البعثة الاسلامية .

فهل من مصلحة مسلم أن يخلق القصة ليقول ان جد النبي أوشك أن يذبح أباه قربانا للأصنام ؟

وهل من مصلحة جاهل أن يبدع الافتنان في القصة وفي وسيلة الخلاص من الفداء لينكر على سدنة الكعبة قدرتهم على استخبار آربابها ويرجع بالفصل في الوسيلة والاستخبار الى كاهنة خيبرية تفتى لهم في شئون عباداتهم وأبنائهم حيث يعجزون عن الفتيا وهم مفتقرون اليها ؟

ولم هذا التخصيص بعبد المطلب وعبد الله ؟ ومن الذي كان عنده من قدرة الافتنان في القصص مثل هذه القدرة ثم خفى أمره ولم تأت منه أفئونة مثلها في زمانها ؟

وهناك مسوغ آخر من الظن يبدو الى الذهن اذا كانت هذه القصة قد حدثت لأحد قبل عصر عبدالمطلب ثم نقلت اليه ، كما حدث كثيرا في القصص المتكررة التي تروى عن أناس متفرقين ، ولكن هذه القصة بذاتها لم ترد بها الرواية في بلاد العرب أو غيرها عن أحد غير عبد الله وليست هي مما يوضع في بلاد لم تعهد السهام وضرب القداح والفداء بالابل والتقرب الى كعبة تجمع الأصنام من «هبل» الى « نائله » الى « أساف » . فلماذا اخترعت في بلاد العرب وخص عبد الله باختراعها ؟ .

ان لم تكن هناك شبهة من هذه الشبهات ومسوغ من هذه المسوغات فقبول القصة أولى من رفضها ، وتأليفها على هذا الافتنان لغير قصد معلوم أصعب في وقوعها ، وقد تساق في معرض ترجيحها وتداولها الى منتصف القرن الأول للهجرة .

رواية للطبري يقول فيها بعد سند متصل : « ان ابن عباس سأله امرأة نذرت ذبيح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب ، وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقف ، فبلغ ذلك مروان ابن الحكم وهو أمير على المدينة فقال انهما لم يصيبا الفتيا ، ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبيح ولدها ولم يأمر بذبح الابل ، وأخذ الناس بقول مروان » .

والحق بين رفض القصة وقبولها أنه لا موجب لرفضها وليس في قبولها ما يخالف مألوفاً من مألوفات زمانها ، وقد كان نذر عبد المطلب طلباً عزيزاً من الآله يبدل له فديته ، وكان الوفاء من فضائله الماثورة وكان مع الوفاء بالنذر ايمان يسوء العقب وحذر من أن يصيب الجزاء أبناءه جميعاً فليس في هذا الوفاء خليقة لأنها فوق طاقة الانسان .

ومن ارتضى قصة النذر هذه فنصيب عبد الله عنده أعظم من نصيب أبيه لأنه سلم حياته فدية لاختوته ولم ينكص عن طاعة أب وطاعة رب ، ومن يفعل ذلك ينبىء عن ايمان قوى بالواجب وإقدام على الموت في ريعان الشباب ، وقد كان له أن يتحمل المعاذير فلا تعوزه الحيلة ، فكأى من رجل لا ينكر الدين ولا يمرق منه اذا سامه الدين ما يعز عليه ألم تتعذر عليه الحجة للتحلل من فرائضه والاجترأ على أوامره ونواهيه .

على أن الملاحظة التي تستوعب النظر من أمر هذه الأسرة القوية المباركة أن أخبارها المتناثرة التي ترسل ارسالا في المناسبات المتفرقة أدل عليها من الأخبار التي تنتظم في مناسبة واحدة وتحتمل مظنة الوضع والتأليف ، ومهما تتناثر الأخبار عن أحوالها في الجاهلية تخلص بنا الى خصلة ملحوظة في جميع هذه الأخبار وهي « النظام » الذي تتوخاه في مغاملاتها وعلاقات أفرادها على البديهة بغير تدبير مقصود .

فمن هنا كلمة ومن هناك خبر ومن جوانب شتى أحاديث وروايات وكلها ينطبع بهذا الطابع بغير شذوذ حتى حين ينتظر الشذوذ ولا يستغرب فأبو لهب نفسه - وهو الخارج على اجماع الأسرة - يآبى فى مجلس قریش أن يسام أخوه الكبير - أبو طالب - ما لم يتعوده من الطاعة والتوقير ، يحضر مجلس الأسرة فلا يزيد على كلمة يقولها حين يسمع من أخيه أنه ينصر محمداً ولا يستمع فيه للملامة بعيد أو قريب ، ثم ينصرف من المجلس وهو كظيم *

أما فى سائر مجامع الأسرة فى الطاعة والتوقير سنة لا يخالفها صغار الأسرة فى مجلس كبارها ، فإذا جلس عميدها جلسوا وراءه وصمتوا فى حضرتها لا يبدعون بالكلام إلا أن يدعوه اليه * ومن هنا عجبهم أن يقبل الغلام اليتيم الى مجلس جده فيقصد اليه ويجلس الى جواره ، وهم ما علمهم بأشفاق الجد عليه وتدليله إياه يستدعونه اليهم ليجلس معهم حتى يأمرهم الجد فيسكتوا عنه وهم لا يقلون اشفاقاً عليه *

ومن نظام الأسرة أن عبد الله خرج بعد زواجه مع أول قافلة حان موعدها ولم يتخلف عامه ذاك الى عام قابل ، وهو لما يفرغ من عرسه الذى كان خليقاً أن يطيله تلهف أبيه وآله على حياته بعد اليأس منه فى قصة النذر المشهور ، فخرج مع القافلة ولم ينقض على زفافه أسبوعان على أرجح الأقوال *

ولا شئ أشبه بالواقع المنظور فى قصة زواج عبد الله بعد الوفاء بنذره واستبقاء حياته ، فان أباه - لاجرم - قد امتلأت نفسه زمناً بشبح الموت يطوف بولده الحبيب اليه ، فليس أقرب الى خاطره من تعويض ذلك الشعور الجاثم على صدره بالاطمئنان على بقاء فتاه والغبطة بدوامه ودوام ذريته من بعده ، ولا سيما الدوام بعد النذر الذى كان مبعثه تعبير الشائنين بقلة الذرية وابتئاس الأب خوفاً من انقطاع العقب مع ولد وحيد *

واختار الأب زوجة عبد الله من بنى زهرة أحلاف بنى هاشم والمطلب فى كل خلاف : زوجه أمنة بنت وهب أعرق بنى زهرة نسبا وأكرمها محتدا ومدرة العشيرة كلها فى منجاء قريش ، وينتهى نسبه لأبيه وأمه الى عبد مناف وقد فخر رسول الله بانتسابه الى هذه الأمومة فقال :

« أنا ابن العواتك من سليم »

روى الامام أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة بعد اسناد متصل : « ان عبدالمطلب قدم اليمن فى رحلة الشتاء فنزل على جد من اليهود ، قال : فقال لى رجل من أهل الديور - يعنى أهل الكتاب - يا عبد المطلب ! أتأذن لى أن أنظر الى بعضك؟ قال : نعم اذا لم يكن عورة ، قال : ففتح احدى منخرى فنظر فيه ثم نظر فى الآخر فقال : أشهد أن فى احدى يديك علکا وفى الأخرى نبوة ، وانا نجد ذلك فى بنى زهرة فكيف ذلك؟ قلت لا أدرى ! قال هل لك من شاغة؟ قلت وما الشاغة؟ قال زوجة ! قلت أما اليوم فلا . قال : فاذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بنت مناف فولدت حمزة وصفية ، ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب أمنة بنت وهب فولدت رسول الله فقالت قريش حين تزوج عبد الله بأمنة بنت وهب فلح - أى فاز - وغلب عبد الله على أبيه » .

وهذا مثل من الأخبار التى لا تثبت على النظر وتبنى على حقيقة ثابتة وهى اتصال النسب بين آل عبد المطلب وآل وهب ، واتصال البيتين فى الحياة الزوجية لما كان من الاتصال بينهم فى الحياة العامة ، ولم يأت هذا الاتصال القديم بنبوة من ناسك فى اليمن تنكشف من النظر فى منخرين .

ثم انتقل عبد الله بعروسه من حى وهب الى حى عبد المطلب بعد أيام العرس فلم يطل فيه البقاء الا ريثما أذن مؤذن القافلة بالرحيل .

ولم يعد من رحلته الى داره . فانها كانت الرحلة الأخيرة لكل راحل أو قاعد في هذه الحياة : رحلة من ظاهر الأرض الى جوف الضريح .

وولد النبي عليه السلام بعد موت أبيه على أشهر الروايات ، فأرضعته معها ثوية جارية عمه أبي لهب ثم عهد به الى حليلة بنت ذؤيب تستتم رضاعه في بادية قومها بنى سعد على سنة العلية في أشراف مكة ما يبتغون الشاه السليمة واللغة الصحيحة بعيدا من أخلاط مكة وأهوائها . ولم يكن الطفل اليتيم على يسار لأن أباه مات في مستقبل الشباب ، ولكن أسرة أبيه وأسرة أمه تكفلتا بنشأته كما ينشأ أبناء السراه من قريش فأخذته المرضعة بعد تردد ، ثم أعادته الى مكة قبل أن يبلغ الثالثة ، لأنها سمعت من ابنها أن أخاه القرشي قد صرع وهو معه ، وأن رجلين أخذاه فاذا هما يشقان بطنه ولا يزالان يسوطانه ! .

فلما ذهبت اليه حيث تركه ابنها وجدته قائما ممتقع الوجه ، فبادرت به الى مكة مخافة عليه ، طلبت اليها أمه أن تعود به الى البادية تخشى على الطفل من هواء البلد ولا تخشى عليه من ذلك الخطر الذي خشيته المرضع الرعوم ، بعدها سمعته من ابنها وراثة من امتقاع لون الوليد القرشي وقيامه منفردا في الخلاء ، فلما عادت به الى البادية أتم رضاعه فيها ، ولبت معها الى الخامسة أو قبلها بقليل . وتكلم وجرى لسانه بالعربية الفصحى وهو بين بنى سعد فذاك فخره بعد النبوة اذ يعجب الصحابة من فصاحته فلا يرى عليه السلام عجبا في فصاحة عربي نشأ في بنى سعد وتربى في الذؤابة من قريش .

ولم يكد الصبي يطمئن الى جوار أمه بعد عودته من البادية حتى فقدوها وهما في زيارة لقبر أبيه في المدينة . وما كان قد بقى في الدنيا للفتاة الأيم غير هذا الصبي وذكرى أبيه الراحل في غربتين : غربة الموت وغربة المكان .

فخرجت به ضيفا تزور الفقيد الراحل فى مشواه
وتحسبه مشوقا تحت طباق الأرض الى رؤية الوليد الذى لم
تبصره عيناه تحت شمس النهار •

وكذلك تزيد الوليد اليتيم أباه •

فلما قضت حق الزيارة ولبثت فى جيرة أخوال عبد الله
شهرًا أو بعض شهر ، قفلت بولدها راجعة الى مكة ، فماتت
ودفنت فى الطريق •

فكل ما وعته السيرة من مرضها أنها وعكت من لفحة
السموم فلم تطل بها الوعكة غير أيام •

ومن اليسير أن نعلم وقع هذه الفاجعة فى نفس الصبى
اليتيم ، يتجدد له مصابه فى أبيه ، فلا يكاد يبرح ضريحه
حتى يقف على ضريح أمه مهجورا فى عرض الطريق •

الا أن هذه الفاجعة بما تدل عليه أهم ما فى دراستنا هذه
مما خلفته فى نفس الصبى الصغير •

مصابه فى أبيه ومصابه فى أمه ، ولم يزل صبيا صغيرا
حين أطبق عليهما مصابه فى جده الذى ضمه اليه بعد فقد
أبويه •

لو نفس صغيرة تتابعت عليها هذه الضربات فى صباها
لسحققتها واستنزفت كل ما جوته من عطف وأمل ، فلا تعيش
— ان عاشت بضرباتها — الا كما يعيش الأشباح فى ظلمات
الحياة •

فاذا وجبت لنا وقفة عند هذه الضربات التى تلقاها
الصبى ، فأول ما نقف لديه وأولاده بالوقوف الطويل انها
دلالة على القوة فى مكنها وعلى الروح العظيم الذى تجلى بعد
ذلك فى تاريخ بنى الانسان ، كفؤا لأعظم الأعباء وأفدح
الخطوب به •

وتلى ذلك وقفنا أمام العطف الذى أفادته تلك النفس
القوية من ضربات تستحق ما دونها وتنزف منها كل عاطفة
وأمل .*

وقد خرج الصبى من تلك الضربات القاصمة بالعاطفة
الزاهرة التى تشمل العالمين ، عالم الحياة وما بعد الحياة ،
من كان أحب الناس إليه فى عالم آخر لا تبديه له هذه
الحياة ، وجاءت بعثته الى الناس كافة .

بسم الله الرحمن الرحيم *

ولعله أول فتح أطل عليه من فتوح عالم الغيب ، فاستمد
منه بعد ذلك قوته التى دان لها هذا العالم المشهود *

دنياه بعد ذلك أوسع من دنيا الناس وأعم من دنيا
الأحياء ، وحاجز الموت عنده برزخ تتصل به الدنيا والآخرة
ويعيش فيه الحى والميت ، ولا ينتقل فيه الخلق فى دنياهم
ليهلكوا آخر الدهر بل يعيشوا آخر الدهر خالدين *

وقليل من جنب هذا فائدة العطف الذى عهدناه من
صباه الى ختام حياته يحيط به كل انسان وكل شىء
شئ *

وانما يترجم عنه عطفه الذى لم يحرمه أحد قط من
صاحب أو صديق *

ولا ندع الكلام على الأسرة النبوية وفى الخاطر سؤال
يوحى إلينا أن نسأله وأن نجيب عنه ما أستطيع الجواب *

لقد مات عبدالله وآمنة ولم يجاوزا الخامسة والعشرين
ولا يكون الموت فى هذه السن الا علامة الضعف والهزال ،
ان لم يكن من مرض يستنفد الأجل فى عنفوان الشباب *

فهل كان محمد عليه السلام سليل أبوين ضعيفين
هزيلين ؟

ان لم تكن غرابة الالتقاء بين الأبوين على هذا الضعف
كافية لدفع هذا الظن ، فلا حاجة الى دافع له غير حياة الوليد
بما استوفته من قوة الروح وقوة الجثمان *

وقد سأل أناس من كتاب الضرب عن هذا السؤال ،
وخيل اليهم أنهم وجدوا جوابه فى قصة الصرع المزعوم قبل
الفتام وفيما كان يعرفونه من برحاء الوحي التى وصفها
الأقربون منه ، وأيسرها أنه كان عليه السلام يردد ويضطرب
ويتقاطر منه فى اليوم الثانى عرق كحلب الجمان *

وعجيب أن يصاب الانسان بصرع لا يعرفه غير مرة
واحدة فى سن الرضاع ، ثم لا يعاوده مرة أخرى الى قرابة
الأربعين *

وأعجب منه أن يصاب بعد الأربعين فى حال واحدة
حين يتلقى الوحي ثم لا يصاب به مرة فى غير ذلك الحال *

ولكنه ليس بالعجيب أن تجيش بنية اللحم والدم من
أعماقها فى غاشية كفاشية الوحي كائنا ما كان قوام البدن
الذى تغشاه *

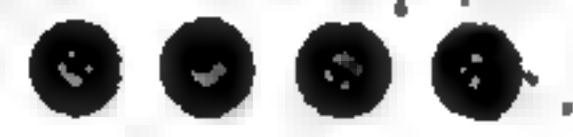
ولا نعلم أن أحدا من الأنبياء وصف لنا كما وصف محمد
عليه السلام فى كل لحظة وفى كل حركة من حركاته ، وفى
يقظته ورقاده ، وفى حديثه وصمته ، وفى جلوسه ومسيره ،
وفى ركوبه وترحله ، فلم تكن له صفة قط فى كل أولئك غير
صفة البنية السوية والخلق القويم *

كان باتفاق جميع واصفيه ، فوق المربع بعيد ما بين
المنكبين ، غزير الشعر تلمس جمته شحمة أذنيه ، شئن الكفين
والقدمين ضخم الكراديس — أى ملتقى العظام — ولم يكن
بالمطهم ولا بالمكثم *

أدعج العينين أحذب الأشفار ، اذا مشى تقطع كأنما
ينحط من صبيب ذريع الخطوة سائل الأطراف والنطق أبين
عن حالات الصرع من سائر الصفات وما وصف منطلق النبي
بشيء ينم على اضطراب في غضب أو في عضل ، أو ينبىء عن
عرض من الأغراض غير سليم أو قوي : كان ضليع الفم ،
يتكلم بكلام بين فصل مفسر *

اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها ، واذا تحدث
اتصل بها - (أى صحب كلامه بما يوافقه من حركاته) - واذا
غضب أعرض وأشاح ، واذا فرح غص طرفه ، جل ضحكه
التبسم ليس بصخاب ولا يرتفع له صوت فى غير دعاء *

وهذه صفات كلامه من أكثر من عشرين مصدرا جمعها
أبو عيسى الترمذى صاحب الشمائل المحمدية ، ولم يأت بين
ثنائها مساعً اشتباه فى عرض من أعراض خلل الصرع
والاضطراب ، بل هى كلها تأكيد للمنطق السليم والخلق
القويم *



الله أعلم حيث يجعل رسالته

وقد جعلت رسالة محمد حيث ينبغي أن تكون - خلقا
وخلقا - من ميراث الزمن وميراث الأجداد والآباء ، فكل خلق
وصف به فهو الصالح لأداء رسالته والنهوض بأمانته ، ان
تكن ضريبة من ضرائب العظمة الكبرى - ولا بد لها من
ضريبة فتلك هى النقص فى نسله ليستوفى التمام من أمر
هذه الذرية الباقية الى يومنا ، وبعد يومنا ، جامعة واعية
لكل تابع من تابعيه وكل مولود فى عالم الضمير من بنيه وغير
بنيه *

وانه لعل خلق عظيم وانه لعل خلق قويم

ثالثا : أطوار حياته صلى الله عليه وسلم

١ - الطور الأول (من ولادته الى النبوة) :

(أ) ميلاده :

حملت به أمه السيدة أمية بنت وهب في أول رجب -
وبعد شهرين من جملة توفي أبوه عبد الله في المدينة عند
أخواله بنى النجار وعمره ثمانى عشرة سنة عقب ذهابه الى
تجارة في الشام .

ولما تمت مدة الحمل ولد عليه الصلاة والسلام بمكة في
دار أبى طالب في صباح يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع
الأول ، وقيل : صباح اليوم التاسع من هذا الشهر الموافق
٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام على
ما حققه المرحوم محمود باشا الفلكى .

وهذا اليوم يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل
المشهورة ، أى العام الذى حبس الله فيه الفيل عن دخول
مكة لهدم الكعبة كما كان يقصد (أبرهة) قائد جيش
النجاشى الحبشى فدمرهم الله أشنع تدمير ، وجعل كيدهم فى
تضليل ، اكراما لولادته عليه الصلاة والسلام . وقد جاء ذكر
هذه القصة فى القرآن الكريم :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ⑤

(الفيل : ١ - ٥)

وقال فنى حمله وولادته (حسان بن ثابت) الشاعر
العظيم :

« تالله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل الرسول نبي الأمة الهادى »

وقال المرحوم شوقى بك فى قصيدته الشهيرة بالهمزية :
« ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء »

وقد دلت الروايات الصحيحة على اتصافه صلى الله عليه
وسلم حين ولادته بصفات تليق بمقامه السامى ، اذا ولد
نظيفا ليس عليه من أقدار الولادة شئ مدهونا مكحولا
يعلوه النور والبهاء ، واضعا يديه على الأرض رافعا رأسه ،
رامقا بطرفه الى السماء *

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« رافعا رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سؤدد ايماء »
« رامقا طرفه السماء ومرمي

عين من شأنه العلو العلام »

أى برز عليه السلام الى هذا الوجود رافعا رأسه ، وفى
ذلك الرفع الذى هو أول فعل وقع منه عليه السلام (ايماء)
واشارة الى كل رفعة وسعادة * ورامقا ببصره الى جهة العلو
ايماء الى أنه لا يقصد الا أعلى المراتب ، اذ من شأنه العلو
لا يقصد الا جهاته *

« وتدلّت زهر النجوم اليه فأضاعت بضوئها الأرجاء ».

أى قد دنت الكواكب المضيئة يوم ولادته فأضاعت
بأنوارها النواصى والدليل على ذلك أنه روى البيهقى عن
(فاطمة الثقفية) انها قالت :

لما حضرت ولادة النبي عليه الصلاة والسلام : رأيت
البيت حين وضع قد امتلأ نورا ، ورأيت النجوم تدنو حتى
ظننت أنها ستقع على .

وروى : أن أمه ، عليها السلام ، رأت حين وضعت نورا ظهرت
به قصور الشام فرأتها في مكة وهذا معنى قول البوصيري
رحمه الله .

« وتراءت قصور قيصر الروم يراها من دار البطحاء »



العجائب التي ظهرت يوم ولادته :

وفي ليلة ولادته شاهد الكثيرون ما يدل على شرفه وعظيم
قدره من العجائب والآيات الباهرات فلما أشرقت أنواره
عليه السلام تتابعت بشائر الهاتفين بولادته ، وثبت السرور
بطلعته وأشرف على السقوط (ايوان كسرى) وانشق
وسقطت شرفاته ، وخمدت نار فارس أي انطفأت النار التي
كانوا يعبدونها ويوقدونها ألف سنة ، ولم يطفأ لها لهب ،
لأنهم كانوا مجوسا ، وكان ذلك غما وبلاء عليهم ، خمود
تلك النيران العظيمة ، وقد أدركوا أن ذلك لأمر عظيم حدث
في العالم ، وهو ولادة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وكذا ظهر في تلك الليلة جفاف عيون الفرس ، كان
الماء الذي كان بها فاض وأطفأ نيران بيوت الفرس .

وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« ليلة المولد الذي كان للدين

سرور بيومه وازدهاء »

« وتوالت بشرى الهواتف أن قد

ولد المصطفى وحق الهناء »

« وتداعى ايوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء »

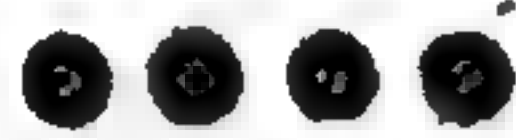
« رغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء »

« وعيون للفرس غارت فهل كان
لنيرانهم بها اطفاء ؟ »

« مولد كان منه فى طالع الكفر
... وبنال عليهم ووباء »
وقد امتازت وفازت السيدة آمنة بما لم تفز به النساء
من الفخار حتى حواء ، ولذا قال البوصيرى رحمه الله :

« فهنئنا به لآمنة الفضل
الذى شرفت به حواء »

« يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار ما لم تنله النساء »



(ب) تسميته صلى الله عليه وسلم :

ولما ولد عليه الصلاة والسلام أرسلت أمه السيدة آمنه
لجده تبشره فأقبل مسرورا وسماه *

« محمد »

ولم يكن هذا الاسم شائعا من قبل عند العرب ، ولكن
أراد الله أن يحقق ما ذكره سلفا في الكتب التي جاءت بها
الأنبياء ، كالتوراه والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك
انفاذا لأمره *

رضاعه وفطامه وما حصل فيهما من المعجزات :

أرضعته أمه السيدة آمنه نحو ثلاثة أيام ثم (ثوية)
مولاة عمه أبي لهب ثم (حليلة السعدية) التي اختارها
جده عبد المطلب مرضعة له ، وهي من قبيلة (هوازن)
المشهورة في العرب بالعراقة وكمال الشرف ، واسم زوجها
(أبو كبشة) وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول ﷺ
حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون « هذا ابن أبي كبشة »
يكلم من السماء ، فأخذته حليلة السعدية ، ورجعت به الى
قبيلتها ، وبقي عندها الى الفطام وبعده بسنتين أيضا *

وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« واذا سخر الآله أناسا لسعيد فانهم سعداء »

وقد ظهرت في زمان رضاعه أشياء شبيهة بالمعجزات
لا يستطال اخفاؤها وكتمانها عن الأبصار اذا امتنعت عن
رضاعه المرضعات ، وأعرضن عنه ليتمه وقلن : انما تركناه
لأننا نبني المعروف والخير من آباء الرضعاء ، وأما الأم

والجد فليسا كذلك ، وقد آتته حليلة السعدية وكانت فقيرة ،
ولا يرضى أحد من الأهالي أن يعطيها ابنه لارضاعه ، لأن
الفقر يستلزم قلة الأكل ، وهو يستلزم قلة اللبن المضر
بالرضيع عادة ، فأرضعت النبي عليه السلام لبانها ، وبسبب
هذا الارضاع لهذا المولود السعيد المحمود ، در عليها وبنيتها
الشيء من الغنم البانها ، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من
الجوع ، وبعد أن كانت هذه الشيء هزيلات لا لبن فيها
أصلا ، فببركته عليه السلام استحالت حالها في أقرب وقت
وليس بها هزال ، وكثر مرعى الدواب عند حليلة بعد يبس
الأرض من الكلا والزرع ، وذلك بسبب انها ترضع النبي
عليه السلام بلبنها ، ولأن البركة والرحمة تحلان حيث يكون
الرسول ﷺ :

★ وفي ذلك يقول الامام البوصيري رحمه الله :

« وبدت في رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء »
« اذ آتته ليتمه مرضعات
قلن ما في
« فأتته من آل سعد فتاة
قد آبتها لفقرها الرضعاء »
« أرضعته لبانها فسقاها
وبنيها البانهن الماء »
« أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء »
« أخصب العيش عندها بعد قحل
اذ غدا للنبي منهما غداء »

وبعد أن انتهت مدة رضاعته لبلوغه سنتين أتت به جده
عبد المطلب وقد أصابها من أجل فطامه التألم الشديد لما

شاهدت من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب اقامته
عندها .

« وأتت جده وقد فصلته
وبها من فصاله البرجام »



(ج) علامات مولد عالم :

كان عالماً متداعياً قد شارف النهاية . . خلاصة ما يقال
فيه أنه عالم فقد القصيدة كما فقد النظام .

أي انه فقد أسباب الطمأنينة في الباطن والظاهر :
طمأنينة الباطن التي تنشأ من الركون الى قوة الغيب ، تبسط
العدل وتحمي الضعف ، وتجزى الظلم وتختار الأصلح
الأكمل من جميع الأمور .

وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من الركون الى دولة تقضى
بالشريعة ، وتفصل بين البغاه والأبرياء ، وتحرس الطريق
وتخيف العابثين بالفساد .

بيزنطة قد خرجت من الدين الى الجدل العقيم الذي
أصبح بعد ذلك علماً عليها ، وتضاءلت سطوتها في البر
والبحر حتى طمع فيها من كان يحتمى بجوارها .

وفارس قد سخر فيها المجوس من دين المجوس . .
وكننت حول عرشها كوامن الغيلة ، وبواعث الفتنة ونوازع
الشهوات .

والحبشة ضائعة بين الأوثان المستعارة من الحضارة
تارة ومن الهمجية تارة ، وبين التوحيد الذي هو ضرب من
عبادة الأوثان . . ثم هي بعد هذا التشويه في الدين ،
ليست بذات رسالة في الدنيا ولا بذات طوز من أطوار
التاريخ . . فليس لها عمل باق في سجل الأعمال الباقيات .
عالم يتطلع الى حال غير حاله . . عالم يتهيأ للتبديل أو
للهدم ثم للبناء .

أمة:

وبين هذه الدول المتداعيات أمة ليست بذات دولة ولكنها تتأهب لاقامة دولة .. هي أمة العرب وقد تيقظت لوجودها وشعرت بمكانتها ، كما شعرت بالخطر عليها وبمواضع النقص منها .

فى أيديها تجارة العالمين كلها .

فاذا سارت القوافل من خليج فارس الى بحر الروم ،
فهى تسير فى البادية بين حراس من العرب لا سلطان عليهم
للدول المتداعية . أو هم قد شعروا بذلك السلطان حينما فى
ايان الصولة الرومانية والصولة الفارسية ثم علموا أنهم
مالكون لزمانهم يرضون فتصل الأرزاق بين المشرق والمغرب
وبين المغرب والمشرق ، يفضبون فتبور التجارة ويتضب
المورد وتكسد الأسواق .

واذا سارت القوافل من اليمن الى الشام أو من بحر
القلزم الى بحر الروم فهى جيدة الاعراب من كلا الطرفين .
أمة تيقظت لوجودها ، وعرفت شأنها بين من يحدقون
بصحرائها ..

ثم رأت هؤلاء المحيطين بها يجرون عليها ، ويريدون
اخضاعها وابتلاعها .

فهرقل الرومى يرسل الى مكة من يحكمها ، وأبرهة
الحبشى يزحف الى مكة بمن يهدم كعبتها ويستبدل بها كعبة
غيرها ، وفارس تطفى على شرق البلاد وعلى جنوبها .

خطر من خارجها ، يزيد الأمة يقظة وانتباها لوجودها .

وخطر من داخلها ، يدفع بها الى الزوال أو الى استكمال
النقص المستشرى فى حياتها ..

مدينة واحدة تجتمع فيها ثروة الجزيرة ، وعصبة
واحدة من سادة القوم تجتمع فى أيديها ثروة المدينة .

حالة لا استقرار فيها . .

فمن هنا الترف ، والطمع ، والخمر ، والقمار ،
والمتعة ، وتسخير الأقوياء للضعفاء . . ومن هنا الفاقة ،
والحسرة والشك الذي يستجهم ويستكين .

فحيثما اجتمع أناس من أولى الرأي يذكرون العقيدة
وطمأنينة الضمير ، فهناك هاتف بينهم بسوء ما هم عليه .
اجتمع أناس بنخلة لاهياء عيد العزى ، فقال رجل منهم
لأخوانه : « والله ما قومكم على شيء وانهم لفي ضلال . . فما
حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، ومن
فوقه يجرى دم النحور ، يا قوم التمسوا لكم ديناً غير هذا
الدين الذي أنتم عليه » . . ثم تفرقوا ، فمنهم من تنصر ،
ومنهم من اعتزل الأوثان ، ومنهم من انتظر حتى سمع دعوة
الاسلام فلباها . . وكان الذي تنصر وسمع دعوة الاسلام
ورقة بن نوفل الذي كتب له أن يتلقى بشارة النبي العربي
عند ظهوره ويلقى اليه بالبشارة .

هؤلاء شكوا وبحثوا عن العقيدة وطمأنينة الضمير . .

وغيرهم شكوا وبحثوا عن وازع من الضمير ، ووازع
من السلطان ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم يتعاهدون
باسم الله المنتقم ليكونن مع المظلوم حتى يؤدي حقه . وذلك
حلف الفضول الذي شهدته النبي العربي في شبابه وقال فيه :
« ما أحب أن يكون لي بحلف حضرتي في دار ابن جدعان
حمر النعم » .

حالة لا تستقر ، ولا تزال في طلب الاستقرار . .

وأمة يقظى ! . .

وخطر محقق بها مما حولها ، ومما هو في دخالها
واحشائها . .

حالة تنذر بالزوال ، وقلما تزول أمة يقظى في أوان
انتباهها ، فتلك أذن حالة للتبديل والتجديد . .

وقبيلة فى تلك الأمة ، فى تلك المدينة .. لها شعبتان :

أحدهما من أصحاب الثرى والطمع واستبقاء ما هو قائم كما كان قائما على هواها .

والأخرى من أصحاب التقوى والسماحة والتوسط بين مقام القوى الذى يجود ويطفى ويستبقى أداة الجور والظلم ، ومقام الضعيف الذى يتحمل الأذى ويصبر على الكريهة ، ولا يملك مع السيد الأمر إلا أن يدع له ويأكل من فضلات يديه .

وبيت من تلك الشعبة الوسطى له كرم النسب العريق وليس له لؤم الثروة الجامحة والكبرياء الجائحة والقسوة على من دونه من المحرومين .

ذلك هو بيت عبد المطلب من صميم قريش ومن ذؤابتها العليا ، وإن لم يكن معدودا من أثرياء القبيلة القرشية فى ذلك الأوان ..

ورأس هذا البيت - عبد المطلب - رجل قوى الخلق قوى الايمان فيما آمن به ، حكيم مع قوة طبعه وشدة ايمانه خليق أن ينبجى العقب الذى يبشر بدعوة ويفصح عن دين .

نذر لئن عاش له عشرة بنين لينحرن أحدهم عند الكعبة . ثم أحله قومه وأحلتها العرافة من نذره ، فأبى أن يتحلل حتى يستوثق من رضى الرب ورضى ضميره . سألتهم العرافة : « كم الدية فيكم ؟ » قالوا : عشر من الابل قالت : « فتقربوا اذا بعشر من الابل وأضربوا على الفتى وعليها بالقдах . » فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم » فما زالوا يزيّدون حتى بلغت الابل مائة وخرجت القдах عليها . فهتفت قريش بعبد المطلب : « لقد رضى ربك . » فأطلق فتاك . وكان خليقا بمن يريد أن يتحلل ويتعلل أن يقبل ولا جرج عليه ولكن عبد المطلب لم يكن من المتحللين المتعللين ، فأبى إلا أن يضرب عليها القдах ثلاث مرات ، ثم نحرت الابل للجياح من الأناسى والسباع .

وجاء القائد الحبشى يهدم الكعبة ويسطو على الابل والشاه . . فلما سأل عبد المطلب أن يرد اليه ابله ، قال له مقال السياسى المحرج المدوار بالكلام « أراك تسأل عن ابلك ولا تسأل عن الكعبة » فأجابه عبد المطلب جواب الحكيم المؤمن : « أما الابل فأنا ربها ، وأما البيت فله رب يحميه ! »

وكان ايمانه ايماننا كفوًا لدهام السياسة ، ولم يكن ايمان العجز والتواكل والاستسلام . . ومن كان له هذا الخلق ، وهذا الضمير ، وهذا الايمان ، وهذه الرئاسة ، فليس من عجب أن ينبج نبيا فى زمان يستدعى الأنبياء ، ومكان مهيا لهم دون كل مكان . . . بل العجب أن يكون الأمر غير ما كان .

واذا كان عبد المطلب جدا صالحا لنبي كريم ، فأبنه عبد الله نعم الأب لذلك النبي الكريم . .

لأنما كان بضعه من عالم الغيب ، أرسلت الى هذه الدنيا لتعقب فيها نبيا وهى لا تراه . . . ثم تعود .

كان انسانا من طينة الشهداء ، يتجه اليه القلب الانسانى بكل ما فيه من حب وحنو ورحمة . فهو الفتى الذى اسمه عبد الله والذى اختير للفداء ، فجاشت له شفقة قومه حتى تركه لهم القدر الى حين ، هو الفتى الذى تحدثت الفتيات فى الحدور بوسامته وحيائه ، هو الفتى الذى تحدثت نعمن منه بنعمة الزواج . وهو الفتى الذى أقام مع عروسه ثلاثة أيام ، ثم سافر ليتجر فاذا هى السفرة التى لا يثوب منها الذاهبون . وهو الفتى الذى مات وهو غريب ، وولد له نسله الكريم وهو دفين . وهكذا تتمثل البصائر الخاشعة آباء الأنبياء والسلالة التى تصل بين الآخرة والدنيا وبين عالم البقاء وعالم الفناء .

عالم يتطلع الى نبي . . وأمه تتطلع الى نبي ، ومدينة تتطلع الى نبي ، وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لانجاب ذلك النبي .

ثم ها هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر في صفاته
ومقدماته ، ولا يدانيه رجل آخر في مناقبه الفضلى التي
هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة وفي الجزيرة
وفي العالم بأسره .

نبيل عريق النسب . . . وليس بالوضع الخامل ، فيصغر
قدره في أمة الأنساب والأحساب . . .

فقير وليس بالفنى المترف فيطفيه بأس النبلاء الأغنياء
ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار .

يتيم بين رحماء . فليس هو بالمدلل الذى يقتل فيه
التدليل ملكة الجد والادارة والاستقلال ، وليس هو بالمهجور
المنبوذ الذى تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس
وسليقة الطموح ، وفضيلة العطف على الآخرين .

خبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش في
البادية والحاضرة . . . تربى في الصحراء وألف المدينة ،
ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف ،
واقترب من السراة ولم يبتعد عن الفقراء .

فهو خلاصة الكفاية العربية في خير ما تكون عليه
الكفاية العربية .

وهو على صلة بالدنيا التي أحاطت بقومه . . . فلا هو
يجعلها قيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق في
لجتها .

أصلح رجل من أصلح بيت في أصلح زمان لرسالة
النجاة المرقوبة ، على غير علم من الدنيا التي ترقبها .

ذلك محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

قد ظهر والمدينة مهياة لظهوره لأنها محتاجة اليه ،
والجزيرة مهياة لظهوره لأنها محتاجة اليه ، والدنيا مهياة

لظهوره لأنها محتاجة اليه ، وماذا عن علامات الرسالة اصدق من هذه العلامة ؟ وماذا عن تدبير المقادير اصدق من هذا التدبير ؟ وماذا عن أساطير المخترعين للأساطير أعجب من هذا الواقع ومن هذا التوفيق ؟ علامات الرسالة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة ، وهي أسباب تتمهد لظهورها ، وهي رجل يضطلع بآمانتها في أوانها .

فإذا تجمعت هذه العلامات فماذا يلجئنا الى علامة غيرها ؟ وإذا تعذر عليها أن تجتمع فأى علامة غيرها تنوب عنها أو تعوض ما نقص منها ؟

خلق محمد بن عبد الله ليكون رسولا مبشرا بدين ، والا فلاى شيء خلق ؟ ولأى عمل من أعمال هذه الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوفيقات ، وكل هاتيك المناقب والصفات ؟

لو اشتغل بالتجارة طول حياته كما اشتغل بها فترة من الزمن ، لكان تاجرا أميناً ناجحاً موثقاً به في سوق التجار والشراة ولكن التجارة كانت تشغل بعض صفاته ، ثم تظل صفاته العليا معطلة لا حاجة اليها في هذا العمل مهما يتسع له المجال .

ولو اشتغل زعيماً بين قومه لصلح للزعامة ، ولكن الزعامة لا تستوفى كل ما فيه من قوة واستعداد . .

فالذى أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية لا سواها ، وما من أحد قد أعد هذه الدنيا لرسالة دينية ان لم يكن محمد قد أعد لها أكمل اعداد .

والمؤرخون يجهدون أقلامهم غاية الجهد في استقصاء بشائر الرسالة المحمدية . . يسردون ما أكده الرواة منها

وما لم يؤكدوه ، وما قبله الثقات منها وما لم يقبلوه ، وما
أيدته الحوادث أو ناقضته ، وما وافقته العلوم الحديثة أو
عارضته ، ويتفرقون في الرأي والهوى بين التفسير والایمان
وتفسير العيان وتفسير المعرفة وتفسير الجهالة ، فهل
يستطيعون أن يختلفوا لحظة واحدة في آثار تلك البشائر
التي سبقت الميلاد أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة
واستفاض أمر الاسلام .

لا موضع هنا لاختلاف .

فما من بشارة قط من تلك البشائر كان لها أثر في
اقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبي بالرسالة ، أو كان
ثبوت الاسلام متوقفا عليها .

لأن الذين شهدوا العلامات المزعومة يوم الميلاد ، لم
يعرفوا يومئذ مغزاها ومؤداها ، ولا عرفوا أنها علامة على
شيء أو على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة .

ولأن الذين سمعوا بالدعوة وأصاخوا الى الرسالة بعد
البشائر بأربعين سنة ، لم يشهدوا بشارة واحدة منها ولم
يحتاجوا الى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا
اليه .

وقد ولد مع النبي عليه السلام أطفال كثيرون في
مشارك الأرض ومغاربها ، فإذا جاز للمصدق أن ينسبها الى
مولده ، جاز للمكابر أن ينسبها الى مولد غيره . ولم تفصل
الحوادث بالحق بين المصدقين والمكابرين الا بعد عشرات
السنين يوم تأتي الدعوة بالآيات والبراهين غنية عن شهادة
الشاهدين وانكار المنكرين .

أما العلاقة التي لا التباس فيها ولا سبيل الى انكارها ،
فهى علامة الكون وعلامة التاريخ .

قالت : حوادث الكون : لقد كانت الدنيا فى حاجة الى رسالة .

وقالت : حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة .

ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ .

(د) عبقرية الداعى :

(الفصاحة)

اتفقت أحوال العالم اذن على انتظار رسالة .

واتفقت أحوال محمد على ترشيحه لتلك الرسالة .

وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وأحوال محمد ،
ولا تتفق معها الوسائل التى تؤدى بها رسالته على أحسن
الوجوه .

كان من الممكن أن ينتظر العالم الرسول ، ثم لا يظهر
الرسول .

وكان من الممكن أن يظهر الرسول فى البيت الصالح
وفى البيئة الصالحة ثم لا تنتهيا له الصفات التى يتم بها أداء
الرسالة .

ولكن الذى اتفق فى رسالة محمد قد كان أعجب
أعاجيب الاتفاق وكان المعجزة التى تفوق المعجزات ، لأنها
مع ضخامتها وتعدد أجزائها وتوافق تلك الأجزاء جميعها ،
مما يقبله العقل قبولا سائغا بغير عنت ولا استكراه فكان
محمد مستكملا للصفات التى لا غنى عنها فى انجاح كل
رسالة عظيمة من رسالات التاريخ .

كانت له فصاحة إلسان واللغة .

وكانت له قوة الايمان بدعوته وغيرته البالغة على نجاحها .

وهذه صفات الرسول غير أحوال الرسول ، ولكنها هي التي عليها المدار في تبليغ الرسالة ، ولو اتفقت فيما عداها جميع الأحوال .

فالفصاحة صفة تجتمع للكلام ، ولهيئة النطق بالكلام ، ولموضوع الكلام ، فيكون الكلام فصيحاً وهيئة النطق به غير فصيحة ، أو يكون الكلام والنطق به فصيحين ، ثم لا تجتمع لموضوعه صفة الفصاحة السارية في الأسماع والقلوب .

فكان أعرب العرب ، كما قال عليه السلام : « أنا قرشي واسترضت في بني سعد بن بكر » .

فله من اللسان العربي أفصح به هذه النشأة القرشية البدوية الخالصة ، وهذه هي فصاحة الكلام .

ولكن الرجل قد يكون عربياً قرشياً مسترضعاً في بني سعد ويكون نطقه بعد ذلك غير سليم ، أو يكون صوته غير محبوب ، أو يكون ترتيبه لكلماته غير مأنوس فيتاح له الكلام الجميل ثم يعوزه النطق الجميل .

أما محمد فقد كان جمال فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه ، وخير من وصفه بذلك عائشة رضي الله عنها حين قالت : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يخفظه من جلس إليه » .

واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها وقدرته على ايقاعها في أحسن مواقعها ، فهو صاحب كلام سليم في منطلق سليم .

ولكن الرجل قد يكون عربيا قرشيا مسترضعا في بنى
سعد ويكون سليما في كلامه سليما في نطقه * ثم لا يقول
شيئا يستحق أن يستمع اليه السامع في موضعه *

فهذا أيضا قد تنزه عنه الرسول في فصاحته السائفة
من شتى نواحيها * * فما من حديث له حفظه لنا الرواة
الثقات الا وهو دليل صادق على أنه قد أوتي حقا « جوامع
الكلم » ورزق من فصاحة الموضوع كفاء ما رزق من فصاحة
اللسان وفصاحة الكلام *

الوسامة والثقة :

وكانت له مع الفصاحة صباحة ودمائة تحببانه الى كل
من رآه ، وتجمعان اليه قلوب من عاشروه * وهي صفة لم
يختلف فيها صديق ولا عدو ، ولم ينقل عن أحد من أقطاب
الدنيا أنه بلغ بهذه الصفة مثل ما بلغه محمد بين الضعفاء
والأقوياء على السواء *

وحسبك من حب الضعفاء اياه أن فتى مستعبدا يفقد
أباه وأسرته - كزيد بن حارثة - ثم يظهر له أبوه بعد طول
الغيبة ، فيؤثر البقاء مع محمد على الذهاب مع أبيه *

وان خادم خديجة رضى الله عنها - ونعنى به ميسرة -
يقدمه ليبشر سيدته بالربح والتوفيق في تجارتها ، وهو أولى
أن ينفس عليه وأن يدعى لنفسه ما اختصه به الفضل
والتقديم * *

وحسبك من حب الأقوياء اياه انه جمع على محبته اناسا
بينهم من التفاوت في المزاج والخصال ما بين أبى بكر وعمر
وعثمان وخالد وأبى عبيدة ، هم جميعا من عظماء الرجال *

ولكن الرجل قد يكون صبيحا دمثا محبوبا ، ولا يكون
له من ثقة الناس واثمانهم اياه نصيب كبير * * لأن الرجل

المحبيب غير الرجل الموثوق به ، اذا اتفقت الخصلتان حيناً ،
فمن الجائز أن تفترقا حيناً آخر لأنهما في عنصر الخصال
لا تتلازمان * .

أما محمد فقد كان جامعاً للمحبة والثقة كأفضل ما
تجتمعان ، وكان مشهوراً بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته
وحنانه * . وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه كما
شهد بهما أحبابه وموافقوه * . وامتلاً هو من العلم بمنزلة من
ثقة القوم ، فأحب أن يستعين بها على هدايتهم وترغيبهم في
دعوته ، فكان يسألهم : « رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح
هذا الجبل أكنتم تصدقونني ؟ » ويقولون : « نعم ما أنت
عندنا غير مهم » * .

الا أن الانسان ينفّر مما يصدمه في مآلوفاته
وموروثاته ، ولو صدقه وقام لديه ألف برهان عليه * . فلم
يكن عيباً لقوم أنهم لا يصدقون محمداً ولا يعلمون فيه
الشرف والأمانة ، وانما كان يهم أنهم ينفرون من التصديق
كما ينفّر المرء من خبر صادق بسوأة فيمن يحب أو فيما
يحب ، وهو مفتوح العينين ناظر الى صدق ما يلقي اليه * .

الايمان والغيرة :

ومن المحقق أن هذه الموافقات على كثرتها ، وهذه
الشمائل على ندرتها ، لا تزال تتوقف على صفة أخرى يحتاج
اليها الداعي أشد من احتياجه الى الفصاحة والصباحة * .
وهي ايمانه بدعوته وغيته على نجاحها ، فقد نجح داعون
كثيرون تعوزهم طلاقة اللسان وطلاقة القسمات ، ولم ينجح
قط داع كبير يعوزه الايمان بصواب ما يدعو اليه * .
والغيرة عليه * .

وقد قضى محمد عليه السلام شبابه وهو يؤمن بفساد
الزمان وضلال الأوثان * . وجاوره أناس أقل منه نبلاً في
النفس ولطفاً في الحس. نفورا من الرجس ، آمنوا بمثل

ما آمن به من فساد عصره وضلال أهله ، ومن حاجتهم الى عبادة غير الأصنام ، وآداب غير آدابهم فى تلك الأيام ، فاذا جاوزهم فى صدق وعيه وسداد سعيه ، فقد وافق المعهود فيه ، والموروث من جده وأبيه .

ولما آمن برسالته هو ودعوته ربه اياه الى القيام بأداء تلك الرسالة لم يهجم على هذا الايمان هجوم ساعة ولا هجوم يوم ، ولم يتعجل الأمر تعجل من يندع نفسه قبل أن يندع غيره ، ولكنه تردد حتى استوثق ، وجزع حتى اطمأن . وخطر له فى فترة من الوحي أن الله قلاه وأعرض عنه ، ولم يأذن له فى دعوة الناس الى دينه . ثم تلقى الطمأنينة من وحي ربه ومن وحي قلبه ومن وحي صحبه . . فصدع بما أمر ، ورضى ضميره بما أوتى من الهداية على النحو الذى رضيت به ضمائر الأنبياء وأصحاب الفطرة الدينية ، مع ما بينه وبينهم من فارق فى الرتبة والأهبة ، وما بين زمانهم وزمانه من فارق فى الحاجة الى الاصلاح .

فما من عجب اذن أن يكون محمد صاحب دعوة . .

وما من عجب أن تتجه دعوته حيث اتجهت ، وأن تبلغ من وجهتها الغاية التى بلغت . وانما العجب ممن يغفلون من هذه الحقيقة أو يتغفلون عنها لهوى فى الآفئدة ، فيشبهون اليوم أولئك الجاهلين الذين أصروا أمس على الكفر به وحجبوا بأيديهم نوره عامدين .

(هـ) حادثة شق الصدر :

وحصل له عليه السلام حادثة مهمة وهى شق الصدر واخراج حظ الشيطان منه ، فأحدث ذلك عند حليلة خوفا فردته الى أمه وجده وحدثتهما قائلة : بينما هو عليه الصلاة والسلام واخوته (أولادها) خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعمدو فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجماه فشقا بطنه يسوطانه (يحركانه يسوط) فخرجت أنا وأبوه فوجدناه ممتقعا لونه ، فالتزمته

والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يا بنى ؟ فقال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هذا ؟ قال : نعم ، فأقبلا يبتدراني فاضجعاني فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو ؟

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« اذ أحاطت به ملائكة الله فظننت بأنهم قرناء »
« ورأى وجدها به من الوجد لهبت تصلى به الأحشاء »
« فارقت كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء »
« شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء »

وقد أعاد جبزيل عليه السلام ذلك الشق الى ما كان عليه بامرار يده على محله فالتأم ، ثم اودع فيه من الايمان والحكمة والأسرار ما لم ينشر وما لم تحط به أخبار ، لأنه لا يعلمه الا الله تعالى : ثم وضع الخاتم بين كتفيه ، ولم يكن الخاتم لنبي قبله .

وفى ذلك قول البوصيرى رحمه الله :

« ختمته يمنى الأمين وقد أو دع ما لم تدع له أنباء »
« صان أسرار الختام فلا الغض ملم به ولا الافضاء »
وفاة والدته وكفالة جده وعنه له :

لما بلغ محمد ﷺ أربع سنين قامت والدته بعضانته ثم أخذته وتوجهت به الى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار . وبينما هى عائدة أدركتها الوفاة فى الطريق فماتت (بالأبواء) وهى أقرب الى المدينة ، فحضنته (أم أيمن) وهى جارية ورثها عن أبيه تسمى (بركة الحبشية) وكفله جده عبد المطلب فكان يروق له ، ويعطف عليه أكثر من أولاده لما كان يظهر عليه من علامات النجاة الدالة على أنه سيكون نه شأن عظيم فى المستقبل ، ولذا كان يكرمه غاية الاكرام ، ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفى بعد ثمانى

سنوات من عمر الرسول ﷺ ، فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه أحسن كفالة ، وكان شهما كريما سمحا جوادا ، لكنه كان فقيرا لا يملك كفاف أهله ، فحسنت حاله وصلاح رزقه ، وكانت كفالته لابن أخيه خيرا وبركة عليه وعلى أولاده :

ولقد اعتنى بابن أخيه محمد ﷺ عنباية كبرى حتى قدمه على أولاده في كل شيء عملا بوصية أبيه عبد المطلب له حيث قال فيها :

« أوصى أبا طالب بعدي بندي رحم
(محمد) وهو في الناس محمود »
« فاحذر عليه شرار الناس كلهم
والحاسدين فان الخير محسود »

ولذا كان به رحيمًا ، وعليه غيورا ، لأنه رآه بعيدا عن كل شيء فيه شائبة نقص وهو مما تميل إليه الأطفال عادة .
وكان محمد في مدة كفالة عمه مثال القناعة ، والبعد عن السفاسف ، وصغار الأمور التي يشتغل بها الأطفال ، فكان إذا حضر الأكل أقبل عليه الأولاد يخطفونه وهو قانع بما يسره الله له .

نشأته وكسبه من يده وثمره عمله :

نشأ ﷺ في قومه يتيما فقيرا ومات والده في سن الشباب ولم يترك له مالا سوى خمسة جمال وبضع نعاج ، وكان صلى الله عليه وسلم قد ألف رعى الغنم مع اخوته في الرضاع ، فصار يرعى لأهل مكة غنمهم فيتوافر لكافله أبي طالب ما يأخذ من ذلك من أجر ، ولذا كان مثال الزهد والقناعة والرافة والرحمة . ولما شب عليه السلام كان يتجرع مع شريك له يدعى (السائب) ويأكل من ثمره عمله وكسبه ، وقد اشتهر بالصدق والأمانة في تجارته والاخلاص في عمله .

تأديب الله تعالى له صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه :

قد أدبه الله تعالى أدبا لم يفز به غيره من اليتامى الذين
قل مالهم ومال القوام عليهم ، مع كونه بين أتراب من بيت
الجاهلية ، وعشراء من حلفاء الوثنية ، ولم يكن له أستاذ
يهذهبه ولا مثقف يؤدبه ، وإنما هي عناية الله تحفظه وترعاه ،
وقد حدث عن نفسه قائلا :

« أدبنى ربي فأحسن تأديبي »

فاستهل ﷺ وهو على أتم ما تتزكى به روح وأكمل
ما تتحلى به نفس ، من جميل الصفات ، حميد الخصال ،
وقد قال في شأنه البوصيري :

« كفاك بالعلم فى الأمى معجزة

فى الجاهلية والتأديب فى اليتيم »

الآيات الدالة على صدق نبوته ، صلى الله عليه وسلم واثبات
رسالته ودعوته للناس عامة :

ان الأدلة القاطعة ، والحجج البالغة ، على صدق نبوة
محمد ﷺ ، واثبات رسالته ودعوته عامة للناس ، هى
واضحة جليلة فى القرآن الكريم ، وهى كثيرة جدا ، ويكفى
أن نذكر منها بعض الآيات الآتية مع شرح كل آية منها :

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن
رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٥١﴾

يقول الله تعالى ذكره : أيها الناس ، ما كان محمد آيا :
أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، الذي ختم
النبوة به ، فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة ، وكان الله
بكل شيء من أعمالكم ذا علم لا يخفى عليه شيء منها •

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سبأ ٢٨

يقول الله تعالى ذكره : وما أرسلناك يا محمد الى هؤلاء
المشركين بالله من قومك (قريش) خاصة ، ولكننا أرسلناك
للناس عامة ، العرب منهم والعجم ، والأحمر والأسود ،
بشيرا تبشر بالشواب وحسن الجزاء من أطاعك ، ونذيرا
تنذر بالعقاب وسوء العذاب من كذبك ، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك الى جميع البشر •

إِنَّا

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

الفتح ٨ ، ٩

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : انا أرسلناك
يا محمد شاهدا على أمتك بما أجابوك ، فيما دعوتهم اليه
مما أرسلتك به اليهم من شريعة ، ومبشرا لهم بالجنة اذا
أجابوك الى ما دعوتهم اليه من الدين القيم ، ونذيرا تنذرهم
بعذاب الله ان هم أعرضوا وتولوا عما جئتهم به من عند

ربك ، وأنتم أيها الناس قد أرسلنا اليكم هذا الرسول الكريم
لتؤمنوا بالله ورسوله ، ولتطيعوا الله ، وتوقروه وتعظموه ،
وتصلوا له بالغدوات والعشيات ، أى الصباح والمساء .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ
أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الأحزاب ٤٥ - ٤٨

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا محمد انا
أرسلناك شاهدا على أمتك ، بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به
من الشريعة والدين ، ومبشرا لهم بالجنة ان هم صدقوك
وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ونذيرا لهم بالنار أن
يدخلوها يتعدبوا بها ان هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من
عند الله ، وداعيا الى توحيد الله ، وإقرار الألوهية له ،
واخلاص الطاعة لوجهه ، دون كل من سواه من الآلهة
والأوثان ، كل ذلك بأمره إياك وسراجا منيرا ، وضياء لخلقه
يستضيئون بالذى أتيتهم به من عند الله .

وبشر محمد أهل الايمان بالله بأن لهم من الله ثوابا
عظيما ، وفضلا كبيرا على طاعتهم إياه ولا تطع قول كافر
ولا منافق ، فتسمع منه دعاؤه إياك الى التقصير فى تبليغ
رسالات الله الى من أرسلك بها اليه من خلقه ، وأعرض عن
أذاهم لك ، وأصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر
الله فى عباده ، والتعود لما كلفك به ، وفوض الى الله أمرك ،
وثق بأنه يكفيك جميع من دونه ، حتى يأتيك أمره وقضاؤه ،
وحسبك بالله وكيلا وقيما بأمورك وحافظا « لك من أذى
أعدائك .

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَنَازَرَهُ وَقَامَ سَاغًا فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفَةٍ يُغْبِئُ الزَّاعَ لِيُغْيظَ بِهِمُ
الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الفتح ٢٩

يقول الله تعالى ذكره : هو الذى أرسل رسوله محمدا ﷺ بالبيان الواضح ، ودين الحق ، وهو الاسلام الذى أرسله داعيا خلقه اليه ليظهره على سائر الأديان ، ليبطل به الملل كلها ، حتى لا يكون دين سواه ، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم ليقتل المسيح الدجال ، فحينئذ يبطل الأديان كلها غير دين الله الذى بعث به محمدا ﷺ ، ويظهر الاسلام على الأديان كلها ، وأشهدك يا محمد على ذلك وحسبك بالله شاهدا .

ويقول تعالى ذكره : محمد ﷺ وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار ، غليظة عليهم قلوبهم ، قليلة بهم رحمتهم ، رفيقة قلوبهم بعضهم لبعض ، لينة أنفسهم ، هينة عليهم تراهم ركعا أحيانا لله فى صلاتهم ، سجدا أحيانا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا فيدخلهم الجنة ، وعلامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى صلاتهم ، وهذه الصفة التى وصف بها أتباع محمد ﷺ الذين معه ، وهى أيضا صفتهم فى التوراة وفى الانجيل ، صفة زرع أخرج نباته ثم يكثُر وينمو ، فهم كذلك حينما دخلوا فى الاسلام كانوا قليلي العدد ، ثم أخذوا يتزايدون ، ويدخلون

فى دين الله أفواجا ، جماعة بعد جماعة ، حتى كثر عددهم ،
ليغيظ الله بهم الكفار ، كما أن الزرع يبتدىء قليلا ضعيفا
ثم يقوى ويغلظ ويستقيم فى عوده ، فيعجب الزراع .

وهذا مثل ضربه الله لمحمد ﷺ فيه يقول :
بعث النبي ﷺ وحده ، ثم اجتمع اليه ناس قليلون
يؤمنون به ، ثم يكون القليل بعد ذلك كثيرا ، ويستغلظون
ليغيظ بهم الكفار .

وقد وعد الله الذين آمنوا ، وصدقوا الله ورسوله ،
وعملوا بما أمرهم به الله من فرائضه التى أوجبها عليهم ،
عفوا ومغفرة غما مضى من سالف ذنوبهم ، وسيىء أعمالهم ،
ووعدهم ثوابا جزيلا ، وذلك هو الجنة .

الأمر بتبليغ الرسالة واتباع كتاب الله

أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بأبلاغ
والنصارى من أهل الكتاب ما أنزل اليه من ربه فأكثر له .
يا محمد بلغ ما أنزل اليك من ربك ، فان تركت ذلك ولم
تفعل وكتمت شيئا من الرسالة كنت كأنك لم تبلغها .

ثم آمنه وطمأنه على حياته وقال له : لا تخف على حياتك
من مواجهة هؤلاء القوم بما ينكرونه ، فان الله حافظك
وعاصمك من ايذائهم ، وان الله لا يوفق للرشد من حاد عن
طريق الحق ، وجحد ما جئته به من عند الله ، ولم ينته الى
أمر الله وطاعته ، وذلك قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

ثم قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ، واتبع يا محمد ما أنزل
إليك من كتاب ربك ، واستمر على تلاوته ، واتباع ما فيه
من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وترك حرامه وأعلم بأنه
لا مغير ولا مبدل لكلماته التي أنزلها عليك ، وأنت يا محمد
لن تجد من دون الله ملجأ ، لأن قدرة الله محيطه بك ، وبجميع
خلقه ، لا يقدر أحد على الهرب من أمر ربه .
وذلك قوله تعالى :

وَأَنزَلْنَا أُوحًى

إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٧

الكهف ٢٧

ثم أمره بالتقوى والطاعة بأداء فرائضه وواجب
حقوقه ، والانتهاز عن محارمه ، وعدم مجاوزة حدوده ،
وعدم اطاعة الكافرين والمنافقين الذين يظهرون الايمان
بالله وهم أشد أعداء الله ، وأعداء رسوله ، والله عليم بما
تكنه نفوسهم ، وما تنطوى عليه أخلاقهم حكيم فى تدبير
أمره على جميع خلقه .

كما أنه أمره باتباع ما أوحاه اليه من القرآن ، والعمل
بما فيه من الأوامر والنواهي ، والله خير بأمور عباده
لا يخفى عليه شيء منها ، وهو مجازيهم عليها بما وعدهم من
الثواب والعقاب وذلك قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ٢

الأحزاب ١ - ٢



تعبده صلى الله عليه وسلم :

لما بلغ عليه السلام ثمانياً وثلاثين سنة كان ﷺ يرى الضوء والنور ويسمع صوت النداء ولا يرى أحداً ، وحبب إليه الخلاء للعبادة والتفكير .

فكان ﷺ عليه وسلم معتاداً العبادة ، والابتعاد عن الناس ، وذلك شأن الكرام الذين لا يألفون إلا ما يناسب كرمهم ، فكان يخلو بفار (حراء) جبل قريب من مكة فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد ، فتارة عشر ليال وتارة أكثر . يأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى بيته فتزود لمثلها .

وكان الله سبحانه وتعالى قد ألهمه ذلك لتصفو نفسه ، ويتوجه روحه الشريف الى عالم غير عالم المادة ، ويستعد لما سيكرمه الله به من تلقى وحيه ، وانقاذ خلقه مما كان فيه مثل قومه من الشرور والآثام وعبادة الأصنام وفي ذلك يقول البوصيري رحمه الله :

« ألف النسك والعبادة والخلة طفا وهكذا النجباء »
« واذا حلت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاء »



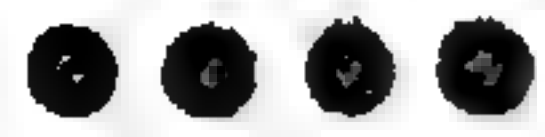
تبشير التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم :

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب أهل ذلك الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الأنبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم .

فما جاء فيها تبشيراً برسول الله الكريم محمد عليه الصلاة والتسليم خطاباً لسيدنا موسى عليه السلام :

« وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامي في فمه ، ويكلمهم بكل شيء أمره به ، ومن لم يطع

كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا الذى أنتقم منه ، فأما النبى
الذى يجترىء على الكبرياء ويتكلم باسمى بما لم أمره به أو
باسم آلهة أخرى فليقتل وإذا أحببت أن تميز بين النبى
الصادق والكاذب * فهذه علامتك ، ان ما قاله ذلك النبى
باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك
لا تخشاه » *



تبشير الانجيل بمحمد صلى الله عليه وسلم :
بشر عيسى عليه السلام قومه فى الانجيل (بمحمد أو
أحمد) ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدق فى القرآن
قوله تعالى فى سورة الصف :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِىْ اِسْرَءِيلَ
اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلِ
يَاْتِى مِنْ بَعْدِىْ اَسْمُهُ رَاحِمَةُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ
مُّبِيْنٌ ۝۶

الصف ٦

وسبق ذكرها فى ختام قصة سيدنا عيسى *

وقد وصف المسيح عليه السلام هذا ((الفار قليط)
بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا عليه الصلاة والسلام
فقال : انه يوبخ العالم على خطيئته ، ويعلمهم جميع الحق
لانه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ! وهذا
ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

اِنَّ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحٰى ۝۱۴
النجم ٤

نزول الوحي وبدء النبوة :

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو (أربعون سنة) أرسله الله للعالمين بشيرا ونذيرا ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم والعرفان ، وكان ذلك في أول فبراير سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام ، كما أوضحه المرحوم محمود باشا الفلكي ، ونزل عليه الوحي كما سيأتي :

كيف كان بدء الوحي ؟ (كما ذكر في البخاري)

سأل الحرث بن هشام رضى الله عنه رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال : وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول :

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقا .

وقالت عائشة أم المؤمنين : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار (حراء) فيتحنث فيه وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله وكان يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار (حراء) .

فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم قال :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③

الملق ١ - ٣

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على
(خديجة بنت خويلد) رضى الله عنها فقال : زملونى ،
زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة
وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة : كلا
والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل بن
أسد بن عبد العزى) ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى
الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى
فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له
ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر
ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس (الشريعة) الذى
أنزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا (شابا جليدا)
يا ليتنى آكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ :
أو مخرجى هم ؟ قال . نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم
لم ينشب ورقة أن توفي .

فترة الوحي :

فترة الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون ، وأرجح
أقوالهم فيها أربعون يوما ليشتهد شوق الرسول للوحي ، وقد
كان ، فان الحال اشتدت به عليه السلام حتى صار كلما أتى
ذروة جبل بدا له أن يرمى نفسه منها حذرا من قطيعة الله

بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لأن يكون واسطة
بينه وبين خلقه ، فيتبدى له الملك قائلاً : أنت رسول الله حقاً
ليطمئن خاطره ، ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن
يظهر للوجود نور الدين فعاد إليه الوحي *

هودة الوحي :

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال في حديثه : عن
الرسول ﷺ أنه قال : بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً
من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء
جالسا على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه
فرجعت فقلت : زملوني ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر *
قم فأندر) أي حذر الناس من عذاب الله إن لم يرجعوا
عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) أي
لا تشرك مع ربك في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون
مستعداً للوقوف بين يدي الله إذ لا يليق بالمؤمن أن يكون
نجساً مستندراً (والرجز فاهجر) أي اهجر أسباب الرجز
وهو العذاب ، بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر)
أي لا تهب أحداً هبة وأنت تطمح أن تستغيض من الموهوب
له أكثر مما وهبك ، فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك
فاصبر) أي اصبر على ما سيلحقك من أذى قومك حينما
تدعوهم إلى توحيد الله فعمى الوحي وتتابع *

الرد على منكر الوحي مناهما :

وقد قال المرحوم البوصيري لمن ينكر الوحي :

« لا تنكر الوحي من رؤيا إن له

قلبا إذا نامت العينان لم ينم »

« وذاك حين بلغ من نبوته

فليس ينكر فيه حال محتلم »

« تبارك الله ما وحي بمكتسب

ولا نبي على غيب بمتهم »

أى لا تنكر أيها المعاند وقوع الوحي اليه ﷺ فى منامه
فانه اذا نامت عيناه فلا ينام قلبه * كما صرح فى حديث
المنحيعين عنه أنه قال : ان عينى تنامان ولا ينام قلبى *

ورؤياه الوحي وقت وصوله الى النبوة ، وذلك على رأس
أربعين سنة من مولده ﷺ * وهذا الزمان لا تنكر فيه رؤيا
محتلم الوحي فى قومه * وليس الوحي مكتسبا لنبي من
الأنبياء وليس نبي بمتهم فيما يخبر به عن غيب ، فان جميع
الأنبياء (صلوات الله عليهم) معصومون من الزلل *

اثبات الوحي المحمدى :

مما يؤيد ويثبت نزول الوحي على محمد ﷺ فى بدء
نبوته ما جاء فى القرآن الكريم ، وهو القول الفصل القطعى
الذى لا ينهض لمعارضته أحد ، قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَشِيبَاكَ فَطَهِّرْ ۝
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝

المدثر ١ - ٧

أى ما كان لانسان أن يكلمه الله كما يكلم بعضكم بعضا
بكلام مسموع من طريق التموجات الهوائية ، بل يكلمه
وحيا ، أى عن طريق الوحي بأن يلقي فى قلبه ما يشاء
القائه اليه ، أو أن يكلمه من وراء حجاب ، أو يرسل له ملكا
يبلغه مراده ، لأنه متعال عن صفات المخلوقين ، حكيم يفعل
بمقتضى الحكمة ، فيؤدى مراده على أحكم الأساليب وكذلك
فعلنا معك يا محمد ، فأوحينا اليك قرآنا من أمرنا هو
بمثابة الروح تحيا به القلوب ما كنت تدري يا محمد
ما الكتاب ، وما الايمان ؟ ولكن جعلناه نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى طريق قويم ، طريق الله
الذى له كل ما فى الوجود ، يتصرف فيه بما تقتضيه حكمته

العالية ثم اليه ترجع أمور العالم بارتفاع الوسائط
والتعلقات ثم قال في سورة أخرى :

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ
إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝٥١ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ
عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢

الشورى ٥١ - ٥٢

أى ما كنت ترجو ولا تؤمل يا محمد أن يلقي اليك
الكتاب من وحي ربك فتكون نبيا رسولا ولكنه ألقى اليك
رحمة من ربك وفضلا عليك وعلى عباده ، فلا تكونن معينا
للكافرين ، ولا يمنعك الكفار يا محمد من تلاوة آيات الله ،
والعمل بها بعد إذ أنزلت اليك ، وادع الى عبادة ربك
وتوحيده ، ولا تكونن من المشركين به .

وَمَا كُنْتَ

تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا
لِلْكَافِرِينَ ۝٨٦

القصص ٨٦

(بيان أن الوحي لم يكن مقصورا على محمد ، بل كان
للأنبياء عامة) .

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد : يا محمد ، أنا أوحينا
إليك ، أى أنزلنا اليك بالنبوة كما أوحينا الى النبيين الذين
تقدموك ، وهم : نوح ، وإبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ،
ويعقوب والأسباط ، وعيسى ، وأيوب ، ويونس ، وهارون ،
وسليمان ، وآتيناه داود الكتاب (المسمى زبوراً) .

وقد أرسلنا الى الأمم رسلا آخرين غير من ذكرنا : منهم من أخبرناك عنهم ، ومنهم من لم نخبرك عنهم ، وكلم الله موسى تكليما أى وخاطب الله موسى بكلامه خطابا •

وجميع هؤلاء الرسل جاءوا مبشرين للذين آمنوا بالله ورسله. بالجنة ومنذرين للكافرين بالله ورسله بالنار ، لئلا يكون للناس على الله حجة فيقولون : لو كنت أرسلت الينا رسولا لآمنا ، وكان الله عزيزا حكيما أى لم يزل ذا عزة فى انتقامه ممن خالفه وعصاه ، حكيما فى تدبير أموره وذلك قوله تعالى :

إِنَّا

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ

يُونُسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآلَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

النساء ١٦٣ - ١٦٥

نجاح الدعوة :

وما من حركة كبرى فى التاريخ تتضح للفهم ، ان لم يكن نجاح الدعوة المحمدية مفهوما بأسبابه الواضحة المستقيمة التى لا عوج فى تأويلها ، وما من شىء غير الغرض الأعوج يذهل صاحبه عن هذه الأسباب الطبيعية البينة ، ثم يخيّل اليه أن الدعوة الاسلامية كانت فضولا غير مطلوب فى هذه الدنيا ، لو أن نجاحها مصطنع لا سبب له غير الوعيد والوعود أو غير الارهاب بالسيف والاغراء بلذات النعيم ومتعة الخمر والحدود العين •

أى ارهاب وآى سيف ؟

ان الرجل حين يقاتل من حوله انما يقاتلهم بالمئات
والآلوف . . وقد كان المئات والآلوف الذين دخلوا فى الدين
الجديد يتعرضون لسيوف المشركين ولا يعرضون أحدا
لسيوفهم ، وكانوا يلقون عنقا ولا يصيبون أحدا بعنت ،
وكانوا يخرجون من ديارهم لو اذا بأنفسهم وأبنائهم من كيد
الكائدين ونقمة الناقمين ولا يخرجون أحدا من داره .

فهم لم يسلموا على حد السيف خوفا من النبى الأعزل
المفرد بين قومه الغاضبين عليه ، بل أسلموا على الرغم من
سيوف المشركين ووعيد اذى ، ولم يحملوه لبدءوا أحدا
بغدوان أو يستطيلا على الناس بالسلطان .

فلم تكن حرب من الحروب النبوية كلها حرب هجوم ،
ولم تكن كلها الا حروب دفاع وامتناع .

أما الاغزاء بلدات النعيم ومتعة الخمر والهور العين ،
فلو كان هو باعثا للايمان لكان أحرى الناس أن يستجيب الى
الدعوة المحمدية هم فسقة المشركين وفجرتهم وأصحاب الترف
والثروة فيهم ، ولكن طغاة قريش هم أسبق الناس الى
استدامة الحياة واستبقاء النعمة . فان حياة النعيم بعد
الموت محبة الى المنعمين تحبيبها الى المحرومين ، بل لعلها
أشهى الى الأولين وأدنى ولعلمهم أحرص عليها وأحنى ، لأن
الحرمان بعد التذوق والاستمرار أصعب من حرمان من لم
يذق ولم يتغير عليه حال .

لم يكن أبو لهب أزهد فى اللذة من عمر . .

ولم يكن السابقون الى محمد أرغب فى النعيم من
المتخلفين عنه . .

ولكننا ننظر الى المتخلفين ، فنرى فارقا واحدا بينهم
أظهر من كل فارق . ذلك هو الفارق بين الأخيار والأشرار ،
وبين الرحماء المنصفين والظلمة المتصلفين ، وبين من يعقلون

ويصفون الى القول الحق ، ومن يستكبرون ولا يصفون الى القول .

ذلك هو الفارق الواضح بين من سبقوا ومن تخلفوا ، وليس هو الفارق بين طالب لذة وزاهد فيها ، أو بين مخدوع فى النعيم وغير مخدوع .

ولعلنا لا نستبين هذه الحقيقة من مثال واحد كما نستبينها من مثال عمر رضى الله عنه فى اسلامه . . . فقصته فى ذلك نموذج لتلبية الدعوة المحمدية ينفى كل كلام يقال عن الوعيد والاعراء وأثرهما فى اقناع الأقوياء أو الضعفاء .

قال ابن اسحق : « خرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه ، قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء . ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم . . . ممن كان قد أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة . فلقيه نعيم ابن عبد الله فقال له : « من تريد يا عمر ؟ » قال : « أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها وعاب دينها وسب الهتها فاقتله » فقال نعيم : « والله لقد غرتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم » .

فقال « وأى أهل بيتى ؟ » قال « ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما » .

قال : « فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه ، وعندها خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما وقد سمع عمر خين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال « ما هذه

الهيمنة ؟ التي سمعت ؟ » قال له : « ما سمعت شيئا » قال :
« بلى والله ! لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه »
وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت
الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها فلما فعل ذلك
قالت له أخته : « نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع
ما بدا لك » فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع
فارغوى وقال لأخته : « أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم
تقرءونها أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد » وكان عمر
كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : « انا نخشاك عليها »
قال : « لا تخافى » وحلف لها بألته ليردنها اذا قرأها اليها ،
فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه ، فقالت له : « يا أخى انك
نجس على شركك ، وأنه لا يمسسه الا الظاهر » فقام عمر
فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها « سورة طه » فقرأها فلما
قرأ منها صدرا قال : « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !! »
فلما سمع خباب خرج اليه فقال له : يا عمر ! والله انى
لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه فانى سمعته وهو
يقول : اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هاشم أو بعمر بن
الخطاب فالله الله يا عمر ؟ فقال له عند ذلك عمر :
« فدلنى يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم » فقال له خباب :
« هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه »
فأخذ عمر سيفه فتوشعه ثم عمد الى رسول الله ﷺ
وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام
رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلال الباب فراه
متوشعا بالسيف • فرجع الى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال :
« يا رسول الله ! هذا عمر بن الخطاب متوشعا بالسيف »
فقال حمزة بن عبد المطلب : « تأذن له فان جاء يريد خيرا
بذلناه له ، وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه » فقال رسول
الله ﷺ « ائذن له ! » فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله
ﷺ حتى لقيه بالحجرة فأخذ يحجزته أو بمجمع رداءه ثم
جذبه جذبة شديدة وقال : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟
فوالله ورسوله وبما جاء من عند الله » قال : « فكبر رسول

الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم « فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله وينتصفون بهما من عدوهم .. » .

هذه قصة اسلام عمر بن الخطاب ، وهذا موضع ما فيها من الوعيد والاغراء .. خرج بالسيف ليقتل محمدا ولم يخرج عليه أحد من المسلمين بسيف ، وقرأ صدرا من سورة طه ليس فيه ذكر للخمر والنعيم وهو :

طه ١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ٣
تَنزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْعُلَى ٤ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْتِ ٦ وَلَن يُجَهِّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

طه (١ - ٧)

فلا جبن اذن ولا طمع فى اسلام عمر بن الخطاب ، بل رحمة واناة واعتذار .

ولم يكن فى اسلام الفقراء الذين هم أقل من عمر حربا أو أضعف منه بأسا جبنا ولا طمعا لأنهم تعرضوا باسلامهم للسيف ولم يخضعوا للسيف حين أسلموا لله ورسوله ، وما كفر الذين كفروا لزهد ولا شجاعة فيقال أن الذين سبقوهم الى الاسلام قد فعلوا ذلك لشغف بلذات الجنة وجبن عن مواجهة القوة .. ولكنهم اختلفوا حيث تطلب طهارة السيرة وصلاح الأمور ، فمن كان أقرب الى هذه الطلبة من

غنى أو فقير ومن سيد أو مستعبد فقد أسلم ، ومن كان به
زيغ عنها فقد أبى • وهذا هو الفيصل القائم بين الفريقين
قبل أن يتجرد للاسلام سيف يذود عنه ، وبعد أن تجرد له
سيف تهايه السيوف • وما يقسم الطائفتين أحد فيضع
أبا بكر وعمر وعثمان فى جانب اللذة والخوف ، ويضع
الطغاة من قریش فى جانب العصمة والشجاعة الا أن يكون
به هوى كهوى الكفار من قریش فى الاصرار والانكار •

انما نجحت دعوة الاسلام لأنها دعوة طلبتها الدنيا
ومهدت لها الحوادث • وقام بها داع تهيأ لها بعناية ربه
وموافقة أحواله وصفاته •

فلا حاجة بها الى خارقة ينكرها العقل أو الى علة عوجاء
يلتوى بها ذوو الأهواء ، فهى أوضح شىء فهما لمن أحب أن
يفهم ، وهى أقوم شىء سبيلا لمن استقام •

سادساً : عبقرية محمد العسكرية :

حروب دفاعية :

ينبغي أن تستحضر في ذهن بغض الحقائق التي تظهر لنا الاختلاف بين الدين الاسلامي والأديان الأخرى في مسألة القتال ، لتثبت ان للاسلام شأننا في اجتناب القوة كشأن كل دين . وأنه ما كان لينتصر بالقوة لو لم يكن الى جانب ذلك صالحا للانتصار ، وأن الأديان الأخرى ما كانت لتحجم عن عمل أقدم عليه النبي لو كانت دعوتها كدعوته ، كانت أسبابها كأسبابه .

فالحقيقة الأولى ، أن مظهر القائلين بأن الاسلام دين قتال إنما يصدق - لو صدق - في بداعة عهد الاسلام كما أسلفنا ، يوم دان بهذا الدين كثير من العرب المشركين ، ولولاهم لما كان له جند ولا حمل في سبيله سلاح . لكن الواقع أن الاسلام في بداعة عهده كان هو المعتدي عليه ، ولم يكن من قبله اعتداء على أحد . . . وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القوم حول النبي عليه السلام ، فانهم كانوا يقاتلون من قاتلهم ولا يزيدون على ذلك :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) .

وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أمروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة ، فلم يكن لهم قط عدوان ولا اكراه .

وحروب النبي عليه السلام كما اسلفنا كانت كلها حروب دفاع ولم تكن منها حرب هجوم الا على سبيل المبادرة بالدفاع ، بعد الايقان من نكث العهد والاصرار على القتال،

وتبستوي في ذلك حروبه مع قريش وحروبه مع اليهود أو مع الروم .. ففي غزوة تبوك عاد الجيش الاسلامي أدراجه بعد أن ايقن بانصراف الروم عن القتال في تلك السنة ، وكان قد سرى الى النبي نبأ أنهم يعبئون جيوشهم على حدود البلاد العربية . فلما عدلوا عدل الجيش الاسلامي عن الغزوة على فرط ما تكلف من الجهد والنفقة في تجهيزه وسفره .

والحقيقة الثانية ، أن الاسلام انما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع .

ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف « سلطة » تقف في طريقه وتحول بينه وبين آسماع المستعدين للاصفاء اليه . لأن السلطة تزال بالسلطة ، ولا غنى في اخضاعها عن القوة .

ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يغارضون بها العقيدة الاسلامية ، وانما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء ، وفي الأعقاب بعد الاسلاف .. وكل حجتهم التي يذودون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها ، وأن زوالها يزيل ما لهم من سطوة الحكم والجاه .

قصد النبي بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمرائها لأنهم أصحاب السلطة التي تأبى العقائد الجديدة ، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هي التي كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التي تصد الدعوة الاسلامية ، فيمتنع القتال .

ومن التجارب التي دل عليها التاريخ الحديث كما دل عليها التاريخ القديم أن السلطة لا غنى عنها لانجاز وعود المصلحين ودعاة الانقلاب .. ومن تلك التجارب تجربة فرنسأ في القرن الماضي ، وتجربة روسيا في القرن الحاضر ،

وتجربة مصطفى كامل في تركيا وتجارب سائر الدعاة من أمثاله في سائر البلاد .

فمعاربة السلطة بالقوة غير معاربة الفكر بالقوة . .
ولا بد من التمييز بين العاملين ، لأنهما جد مختلفين .

والحقيقة الثالثة ، أن الاسلام لم يحتكم الى السيف قط
الا في الأحوال التي أجمعت شرائع الانسان على تحكيم
السيف فيها .

فالدولة التي يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ،
ماذا تصنع ان لم تحتكم الى سلاح ؟

وهذا ما قضى به القرآن الكريم حيث جاء فيه :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَسُوا فَلَا عُدْوَانَ
لَا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

البقرة ١٩٣

والدولة التي يحمل أناس من أبنائها السلاح على أناس
آخرين من أبنائها ، بماذا تفض الخلاف بينهم ان لم تفض
بقوة السلطان .

وهذا ما قضى به القرآن الكريم أيضا حيث جاء فيه :

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ
رَبِّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٩٤﴾

الحجرات ٩

وفى كلتا الحالتين يكون السلاح آخر الحيل ، وتكون
نهاية الظلم والاعتداء نهاية الاعتماد على السلاح . . ثم
يأتى الصلح والتوفيق أو يأتى التفاهم بالرضا والاختيار .

والحقيقة الرابعة ، أن الأديان الكتابية بينها فروق
موضوعية لا بد من ملاحظتها عند البحث فى هذا الموضوع ؟

فاليهودية أو الاسرائيلية كانت كما يدل عليها اسمها
أشبه بالعصبة المحصورة فى أبناء اسرائيل منها بالدعوة
العامة لجميع الناس . . فكان أبناؤها يكرهون أن يشاركهم
غيرهم فيها كما يكره أصحاب النسب الواحد أن يشاركهم
غيرهم فيه ! وكانوا من أجل هذا لا يحركون أسنتهم - فضلا
عن امتشاق الحسام - لتعميم الدين اليهودى وإدخال الأمم
الأجنبية فيه ، ولا وجه اذن للمقارنة بين اليهودية والاسلام
فى هذا الاعتبار .

أما المسيحية فقد عنيت « أولا » بالآداب والأخلاق ،
ولم تكن مثل هذه العناية بالمعاملات ونظام الحكومة . .

وقد ظهرت « ثانيا » فى بلاد المعاملات والنظم الحكومية
ففيها قوانين تحميها كما يحميها الكهان المعززون بالسلطان ،
فهي قد عدلت عن فرض المعاملات والديساتير لهذه الضرورة ،
لا لأن المعاملات والديساتير ليست من شأن الدين .

وقد ظهرت « ثالثا » فى وطن تحكمه دولة أجنبية ذات
حول وطول ، وليس للوطن الذى ظهرت فيه طاقة بمصادمة
تلك الدولة فى ميدان القتال .

أما الاسلام فقد ظهر فى وطن لا سيطرة للأجنىب عليه ،
وكان ظهوره لاصلاح المعيشة وتقويم المعاملات وتقدير
الأمن والنظام . . والا فلا معنى لظهوره بين العرب ثم فيما
وراء الحدود العربية .

فاذا اختلفت نشأته ونشأة المسيحية صنعت صنع الاسلام
حين قامت بين أهلها الدول والجيوش ، وحين استقبلت شيمونها

عن الأجانب المتغلبين . . . وأربت حروب المذاهب فيما بين
أبنائها على حروب صدر الاسلام مجتمعات .

والحقيقة الخامسة ، أن الاسلام شرع الجهاد ، وأن
النبي عليه السلام قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله » .

وجاء في القرآن الكريم :

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَخَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَىٰ لِلَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَسْرَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاوَأَشَدُّ تَنكِيلًا

النساء ٨٤

وحدث فعلا أن المسلمين فتحوا بلادا غير بلاد العرب ،
ولم يفتحوها ولم يكن يتأتى لهم فتحها بغير السلاح .

الا أن هذه الفتوح تأخرت في الزمن ولم يتم شيء منها
قبل استقرار الدولة للاسلام ، فلا يمكن أن يقال أنها كانت
وسيلة الاسلام للظهور وقد ظهر الاسلام قبلها وتمكن من
أرضه واجتمعت له جنود تؤمن به وتقدم على الموت في
سبيله .

ثم أن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة . إن لم
تفرضها الدعوة الى دينها .

فلو قدرنا أن الخليفة المسلم لم يكن صاحب دين ينتشره
ويدعو اليه ، لوجب في ذلك العهد أن يأمن على بلاده من
الفوضى التي شاعت في أرض فارس وفي أرض الروم .
ووجب أن يكف الشر الذي يوشك أن ينقض عليه من
كلتيهما ، وأن يمنع عدوي الفساد أن تسري منهما الى حماه .

هذا الى أن الاسلام قد أجاز للأمم أن تبقى على دينها مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة ، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب . .

والحقيقة السادسة ، أن المقابلة بين ما كانت عليه شعوب العالم يومئذ قبل اسلامها وبعد اسلامها تدل على أن جانب الاسلام هو جانب الاقناع لمن أراد الاقناع فقد استقر السلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار ، وانتظمت بينها العلاقات ولم يكن لها نظام وأطمأن الناس على أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم ، وكانت جميعها مباحة لكل غاصب من ذوى الأمر والجاه .

فاذا قيل ان المدعويين الى الاسلام لم يقتنعوا بفضله سايقين ، فلا ينفي هذا القول أنهم اقتنعوا به متأخرين ان الاسلام مقنع لمن يختار ويحسن الاختيار الى جانب قدرته على اكراه من يركب رأسه ويقف فى طريق الاصلاح

ومن نظر الى الاقناع العقلى ، تساوى لديه من يستميلك الى العقيدة بتوزيع الدواء والطعام أو بتربية الأطفال عليها وهم لا يعقلون ومن يستميلك اليها بالخوف من الحاكم على فرض أن خوف الحاكم كان ذريعة من ذرائع نشر الاسلام .

فالشاهد الذى تطعمه وتكسوه ليقول قولك فى أخذى القضايا ، كالشاهد الذى ينظر الى السوط فى يديك فيقول ذلك القول كلاهما لا يأخذ باقناع الدليل ولا بنفاذ الحجج ، ولا يدفع عن عقيدة دفع العارف البصير

وصفوة ما تقدم أن الاسلام لم يوجب القتال الا حيث أوجبه جميع الشرائع وسوغته جميع العقول وإن الذين خاطبهم بالسيف قد خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك .

وان الاسلام عقيدة ونظام وهو من حيث النظام شأنه
كشأن كل نظام فى أخذ الناس بالطاعة ومنعهم أن يخرجوا
عليه .

القائد البصير :

لم يكن الاسلام اذا دين قتال ، ولم يكن النبى رجلا
مقاتلا يطلب الحرب للحرب ويطلبها وله غنى عنها ،
ولكنه مع هذا كان نعم القائد البصير اذا وجبت الحرب ودعته
اليها المصلحة اللازمة . . يعلم من فنونها بالالهام ما لم يعلم
غيره بالدرس والمرانة . ويصيب فى اختيار وقته وتسير
جيشه وترسيم خططه اصابة التوفيق واصابه الحساب
واصابه الاستشارة . وقد يكون الأخذ بالمشورة الصالحة
آية من آيات حسن القيادة تقترن بآية الابتكار والانشاء لأن
القيادة الحسنة هى التى تجند كل ما بين يديها من قوى
الآراء والقلوب والأجسام .

وقد كانت غزوة بدر هى التجربة الأولى للنبي عليه
السلام فى ادارة المعارك الكبيرة ، فلم يأنف أن يستمع فيها
الى مشورة الحباب بن المنذر حين اقترح عليه الانتقال الى غير
المكان الذى نزل فيه ، ثم وعى من تجربة واحدة ما قل أن
يعيه القادة المنقطفون للحرب من تجارب شتى . . فلو تتبع
حروبه عليه السلام ناقد عسكري من أساطير فن الحرب فى
العصر الحديث ليقترح وراء خططه مقترحا أو ينبه الى خطأ
لأعياء التعديل . .

ونختار أبرع القادة المحدثين وهو نابليون على أسلوب
حرب الحركة الذى كان هو الأسلوب الغالب فى العصور
الماضية ، والذى ظهر فى الحرب العالمية الحاضرة انه لا يزال
الخطوة الأخيرة فى جميع الحروب ، على الرغم من الحصون
والسدود . . لأن اختيار نابليون بونابرت يبين لنا السبق
فى خطط النبى العسكرية ، بالمضامات بينها وبين خطط
نابليون .

١ - فتابليون كان يوجه همه الأول الى القضاء على قوة العدو العسكرية بأسرع ما كان يستطيع ، فلم يكن يعنيه ضرب المدن ولا اقتحام المواقع . . . وإنما كان عنايته الكبرى منصرفة الى مبادرة الجيش الذى يعتمد عليه العدو بهجمة يفاجئه بها أكثر الأحيان ، وهو على يقين أن الفوز فى هذه الهجمة يغنيه عن المحاولات التى يلجأ اليها جلة القواد .

وعنده أنه يستفيد بخطته تلك ثلاثة أمور . . . أن يختار الموقع الملائم له ، وأن يختار الفرصة ، وأن يعاجل العدو قبل تمام استعداده . .

وكان النبی علیه السلام سابقا الى تلك الخطط فى جميع تفصيلاتها . .

— فكان كما قدمنا لا يبدأ أحدا بالعدوان ، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه جهدا ما تواتيه الأحوال ، بل ربما وصل اليه الخبر كما حدث فى غزوة تبوك والناس مجذبون والقيظ ملتهب والشدة بالغة ، فلا يثنيه ذلك عن الخطة التى توعدها ، ولا يكف عن التأهب السريع وعن حرض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال ، ولا يبالي ما أرجف به المنافقون الذين توقعوا الهزيمة للجيش المتمدى فلم يحدث ما توقعوه . .

وكان عليه السلام يعتمد الى القوة العسكرية حيث أصابها ، فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها . . ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره أولئك الأعداء ، واضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة فى أيدي المهاجمين ، الا أن يكون الهجوم وبالا على المقدمين عليه ، كما حدث فى غزوة الخندق .

٢ - وكان نابليون يقول أن نسبة القوة المعنوية الى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة الى واحد . .

والنبي عليه السلام كان عظيم الاعتماد على هذه القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة قوة الايمان . وربما بلغت

نسبة هذه القوة إلى الكثرة العددية كنسبة خمسة إلى واحد في بعض المبارك ، مع رجحان الفئة الكثيرة في السلاح والركاب إلى جانب رجحانهم في عدد الجنود . . . ومعجزة الايمان هنا أعظم جدا من أكبر ميزة بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر وعزيمة . فالنبي عليه السلام كان يحارب عربا بعرب ، وقريشيين بقريشيين ، قبائل من السلالة العربية بقبائل من صميم تلك السلالة . فلا يقال هنا أن الفضل لقوم على قوم في المزايا الجسدية أو المزايا النفسية كما يمكن أن يقال هذا في جيوش نابليون ، وكل فضل هنا فهو فضل العقيدة والايمان .

٣ - وقد كان نابليون مع اهتمامه بالقضاء على القوة العسكرية لا يغفل القضاء على القوة المالية أو التجارية التي يتناولها اقتداره . . . فكان يحارب الانجليز بمنع تجارتهم وسفنهم أن تصل إلى القارة الأوروبية وتحويل المعاملات عن طريق انجلترا إلى طريق فرنسا .

وهكذا كان النبي عليه السلام يحارب قريشا في تجارتها ، ويبعث سرايا في أثر القوافل كلما سمع بقافلة منها .

وَأذكر بعض المتعصبين من كتاب أوربه هذه السرايا وسموها « قطعا للطريق » وهي هي سنة « المصادرة » بعينها التي أقرها « القانون الدولي » وعمل بها قادة الجيوش في جميع العصور ، ورأينا تطبيقها في الحرب الحاضرة والحرب الماضية ، رشيدا تارة وغاليا في الحمق والشطط تارة أخرى .

٤ - وقد أسلفنا أن نابليون كان يوجه همه إلى الجيش ، ولا يقتحم المدن أو يشغل باله بمحاصرتها لغير ضرورة عاجلة . ونرجع إلى غزوات النبي عليه السلام ، فلا نرى أنه حاصر محله ، إلا أن يكون الحصار هو الوسيلة الواحدة العاجلة لمبادرة القوة التي عسى أن تخرج منها قبل استعدادها . أو قبل نجاحها في الغدر والوقيعة ، كما حدث في حصار بنى قريظة وبنى قينقاع فكان الحصار هنا

كمبادرة الجيش بالهجوم في الميدان المختار بغير كبير اختلاف .

٥ - وكان نابليون معتدا برأيه في الفنون العسكرية ، ولا سيما الخطط الحربية ولكنه مع هذا الاعتداد الشديد لا يستغنى عن مشاورة صحبه في مجلس الحرب الأعلى قبل ابتداء الزحف أو قبل العزم على القتال .

ومحمد عليه السلام كان على رجاحة رأيه يستشير أصحابه في خطط القتال وحيل الدفاع ، ويقبل مشورتهم أحسن قبول ، ومن ذلك ما صنعه ببدر .

وقيل في روايات كثيرة انه عمل بمشورة سلمان الفارسي في حفر الخندق عند المنفذ الذي خيف أن يهجم منه المشركون على المدينة فحفر الخندق وعمل النبي بيديه في حفره .

وقبول النبي مشورة سلمان عمل من أعمال القيادة الرشيدة ، وسنة من سنن القواد الكبار ، غير أننا نعتقد أنه عليه السلام كان خليقا أن يشير بحفر الخندق لو لم يكن الالتفات الى سد الثغور ، وحماية الظهور في جميع وقعاته . وفي وقعة أحد ، جعل الجبل الى ظهره وأقام على الشعب الذي يخشى منه النفاذ والالتفاف خمسين راميا مشددا عليهم في التزام موقفهم قائلا لهم : احمسوا ظهورنا فانا نخاف أن يجيئوا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل » .

والذي يفعل هذا في شعب جبل ، لا يفوته أن يفعل مثله في ثغرة مدينة ، ولكن المشاورة هنا هي المقصودة بالمضاهاة بين ما سبق اليه النبي وما تبع فيه نابليون ، فهذه خصلة معهودة في كبار القواد لا تقدم فيما عرفوا به من قدرة على وضع الخطط وابتكار الأساليب .

٦ - ولم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون *

وكانت دراسة النبي في ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضربون العبداء المستقيين من ماء بدر ، لأنهما يذكران قریشا ولا يذكران أن أبا سفيان علم بفطنته الصادقة أنهما يقولان الحق ولا يقصدان المراء وسأل عن عدد القوم ، فلما لم يعرفا العدد سأل عن عدد الجزور التي ينحرونها كل يوم ، فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذي يحتاج اليه . وكان صلوات الله عليه انما يعول في استطلاع أخبار كل مكان على أهله وأقرب الناس الى العلم بفجاجة ودروبه ، ويفقد ما يسمى اليوم مجلس الحرب قبل أن يبدأ بالقتال فيسمع من كل فيما هو خير به من فنون حرب أو دلائل استطلاع *

٧ - واشتهر عن نابليون أنه كان شديد الحذر من الألسنة والأقلام وكان يقول أنه يخشى من أربعة أقلام ، ما ليس يخشاه من عشرة آلاف حسام *

والنبي عليه السلام : كان أعرف الناس بفعل الدعوة في كسب المعارك وتغليب المقاصد فكان يبلغه عن بعض أفراد أنهم يحرقون الذمة التي عاهدوا عليها ويشهرون به وبالأسلام ، أو يثيرون العشائر لقتاله ويزيدون في هجوه وهجو دينه ، فينفذ اليهم من يحاربهم في حصونهم أو يتكفل له بالخلاص منهم *

وعاب هذا بعض المغرضين من الكتاب الأوربيين وشبهوه بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان وما قيل عن محاولته أن يختطف الشاعر الانجليزى كولردج الذي كان يخوض في ذمه ويستهوئ الأسماع بسحر حديثه *

الا أن الفارق عظيم بين الحالتين : لأن حروب الاسلام انما هي حروب دعوة أو حروب عقيدة * وانما هي في مصدرها وغايتها كفاح بين التوحيد والشرك أو بين الالهية

والوثنية • وليس وقوف الجيش أمام الجيش الا سبيلا من
سبل الصراع فى هذا الميدان •

فليس فى حالة سلم مع النبى اذن من يحاربه فى صميم
الدعوة الدينية ويقصده بالطن فى لباب رسالته الاسلامية ،
وان لم ينفر الناس لقتاله ولم يحرضهم على النكث بعهد ،
وانما هو مقاتل فى الميدان الاصيل ينتظر من أعدائه
ما ينتظره المقاتل من المقاتلين ولا سيما اذا كانت الحرب
قائمة دائمة لا تنقطع فترة الا ريثما تعود •

اما نابليون فالحرب بينه وبين أعدائه حرب جيوش
وسلاح ، فلا يجوز له أن يقتل أحدا لا يحمل السلاح فى
وجهه أو لا يدينه القانون بما يستوجب ازهاق حياته •
وما نهض نابليون لنشر دين أو تفنيد دين • ولا كان
لرسول الاسلامى من غرض لو جاز له أن يقبل المسالة ممن
يحاربونه فى دينه وان لم يشهروا السيف فى وجهه • فان
الضرب بالسيف لأهون من المقتل الذى يضربون فيه •

تلك مقابلة مجملة بين الخطط والعادات التى سبق اليها
محمد وجرى عليها نابليون بعد مئات السنين • ومن الواجب
أن نحكم على قيمة القيادة بقيمة الفكرة أو الخطة قبل أن
نحكم عليها بضخامة الجيوش وأنواع السلاح •

ولم يتخذ محمد الحرب صناعة ، ولا عمد اليها كمن
أسلفنا الا لدفع غارة واتقاء عداوة • فاذا كان مع هذا
يتقن منها ما يتولاه مدفوعا اليه فله فضل السبق على اجتياز
الحروب الحديثة التى تعلمها وعاش لها ولم ينقطع عنها
منذ ترعرع الى أن سكن فى منفاه ولم يبلغ من نتائجه بعض
ما بلغ القائد الآمن بين رمال الصحراء •

ولقد كانت خبزة النبى ببعوث الاستطلاع كخبزته
ببعوث القتال فكانت طريقته فى الحديث الذى كثرت فيه
ذرائع التخبة والمراوغة وذرائع الكشف والدعوة فكثرت
فيه — من ثم — حاجة المقاتلين الى استقصاء أحوال الأعداء •

ففى الحروب الحديثة يتردد ذكر الأوامر المختومة التى تصدر عن قواد السرايا والسفن ليفتحوها عند مدينة معلومة أو بعد مسيرة ساعات أو فى عرض البحر على درجة معينة من درجات الطول والعرض . الى أمثال ذلك من العلامات التى تعين بها الجهات .

ويتفق فى أمثال هذه البعث أن يكون القائد وحده مطلعاً على سر البعث ورجاله جميعاً يجهلونه ولا يعرفون أهم خارجون فى غزوة أم فى مناورة استطلاع . الى ما قبل الحركة المقصودة بساعات معدودات ، وهنالك تصدر الأوامر التى لا بد من صدورها للتهيؤ والتنفيذ ، ولا خوف من كشفها فى تلك الساعات لصعوبة الاستعداد الذى يقابلها به العدو إذا انكشف له قبل تنفيذها بفترة وجيزة . ولا سيما إذا كانت الحركة من حركات البحار .

هذه الأوامر المختومة ليست بحدیثة .

وقد عرفت فى المآثورات النبوية على أتم أصولها التى تلاحظ فى أمثالها ، ومن ذلك أنه عليه السلام بعث عبدالله بن جحش ومعه كتاب أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، وفحواه أن « سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك وامض فيمن تبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها غير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » وهذا نموذج من الأوامر المختومة جامع لكل ما يلاحظ فيها حديثاً وقديماً وعند بداءة الدعوات على التخصيص .

فأولها كتمان الخبر عن من يحيطون بالنبي عليه السلام، فلا يبعد أن يكون منهم من هو مدخول النية عيناً عليه وعلى أصحابه من قبل قريش ، ولا يبعد أن يكون منهم من يبوح بالخبر ولا يريد به سوء أو يدرك ما فى البوح به من الخطر المحذور ، ولا يبعد أن يكون منهم الضعفاء والمخالفون .

وان الاستعانة على قضاء الحاجات بالكتمان لسنة

حكيمة من سنن النبي عليه السلام في جمع المظالم، وهي في حروب الدعوات على التخصيص اقمنا باتباع، ولهذا كان اذا اراد غزوة وري بغيرها على النحو الذي يتبعه قادة الحروب الى الآن *

ومما لوحظ في كتاب النبي لعبد الله بن جحش كتمان الخير عن اصحابه ثم وصاه ألا يكره أجدا منهم على المسير معه بعد معرفته بوجهته، وهذا هو أهم الملاحظات في هذا المقام *

فقد يحارب الرجل وهو مكره مهدد بالموت الذي يتقيه اذ يفر من القتال، ولكنه لا يستطلع من أرسلوه بل لعله ينقلب الى النقيض فيحرف الأخيار عمدا، أو يتلقاها على غير اكتراث، أو يطلع الأعداء على أسرار اصحابه وهم غافلون عنه *

ولهذا تعاني الدول أكبر العناء في مراقبة الجواسيس بالجواسيس وفي امتحان كل خير بالمراجعة بعد المراجعة والمناقضة بعد المناقضة، حتى تطمئن الى صحته قبل الاعتماد عليه *

وفي الحرب الحاضرة تجربة جديدة لهذا النوع من المستطلعين أو الرواد المتقدمين *

فقد عرف أن هتلر يعتمد على أفراد من جنده يهبطون من الطائرات وراء الصفوف فيتسللون الى مراكز المواصلات ويعيشون بين القرى المعزولة، فيشيعون فيها الرعب والحيرة ويوهمون من يراهم أن الجيش المخير كله على مقربة منهم فلا جدوى لهم من الاستغاثة أو المقاومة ويحمل معظم هؤلاء الرواد المتقدمين أجهزة للمخاطبة يستعينون بها على الاتصال برؤسائهم من بعيد *

قيل في الاعجاب بها أنها أفادت في قطع المواصلات واشاعة الذعر وتضليل المدافعين، وأنها شيء جديد في شكله وان لم يكن جديدا في غايته ومرماه *

ومن أسباب انتقادها أن كل فائدة فيها تتوقف على العقيدة وحسن النية ، فهي تستلزم أن يكون الرائد غيورا على عمله متحمسا لانجازه رقيبا على نفسه وهو بمعزل عن رقبائه ، فليس آيسر له اذا هو انفراد وأعوزته الرغبة فى انجاز عمله من أن يستأجر فى أول مكان يصل اليه من بلاد الأعداء طلبا للسلامة • ولا عقاب عليه الى نهاية القتال • ثم يتعمل بما شاء من المعاذير ان وجد بعد ذلك من يحاسبه ويعاقبه ، وهيئات أن تستجمع الأدلة عليه فى أمثال هذه الفوضى بين معسكرين أو عدة معسكرات •

قيل فى الاعجاب بهذه الخطة الهتلرية كثير ، وقيل فى انتقادها التنبيه الى خطرها كثير •

فالخطة الهتلرية فاشلة لا محالة ان لم ينفذها مريدون متعصبون غير مكرهين ولا متشككين فيما هو موكول اليهم ، وهى لهذا أخرى أن تحسب من وحى اخوان الطريق والهام العقائد لأمن النظام الذى يدرب عليه كل جيش ويصلح لجميع الجنود ، فلولا أن النازيين قضوا قبل الحرب الحاضرة زهاء عشر سنين ينفخون فى نفوس الناشئة جذوة البغضاء ويلهبونهم بحماسة العقيدة ويخلقون فيهم اللد الذى يغنى عن الرقابة ساعة التنفيذ لحبطت الخطة كل الحبوط وانقلبت على النازيين بشر انقلاب •

وها هنا تتجلى حكمة النبى عليه السلام فى اشتراط الرغبة والطواعية واجتناب القسر والاكراه •

فهذه « أولا » بعثة منفردة لا سبيل الى الاكراه الفعال بين رجالها اذا أريد •

وهى « ثانيا » بعثة استطلاع لا يغنى فيها عمل الكاره المقسور ، وألزم ما يلزم العامل فيها ايمانه وصدق نيته وحسن مودته لمن أرسلوه ، فان أعوزته هذه الصفة فقد أعوزه كل شيء •

أما غرض البعثة كلها وهو الاستطلاع ، فقد كان النبي عليه السلام عليماً بمزاياه معنياً به غاية العناية ، يحسب العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون ، في خفي من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية في الوقت الضروري ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه .

ومحمد عليه السلام لم يتعلم ما تعلمه هتلر ونازيون ، ولكنه لم يخطيء قط مثل هذا الخطأ في جميع غزواته وكشوفه ، ولعلنا نفهم - كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والأمثلة الباقية - لأنها تشتمل على أكثر من جانب واحد من جوانب السنة النبوية والتشريع الإسلامي في هذه الشؤون .

فهى سرية استطلاع كما علمنا لم نؤمر بقتال ولم يؤذن لها فيه .

ولكن حدث بعد فض الكتاب أن اثنين من رجال السرية ذهبا يطلبان بعيراً لهما ضل فأسرتهما قريش ، وهما سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان .

ثم نزل الركب بنخلة فمرت بهم غير قريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمي ، آخر شهر رجب . وكانت قريش قد حجزت أموال أناس من المسلمين منهم بعض من في السرية . فتشاوروا في قتال أهل العير ، وحاربوا فيما يصنعون ، أن تركوا العير تمضي ليلتها امتنعت بالحرم وفاتهم تعويض ما حجزته قريش في هذه الفرصة السانحة ، وإن قاتلوا أهلها قتلوه في شهر حرام ولكنهم اندفعوا إلى القتال فأصابوا من أصابوه ورمى أحدهم عمرو بن الحضرمي بسهم فأرداه قتيلاً وأسروا رجلين .

وقفل عبد الله بن جحش ومن معه إلى المدينة وقد حجزوا للنبي عليه السلام ، الخمس من غنيمتهم ، فأباه عليه السلام وقال لهم : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، وعنفهم إخوانهم لمخالفة النبي ، وساعت لقيامهم بين أهل المدينة » .

وراحت قريش تثير ثائرة العرب ، واندس جماعة من اليهود يشعلون نار الفتنة ، وتنادوا أن محمدا وأصحابه قد أباحوا الدماء والأموال في الشهر الحرام .
وقال المسلمون في مكة : بل كان ذلك في شعبان ، ثم نزلت الآيات :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالنَّدْبِ الْحَرَامِ وَأَخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

البقرة ٢١٧

فقيض النبي العير والأسيرين ، وطلبت قريش فداءهما فقال عليه السلام : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ، فانا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبكم » .

هذه قصة السرية ، وما وقع فيها خلافا لأمر النبي وما نجم عنها من تشريع فاذا نحن كتبناها باصطلاح العصر الحديث ، فكيف نكتبها ؟؟ وكيف نفهمها ؟

هى لا خلاف حادثة طلائع أو حادثة حدود .

ترسل احدى الدول طليعة من جندها الى حدودها للكشف أو للحراسة ، فيقع الاشتباك بينها وبين طليعة فى بلاد دولة اخرى على غير علم من الحكومتين .

فالذى يحدث فى هذه الحالة أن تنظر الحكومة الأخرى الى المسألة كأنها مسألة فردية عرضية لا تستوجب القتال وتكتفى بما ينال المسئولين على أيدي حكومتهم من جزاء أو تأنيب ، وينحسم النزاع .

هذا أو تصر الحكومة الأخرى على طلب الترضية ، فإن قبلتها الحكومة المطلوبة فالنزاع منحسم ، وإن لم تقبلها فالمفاوضة والمساومة ، أو امتشاق الحسام .

ذلك إذا نظر الفريقان الى المسألة كأنها مسألة فردية عرضية ، ولم يشأ أحدهما أو كلاهما أن يضنعاها موضع التشريع العام لتقرير الحكم الذي تجريان عليه فيها وفي أمثالها أو تقرير ما يعترفان به وما ينكرانه من الشرائط والأصول .

وقريش لم تكتف بالنظر الى حادثة السرية كأنها حادثة فردية عرضية ولم تعلن الحرب توا لأنها تبينت النية لإعلانها بعد حين . . . ولكنها أثارت مسألة تشريع عام في قتال الشهر الحرام . فوجب أن ينص الإسلام على هذا التشريع صريحا لا لبس فيه ، وهو الذي كان .

ليست المسألة أن عبد الله بن جحش قد خالف أمر النبي ، فهذا أمر مفروغ منه ولا محل للبحث فيه .

انما المسألة هي : ما الحكم بعد الآن في قتال الأشهر الحرام ؟ ماذا يبلغ من حق المشركين في الاحتماء بحرمة هذه الأشهر إذا كانوا لا يردون للمسلمين حرمة ولا يزالون يقاتلونهم ويردونهم ما استطاعوا ! وما الجواب على تشهير قريش واحتجاجها بالحرمة التي لا ترعاها ؟

هذا هو الحكم الذي وجب أن يعلنه الإسلام ، وقد أعلنه على الوجه الذي دانت به الشرائع الحديثة في علاقتها الحربية ولا تزال تدين به حتى اليوم . فهناك حرمة دولية إذا خالفها إحدى الدول بطل احتماؤها بها وأحل لغيرها أن يخالفها كما خالفها أو يتخذ من القصاص ما يردع الشر ويعوض الخسارة ، والا كانت الحرمة درعا للمعتدين ولم تكن مانعا لهم وسندا في وجوههم كما أريد بها أن تكون .

واليوم تنقطع العلاقة بين دولتين في حالة حرب أو جفام
فيجوز لكلتيهما أن تحبّز ما عندها من اموال الدولة الأخرى
وأن تأسر الذين في بلادها من رعاياها ، ويجوز لها أن
تجعل تلك الأموال ضمانا لسداد المغارم التي تنزل بها
وبأبنائها ! وأن تتخذ من المعتقلين رهائن تعاملهم بمثل
ما يعامل به المعتقلون من أبنائها في سجون الدولة الأخرى *

فالذي حدث بعد سرية عبد الله بن جحش هو هذا
بعبينه وهو حكم القانون الدولي المتفق عليه : أسيران بأسيرين
والمتعصبين في تعقيبيهم على هذا الحادث المألوف أو على حكم
النبي والاسلام فيه * فان أصحاب هذه الضجة يعمون عما
حولهم وينسون أن المعاملات الدولية في زمانهم لم تفصل
في أمثال هذه الحوادث ، بحكم أنفع ولا أعدل من الحكم الذي
ارتضاه النبي ونزل به القرآن وهو حكم مساواة يدين به
المسلمون كما كانوا يداونون ، ويحار المتعسف لو شام أن
يستبدل به ما هو خير منه وأدى الى النفاذ والاتباع *

وكان هذا القائد الملهم الخبير بتجنيد بعوث الحرب
وبعوث الاستطلاع ، خبيرا كذلك بتجنيد كل قوة في يديه
متى وجب القتال ، ان قوة لسان وان قوة نفوذ فما نعرف أن
أحدا وجه قوة الدعوة توجيها أسد ولا أنفع في بلوغ الغاية
من توجيهه عليه السلام *

غرضان :

والدعوة في الحرب لها - كما لا يخفى - غرضان
أصيلان بين أغراضها العديدة * * أحدهما اقناع خصمك
والناس بحقك ، وهذا قد تكفل به القرآن والحديث ودعاة
الاسلام جميعا ، فالدين كله دعوة من هذا القبيل *

وثانيهما : اضعافه عن قتالك باضعاف عزمه وإيقاع
الشتات بين صفوفه ، ورثما بلغ النبي برجل واحد في هذا

الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة ، وبالمكاتب
والدواوين وبدر الأموال .

قال ابن اسحاق ما ننقله ببعض تصرف : أن نعيم بن
مسعود الغطفاني أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله اني
قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي . . فمرني بما
شئت ، فقال رسول الله : انما أنت فينا رجل واحد فنزل عنا
ان استطعت فان الحرب خدعة . . أي أدخل بين القوم حتى
يخذل بعضهم بعضا فلا يقوموا لنا ولا يستمروا على حربنا .

« فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم
نديما في الجاهلية قال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودي
اياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم » . « قالوا : صدقت . .
لست عندنا بمتهم » .

فقال لهم : « ان قريشا وغطفان ليسوا بكم . .
البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبنائكم ونسائكم لا تقذرون
على أن تتحولوا منه إلى غيره وأن قريشا وغطفان قد جاءوا
لحرب محمد وأصحابه . وقد ظاهروهم عليه وبلدهم
وأموالهم ونسائهم وغيره . فليسوا بكم ! فان رأوه نهزه
أصابوها . وان كان غير ذلك لحقوا ببلدهم واخلوا بينكم وبين
الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقتلوه منع
القوم حتى تأخذوا منه رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم
ثقة لكم على أن تقاتلوا محمدا حتى تناجزوه » .

« فقالوا له لقد أشرت بالرأي » .

« ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب
ومث معه من قريش ، قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمدا ،
وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا
لكم . . فاكتبوا عني ! . . »

« قالوا : نفعل » *

« قال : تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد » وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا - فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قریش و غطفان رجالا من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ » فأرسل اليهم أن نعم . . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا *

« ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهموننى قالوا : « صدقت ما أنت عندنا بمتهم » *

« قال : فاكتبوا عنى » *

قالوا : نفعل ، فيما أمرك ؟ *

فقال لهم مثل ما قال لقریش وحذرهم ما حذرهم *

« فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمسة ، أرسل أبو سفيان بن حرب ورموس غطفان الى بنى قريظة هكرمة ابن أبى جهل فى نفر من قریش و غطفان ، فقالوا له : انا لسنا بدار مقام ، لقد هلك الخف والحافر ، فاقضوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه . » فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بمقاتلى محمد حتى تعطونا رهينا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا فانا نخشى أن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال . » أن تنشملوا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه *

« فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قریش : والله ان الذى حدثكم به نعيم ابن مسعود لحق

فأرسلوا الى بنى قريظة : أنا والله لن ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، ان كنتم تريدون القتال فأخرجوا فقاتلوا .
وقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القسوم الا أن تقاتلوا فان زأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم .

« . . . » وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفاً قدورهم وتطرح أبنييتهم . ثم رحلت قريش وغطفان الى بلادها ، وانصرف رسول الله من الخندق راجعاً الى المدينة .

هذه دعوة نعيم بن مسعود .

وما نجحت دعوة قط برجل واحد نجاح هذا الرجل ، ولا انتهزت فرصة العناصر الطبيعية والعناصر التى تتألف منها جماعة الأعداد ، كما انتهزت هذه الفرصة . فكل كلمة قبلت طائفة من طوائف ، فهى الكلمة التى ينبغى أن تقال فى الوقت الذى ينبغى أن تفعل فيها فعلها ، وهذه هى دعوة الاضعاف والتمزيق كأمضى ما تكون .

قائد بغير نظير :

عندما تنعقد المقارنة بين الممارك القديمة والممارك العصرية ينبغى أن ننظر الى فكرة القائد قبل أن ننظر الى ظواهر الممارك أو الى اشكالها وأحجامها ، لأننا اذا نظرنا الى الظواهر ، فلا معنى اذن للمقارنة على الاطلاق .
اذ من المقطوع به أن عشرة ملايين يجتمعون فى ميدان واحد أضخم من عشرة آلاف ، وان حرباً تدار بالمذيع والتليفون أعجب من حرب تدار بالفم والاشارة ، وأن نقل الجنود بالطائرات والدبابات أبرع من السهم . فلا معنى اذن لمقارنة بالظواهر تنتهى الى نتيجة واحدة . . . وهى استضيغام

الحرب الحديثة والنظر الى القيادة الفاعلة كأنها شيء صغير
الى جانب القيادة التي توجه هذه الضخامة *

لكننا اذا نظرنا الى فكرة القائد ، أمكننا أن نعرف كيف
أن توجيه ألف رجل قد تدل على براعة في القيادة لا تراها
في توجيه مليون * * بينهم الراجل والراكب ، ومنهم
يركبون كل ما يركب من مخلوقات حية وآلات مخترعة *

وهذه الفكرة هي التي تربينا معجدا عليه السلام قائدا
حزيبا بين أهل زمانه بغير نظير في رأيه وفي الانتفاع
بمشورة صحبه ، وتبرز لنا قدرته النادرة بين قادة العصور
المختلفة في توجيه كل ما يتوجه على يدي قائد من
قوى الرأي والسلاح والكلام * وهذه القدرة هي شهادة
كبرى للرسول ، تأتي عن طريق الشهادة للقائد الخبير
بفتون القتال *

فمن كانت عنده هذه الأداة النافذة فاقصر بها على
الدفاع واكتفى منها بالضرورة الذي لا محيص عنه ، فذلك
هو الرسول الذي تغلب فيه الرسالة على القيادة العسكرية
ولا يلجأ الى هذه القيادة إلا حين توجيهها رسالة الهداية *

ويزيد هذه الشهادة عظما ان الرجل الذي يتجنب
القتال في غير ضرورة ، رجل شجاع غير هباب *

شجاع وليس كبعض الهداة المصلحين الذين تجور فيهم
فضيلة الظنية على فضيلة الشجاعة ، فيحجمون عن القتال
لأنهم ليسوا بأهل قتال *

ان بعض المستشرقين زعموا أنه عليه الصلاة والسلام
قد اشترك في حرب الفجار بتجهيز السهام ، لأنه عمل أقرب
الى خلقه من الخوض في معمة القتال * * وكأنهم أرادوا
انه لم يكن قادرا على المشاركة في المعمة بغير ذلك *

فهذا خطأ فى الاحاطة بمزايا هذه النفس العظيمة التى تعددت جوانبها حتى تجمعت فيها أطيب صفات الجنان وأكرم صفات البسالة والاقدام .

فمحمد كان فى طليعة رجاله حين تتقدم ناز الحرب ويهاب شواظها من لا يهاب ، وكان على فارس الفرسان يقول : « كنا اذا اشتد البأس اتقيننا برسول الله ﷺ » . فما يكون أحد أقرب منه الى العدو » .

ولولا ثباته فى وقعة حنين ، وقد ولت جمهرة الجيش ، وأوشك أن ينفرد وحده فى وجه الرماة والطاعنين ، لحقت الهزيمة على المسلمين .

وخروجه والليل لما يسفر عن صيخة ليطوف بالمدينة مستطلعا ، وقد هددها الأعداء بالغارة والحصار ، أمر لو لم تدعه اليه الشجاعة الكريمة لم يدعه اليه شيء ، لأن المدينة كانت يومئذ حافلة بمن يؤدون عنه مهمة الاستطلاع وهو قرير فى داره ، ولكنه أراد أن يرى بنفسه فلم يشنه خوف ولم يعهد بهذا الواجب الى غيره .

ومشاركته فى الوقعات الأخرى هى مشاركة القائد الذى لا يعفى نفسه وقد أعفته القيادة من مشاركة الجند عامة فيما يستهدفون له ، فهى شجاعة لا تؤثر أن تتوارى وعندها العذر المقبول بل العذر المحمود .

واذا كان القائد خيرا بالحرب قديرا عليها غير هياب لمخاوفها ، ثم اكتفى منها بالضرورة الذى لا محيص عنه . . . فذلك هو الرسول تأتية الشهادة بالرسالة من طريق القيادة العسكرية ، وتأتى جميع صفاته الحسنى تبعا لصفات الرسول .

خصائص العظمة :

لكن للعظمة خصائص تدعو الى العجب ، وان كانت معروفة الأسباب وناهيك بالعظمة التى ترتقى هذا المرتقى .

فمن تلك الخصائص أنها قد توصف بالنقيضين في وقت واحد :

لأنها متعددة الجوانب ، فيراها ناس على صورة ، ويراهـا غيرهم على صورة أخرى وربما رأتها العين الواحدة على اختلاف في الوقتين المختلفين * .

ولأنها تبعث الحب الشديد كما تبعث البغض الشديد ، وبين الطرفين مجال للاعتدال يستقيم للراشدين ، ومجال للمغالاة من هنا ، وللمغالاة من هناك * .

ولأنها عميقة الأغوار ، فلا يسهل استيطانها لكل ناظر ، ولا يتأتى تفسيرها لكل مفسر * وهذا اذا اسلمت النفوس من سوء النية ، فأما اذا ساءت النيات وران الهوى على البصائر ، فلا عجب اذن في الضلال * .

ومن خصائص العظمة النبوية في محمد عليه السلام ، أنه وصف بالنقيضين على السنة المتعصبين من أعداء دينه — فهو عند أناس منهم صاحب رقة تحرمه القدرة على القتال. وهو عند أناس آخرين صاحب قسوة تغريه بالقتل واهدار الدماء البشرية في غير جريرة وتنزه محمد عن هذا وذاك * .

فاذا كانت شجاعته عليه السلام تنفى الشبهة في رقة الضعف والخوف المعيب فحياته كلها من طفولته الباكرة تنفى الشبهة في القسوة والجفاء ، اذ كان في كل صلة من صلاته بأهله أو بمرضعاته أو بصحبه أو بزوجاته أو بخدمه ، مثلاً للرحمة التي عز نظيرها في الأنبياء * .

ولا تقف كثيرا عند الحوادث التي ذكرها المتعصبون ليستدلوا بها على اهدار الدماء * .

وفى جريرة فأكثرها لم يثبت قط ثبوتاً يقطع الشك فيه ولا سيما القول بتحريض النبي عليه السلام على قتل عصماء بنت مروان اليهودية ، لأنها كانت تهجو الاسلام والمسلمين . فان النبي عليه السلام قد نهى فى قول صريح عن قتل النساء وكرر قوله فى غير موضع ، حتى قال بعض الفقهاء بمنع قتل المرأة وان خرجت للقتال ، ما لم يكن ذلك لدفع خطر لا يدفع بغير قتلها .

والحادث الوحيد الذى يستحق الالتفات اليه هو مقتل كعب بن الأشرف الذى كان يهجو المسلمين ، ويقدر فى دينهم ، ويؤلب عليهم الأعداء ويأتمر بقتل النبي ويدخل فى كل دسيئة تنقض معالم الاسلام . . وكان مع قومه بنى النضير معاهداً على أن يحالف المسلمين ، ويحارب من يحاربونهم ، ولا يخرج لقتالهم ، ولا يقابلهم الا بما يقابل به الحليف حليفه من المودة والمعونة .

فنقض العهد وزاد على نقضه تأليب العرب مع قومه على النبي وصحبه وانه رجع الى المدينة « فشجب بنساء المسلمين حتى آذاهم » وافترى عليهن وعليهم ما ليس يفتريه رجل شريف وليس يرضاه فى عرضه عربى غيور .

ورد فى حديث مقتله أن الرهط الذين خرجوا لقتله انتهوا الى حصنه ، فهتف به أبو نائلة - وكان حديث عهد بعرس - فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت : « انك امرؤ محارب ، وان أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ! » .

وصدقت امرأته حين وصفته بأنه محارب يعامل معاملة المحاربين ، وقد حنثوا فى ايمانهم ، فلم يكن راعياً لعهده ، ولم يكن له وازع من نفسه ولا من قومه ، ولم يكن مأموناً على المسلمين وهو لائذ بحصنه . . فهو أقل الناس حقاً فى

أمان وجاء في الخبر ان النبي عليه السلام آخر مقتله ،
فغاب بعض المؤرخين الاوربيين ذلك ، وحسبوه خروجاً على
سنن القتال يشبه فعلة ناپليون الكبير حين أمر باختطاف
الدوق دنجان ومحاكمته بغير حق ، مع ما بين الحادثين من
يؤن بعيد بيناه من قبل فلا نعود اليه . الا أننا نوجز هنا
فلا نزيد على أن نشير الى حكم القانون الدولي في أحدث
العصور على من يؤخذون بصنيع معيب كصنيع ابن الأشرف
وان لم يبلغ مبلغه من القدر والكيد والاساءة الى الأعراض .

وذلك هو حكم الأسير الذي ينطق بعهد الشرف الا يعود
الى القتال . . فان القانون الدولي يوجب عليه أن يوفى
بعهده ويوجب على حكومته الا تنتدبه الى عمل ينقض ما عاهد
الأعداء عليه ، ويقضى بخرمانه حق المعاملة كما يعامل أسرى
الحرب اذا شهر السلاح على الدين أطلقوه أو على حلفائهم
المحاربين في صفوفهم ويصح اذن أن يحاكم كما يحاكم
المدنيون ويقضى عليه بالموت .

فقوانين العصر الحديث اذا تعاقب بالموت جريمة أهون
من جريمة كعب بن الأشرف بكثير لأنه تجاوز القدر الى
التأليب والائتمار وثلب الأعراض وليس في توقيع هذه
الأحكام قسوة ولا رحمة لأن المراجع فيها الى الضرورة التي
أوجبت القصاص وفرضته على الناس في أحوال السلم بين
أبناء الأمة الواحدة ، فضلاً عن أحوال القتال بين الأعداء .

سابعاً : عبقرية محمد السياسية والادارية :

١ - سياسة الخصوم والأتباع :

السياسة على معان كثيرة من العرف الحديث :

فمنها ما يكون بين بعض الدول وبعض من المراسم والعلاقات ، ومنها ما يكون بين هذه الدول من معاهدات وخطط في أعمالها الخارجية ومنها ما يكون بين الراعي ورعيته أو بين الأحزاب والوزارات من برامج ودعوات ولكل معنى من هذه المعاني اصطلاحه في العرف الحديث ، وان جمعتها كلمة السياسة في اللغة العربية .

وقد تولى النبي عليه السلام أعمالاً كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة في عموم مدلوله . . . ولكننا لا نعرف بينها عملاً واحداً هو أدخل في أبواب السياسة وأجمع لضروبها ، وأبعد على المشاركة في صفة القيادة العسكرية أو صفة الوعظ العلني أو سائر الصفات التي اتصف بها عليه السلام من عهد الحديبية في مراحلها جميعاً ، منذ ابتداء بالدعوة إلى الحج إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدي قريش ففي عهد الحديبية تجلى تدبير محمد في سياسة خصومه وسياسة أتباعه وفي الاعتماد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان ، والاعتماد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود .

بدأ بالدعوة إلى الحج ، فلم يقصره في تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته . بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل العربية التي تشارك المسلمين في تعظيم البيت والسعى إليه ، فجعل له وللعرب أجنتين قضية واحدة في وجه قريش ، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها . وفصل

بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى ، ثم أخذ على قريش ما تعدوه من اثاره نخوة العرب وتوجيهها الى مناوأة محمد والرسالة الاسلامية . فليس محمد وأصحابه أناسا معزولين عن النخوة العربية يضعون من شأنها ويبتطلون مفاخرها ، ولكنهم اذن عرب ينتصر بهم العرب ولا يذلون بانتصارهم ، أو يقطعون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم فاذا خالفوا قريشا فى شىء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المنتفعين من قريش بالسيطرة على مكة ، وليس هو شأن القبائل أجمعين ، ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تعدوه من اغصاب العرب على الاسلام ، بما ادعوا من قطعه للأرزاق وتهديده للأسواق التى يعمرها الحاج ويستفيد منها الغادون الى مكة والرائحون منها . فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين الى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته وذلك وزره على نفسه وعلى قومه . ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين .

وقد سمعنا كثيرا فى العصور الحديثة عن المقاومة السلبية أو المقاومة التى تجتنب العنف ولا تعتمد على غير وجه الحق والحجة .

سمعنا بها عن الحركة الهندية التى قام على رأسها غاندى وتابعه فيها بعض مريديه ، حتى كان لها الأثر فى ازعاج الحكومة البريطانية ما لم يكن للقبائل ولا للمشافعات الدامية .

وقيل يومئذ ان غاندى قد تتلمذ فى هذه الحركة للمصلح الروسى الكبير ليون تولستوى . . . وقيل بل هو آخرى أن يعرفها من آداب البرهميين والبوذيين التى تحرم اىذاء الحيوان فضلا عن الانسان قبل أن يشرع ليون تولستوى مذهبه الجديد ، والذين قالوا بهذا رأى الأخير استبعدوا أن يتفق المسلمون والبرهميون والبوذيون على حركة غاندى وتبشيره بتلك المقاومة السلبية لاعتقادهم أن الاسلام قد شرع

القتال ، فلا يوائم المسلمون ما يوائم البوذيين والبرهميين ،
من اجتناب القوة والتزام السلم وترك المقاومة . ولكن
المثل الذي قدمه النبي صلوات الله وسلامه عليه في رحلة
الحديبية ينقض ما توهموه ، ويبين لهم ان الاسلام قد اخذ من
كل وسيلة من وسائل نشر الدعوة بنصيب يجرى في حينه مع
مناسباته وأسبابه . . . فلا هو يركن الى السيف وحده ولا الى
السلم وحده ، بل يضع كليهما حيث يوضع ، «ويدفع بكليهما
حيث يوضع» ، ويدفع بكليهما حيث ينبغي أن يدفع ، وهو
الحكم المتصرف حيث يختار ما يختار ، وليس بالآلة التي
يسوقها السلم أو الحرب مساق الاضطراب .

— وقد خرج النبي الى مكة في رحلة الحديبية حاجا
لا غازيا يقول ذلك ويكرره .

ويقيم الشواهد عليه لمن سأله ، ويثبت نية السلم
بالتجريد من السلاح ، الا ما يؤذن به لغير المقاتلين .

فلم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش وحسب ، بل
فصل بين قريش ومن معهم من الاحابيش ، وجعل الزعماء
وذوى الراى يختلفون فيما بينهم على ما يسلكون من مسلك
في دفعه أو قبوله أو مهادنته ، وهو عليه السلام يكرر
الوصاية لاتباعه بالمسالة والصبر ، منعا للاتفاق بين خصومه
على قرار واحد ، وقل من أتباعه من أدرك قصده ومرماه حتى
الصفوة المختارون .

ولما اتفق الطرفان — المسلمون وقريش — على التعاهد
والتهادن ، كانت سياسة النبي في قبول الشروط التي
طلبتها قريش ، غاية في الحكمة والقدرة الدبلوماسية « كما
تسمى في اصطلاح السياسة المحدثين .

دعا بعلى بن أبى طالب فقال له :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش : « أمسك !
لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل أكتب باسمك اللهم » .

فقال النبي « اكتب باسمك اللهم » .

ثم قال : « اكتب (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
سهيل بن عمرو) » .

فقال سهيل : « أمسك ! لو شهدت أنك رسول الله لم
أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك » .

وزوى أن عليا تردد فمسح النبي ما كتب بيده ، وأمره
أن يكتب « محمد بن عبد الله » في موضع « محمد رسول الله » .

ثم تعاهدوا على أن من أتى محمدا من قريش بغير إذن
وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من رجال محمد لم يردوه
عليه ، وأن من أحب من العرب مخالفة محمد فلا جناح عليه
. . من أحب مخالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد
وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا إليها في
العام الذي يليه ويقيموا بها ثلاثة أيام ومعهم من السلاح
السيوف في أعمادها ولا سلاح غيرها .

ولو كان عهد الحديبية هذا قد كتب بعد قتال انهزم
فيه المشركون وانتصر فيه المسلمون ، لوجب أن يكتب على
غير هذا الأسلوب : . فيعترف المشركون كرها أو طوعا بصفة
النبوة ، ولا يردون أحدا من مواليهم أو قاصريهم يذهب إلى
النبي عليه السلام ويلحق بالمسلمين .

ولكنه عهد مهادنة أو عهد « ايقاف أعمال العداء إلى حين »
كما يسمونه في اصطلاح العصر الحاضر . . فلا يعوزه شيء
من الأصول المرعية في أمثال هذه العهود من اثبات صفة
المندوبين التي لا ارغام فيها لأحد الطرفين ولا مخالفة
لدعوى الفريقين ، ومن حفظ كل لحقه في تحديد دعواه
واستئناف مسعاه .

فلو أن النبي عليه السلام شرط على قريش أن ترد إليه
من يقصدها من رجاله لنقض بذلك دعوى الهداية الإسلامية ،
ونقض الوصف الذي يصف به المسلمين فان المسلم الذي

يترك النبي باختياره ليلحق قريشا ليس بمسلم ، ولكنه
مشرك يشبه قريشا في دينها وهي أولى به من تبي الاسلام .

أما المسلم الذي يرد الى المشركين مكرها ، فانما الصلة
بينه وبين النبي الاسلام ، وهو شيء لا سلطان عليه للمشركين
ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب . فان كان الرجل
ضعيف الدين ففتنوه عن دينه فلا خير فيه ، ان كان وثيق
الدين فبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين .

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هي
الخاسرة بذلك الشرط الذي حسبته غنما لها وخذلانا لمحمد
صلوات الله وسلامه عليه . . . فان المسلمين الذين نفروا من
قريش ولم يقبلهم محمد في حوزته رعاية لعهد قد خرجوا الى
طريق القوافل يأخذونها على تجارة قريش وهي أمان في عهد
الهدنة بين الطرفين ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم الى
النبي لأنهم خارجون عن ولايته بحكم الهدنة ، ولا استطاعوا
أن يحجزوهم في مكة كما أرادوا يوم أملوا شروطهم في عهد
الحديبية ، ولو قضى العهد بولاية النبي على من ينهر من
مسلمى مكة لجاز للمشركين أن ينقضوه أو يطالبوا النبي
بالمحافظة عليه .

وتم العهد . . وعرف من لم يعرف ما أفاء على الاسلام
بعد قليل .

فجهر بمخالفة النبي من لم يكن يجهر بولائه . .
واستراح النبي من قريش ففرغ ليهود خيبر وللممالك
الأجنبية يرسل الى عظمائها بالدعوة الى دينه ، وفتح الأبواب
لمن يفدون اليه ممن أنكروا بغى قريش وأمنوا أن تكون
نصرتهم للاسلام حربا يبتلون فيها بما لا يطيقون .

ويوم نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية
يفقه الكثيرون معناها في حينها ، لم يتبينوا موضع الفتح

من ذلك الاتفاق الذي حسبوه محض تسليم . . ولكنهم فهموا أى فتح هو بعد سنتين وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف ، وما يشبه الهزيمة فى ظاهره عند من يتعجلون ولا يحسنون النظر الى بعيد .

الفتح المبين :

كان فى تلك السنة فتح يراه الناظر بعين الغيب ولا يراه الناظر بعينه ، ولكنها سنة واحدة ثم رأى الفتح المبين من لا يرون بغير العيون . . رأوه وامتلأت عيونهم بالنظر اليه ، فسر قوما وساء آخرون .

ففى السنة التالية نادى الرسول أصحابه أن يتجهزوا للحج ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فخرجوا فى شوق المنطلق بعد منع والمنتظر بعد صبر ، الا من استشهد فى خيبر وأدركته الوفاة خلال العام . وخرج معهم جمع كبير ممن لم يشهدوا الحديبية يتبعهم النساء والأطفال وساقوا أمامهم ستين بدنة مقلدات للهدى وقد حملوا السلاح والدروع والرماح على رأسهم مائة فارس يقودهم محمد بن مسلمة .

فلما انتهى الرسول وصحبه الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه وعلمت قریش بالنبا ففزعوا وبعثوا بمكرز بن حفص فى نفر منهم فجاءوا يقولون : « لا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالقدر . . تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت عليهم ألا تدخل الا بسلاح المسافر : السيوف فى القرب ؟ » فقال عليه السلام : « انى لا أدخل عليهم بسلاح » قال مكرز هو الذى تعرف به « البر والوفاء » .

وانما حمل النبى السلاح للحيفة كما قال لصحبه : « ان هاجنا هائج من القوم كان السلاح قريبا منا » . . وتركه فى الحراسة على مقربة من مكة حيث يوصل اليه عند الحاجة ناليه .

ثم أقبل عليه السلام على ناقته القصبواء وجموع المسلمين محدقون به متوشحون بالسيوف يلبون ويهللون، وأخذ عبد الله بن رواحة بزمام القصبواء وهو ينشد :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
خلو فكل الخير في رسوله
يا رب انى مؤمن بقبلة
أنى رأيت الحق فى خيوله

وأوشك وقد هزته النخوة أن يصيح فى قريش صيحة الحرب ، فنهاه عمر رضى الله عنه وأمر النبى أن ينادى ولا يزيد « لا اله الا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده وخذل الأحزاب وحده » فرفع ابن رواحة بها صوته الجهر وتلاه المسلمون يرددونها وتهتز بها جنبات الوادى القريب فيسمعها من فارقوا مكة لكيلا يسمعوها ولا يروا ركب النبى يخطو فى نواحيها .

كان الفتح الذى بصر به عيانا من لم يره يوم الحديبية بنور البصيرة . . وأسلم من الضعفاء والأقوياء من كان عصيا على الاسلام ! فريق منهم يهزم وفاء النبى بعهد مع استطاعة نقضه ، وفريق منهم راعهم سمت الدين ورحم الاسلام فيما بين المسلمين ، وجمال ما بينهم وبين نبيهم من طاعة وتمكين ، وفريق منهم علموا أن العاقبة للاسلام ، فجنحوا الى طريق السلامة والسلام وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت فى آثارها من أسباب الاقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وهما فى رجاغة الخلق والعقل مثلان متكافئان ، وان كانا لا يتشابهان .

وهكذا تجلت عبقرية محمد فى سياسة الأمور كما تجلت فى قيادة الجيوش فكان على أحسن نجاح فى سياسته إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته ، واذ دعا المسلمين وغير المسلمين الى مصاحبته فى رحلته ، واذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة اقامة الحجة فى انفاذ

عزيمته ، واذ قيل العهد الذى كبر قبوله على أقرب المقربين
من عشيرته ، واذ نظر الى عقباه ووصل به الى القصد الذى
توخاه .

٢ - عبقرية محمد الادارية :

(١) ملكات شخصية :

فى الاسلام أحكام كثيرة مما يدخل فى تعرف رجال
الادارة كما نسميهم اليوم .

وفيه وصايا كثيرة عن المعاملات ، كالمساقاة والمبايعة
والاستقراض والشفعة والتجارة وسائر شئون المعيشة
الاجتماعية يقتدى بها المشرعون فى جميع العصور .

ولكننا لا نريد بما نكتب عن النبي عليه السلام ان
نسرده أحكام الفقه ونبسط وصايا الدين ، فهى مشروحة فى
مواطنها لمن شاء الرجوع اليها .

وانما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه من حيث هى
ملكات شخصية وسلائق نفسية ، تلازمه حيث كان مؤديا
لرسالة الدين ، أو مؤديا لغير الرسالة من سائر أعمال
الانسان .

كذلك لا يعنينا مثلا أن نتكلم عن « الادارة » كأنها
نصوص المنشورات واللوائح التى تدار بها الدواوين
وتجرى عليها تفصيلات الحركة فى مكاتب الحكومة ، فان
هذه وما اليها هى أعمال منفذين مأمورين وليست أعمال
مديرين أمرين .

وانما نعنى الملكة الادارية من حيث هى أساس فى
التفكير .

ومن اعتمد عليه واستطاع أن يقيم بناء الادارة على
أسس قويمه ثم بدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق
فليس فى وسع رجل مطبوع على الفوضى مستخف بالتبعية ،

أن يؤسس إدارة نافعة ولو كان فيما عدا ذلك كبير العقل
كبير الهمة .

أما السليقة المطبوعة على انشاء الإدارة النافعة ، فهي
السليقة التي تعرف النظام ، وتعرف التبعة ، وتعرف
الاختصاص بالعمل ، فلا تسنده الى كثيرين متفرقين يتولاه
كل منهم على هواة .

وقد كانت هذه السليقة في محمد عليه السلام على أتم
ما يكون .

كان يوصى بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعي أو
العمل المجتمع الذي يحتاج الى تدبير . ومن حديثه المأثور :
« اذا خرج ثلاثة في سفر ، فليؤمروا أحدهم » . ومن
أعماله المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة
للأمير وخليفة للخليفة اذا أصيب من تقدمه بما يقعدة عن
القيادة . وكان قوام الرئاسة والامامة عنده شرطين ، هما
جماع الشروط في كل رئاسة ، وهما الكفاءة والحب .
« أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنقص علم أن العشرة
أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة
المسلمين » .

و « أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته
أذنيه » .

وكان الى عنايته باسناد الأمر الى المدير القادر عليه
عريضا على تقرير التبعات في الشؤون ، ما كبر منها وما
صغر ، على النهج الذي أوضحه صلوات الله عليه حيث قال :
« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على
الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع عن أهل
بيته وهو مسئول عنهم ، المرأة راعية على بيت بعلها وهي
مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه
ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وقد كانت أوامر الاسلام ونواحيه معروفة لطائفة

كبيرة من المسلمين أنصارا كانوا أو مهاجرين ، ولكنه عليه السلام لم يترك أحدا ما يدعى لنفسه حقا في إقامة الحدود وإكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهي غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس .

فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلا من المشركين غضب عليه السلام وقال فيما قال من حديثه المبين « . . فمن قال لكم أن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة » .

ولما أراد أن يصادر الخمر نهج في ذلك منهجا يقصد به التعليم والاستئذان كما جاء في رواية ابن عمر حيث قال :

« أمرني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن آتيه بمديّة ، فأتيته بها . فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيتها فقال أغد علي بها . ففعلت ، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام . فأخذ المديّة مني فشقق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيتها . وأمر الذين كانوا معه أن يمشوا معي ويعاونوني ، وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت ، فلم أترك في أسواقها زقا إلا شققته » .

وهذا تصرف المدير بعد تصرف النبي الذي يبين الحرام ويبين الحلال .

فالخمر شربها وبيعها ونقلها حرام يعلمه جميع المسلمين من تفقه منهم ومن لم يتفقه في الدين ، ولكن المحرمات الاجتماعية ينبغى أن تكون في يد ولي المسلمين لا في يد كل فرد يعرف الحلال والحرام . وليست المسألة هنا مسألة تحريم وتحليل ولكنها مسألة إدارة وتنفيذ في مجتمع حافل يشتمل على شتى المصالح والأهواء ، ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب واختلاف الدواعي وانتزاع الطاعة وتجاهل السلطان ، فلم يكتف النبي عليه السلام بصريح التحريم في القرآن ولا أكتفى بإسناد الأمر

الى غير معروف الصفة فى تنفيذ الأحكام ، بل خرج بنفسه
ثم أمر رجلا بعينه وأناسا بأعينهم أن يمضوا فى اتمام عمله ،
ولم يجعل ذلك اذنا لمن شاء أن يفعل ما شاء .

وما أكثر ما سمعنا فى أيامنا الأخيرة عن الأمن والنظام
وتوطيد أركان الشريعة والقانون ، ولكننا لا نعرف فى كل
ما قيل كلاما هو اجمع لوجوه الصواب فى هذه المسألة من قول
النبي : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع
ولا طاعة » .

ومن قوله فيما رواه ابن الصنامت : « .. الا ننازع
الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم بعض الشر خيار » .

ومن قوله « الامام الجائر خير من الفتنة ، وكل لا خير
فيه » وفى بعض الشر خيار » . ومن قوله : « ان الأمير اذا
ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » الى أحاديث فى هذا المعنى
هى جماع الضوابط التى تقوم عليها الادارة الحكيمة أو
الخطط السليمة المستقيمة بين أمر ومأمور .

نظام وفوق النظام سلطان ، وفوق السلطان برهان من
الشرع والعقل لا شك فيه ، وجميع أولئك على سماحة
لا تتعسف النزاع ولا تتعسف الريبة ولا تلتمس الغلواء .

هذا الالهام النافذ السديد فى تدبير المصالح العامة ،
وعلاج شئون الجماعات هو الذى أوحى الى الرسول الأسمى
قبل كشف الجراثيم ، وقبل تأسيس الحجر الصحى بين
الدول .

وقبل العصر الحديث بعشرات القرون . أن يقضى فى
مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذى لم
يأت العلم بعده بمزيد ، حيث قال « اذا سمعتم بالطاعون
بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا
منها » .

فتلك وصية من ينظر فى تدبيره الى العالم الانسانى

يَأْتِيهِمْ لَا إِلَى سَلَامَةِ مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ سَلَامَةِ فَرْدٍ وَاحِدٍ . اذ
لَيْسَ أَطْنُونُ لِلْعَالَمِ مِنْ خَصَرِ الْوَبَاءِ فِي مَكَانِهِ ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ
مَدِينَةٍ أَنْ تَنْشُدَ السَّلَامَةَ لِنَفْسِهَا أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَكَانِهَا بِتَعْرِيزِ
الْمَدَنِ أَكْلِهَا لِعَدُوِّهَا .

(ب) تَدْبِيرُ الشُّؤْنِ الْعَامَةِ :

عَلَى أَنْ الْإِدَارَةَ الْعُلْيَا انْثَا تَتَجَلَّى فِي تَدْبِيرِ الشُّؤْنِ الْعَامَةِ
حِينَ تَصْطَلِمُ بِالْأَهْوَاءِ وَتَنْذِرُ بِالْفِتْنَةِ وَالنِّزَاعِ ، فَلَيْسَتْ
الْإِدَارَةُ كُلُّهَا نَصُوصًا وَقَوَاعِدَ يَجْرِي الْحَاكِمُ فِي تَنْفِيدِهَا
مَجْرَى الْأَلَاتِ وَالْمَوَازِينِ الَّتِي تَصْرِفُ الشُّؤْنِ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ ،
وَلَكِنَّهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ عِلَاجُ نَفُوسٍ وَقِيَادَةُ أَخْطَارٍ
لَا أَمَانَ فِيهَا مِنْ الْإِنْحِرَافِ الْقَلِيلِ هُنَا أَوْ الْإِنْحِرَافِ الْقَلِيلِ
هُنَاكَ .

وَذَلِكَ هُوَ الْمَجَالُ الَّذِي تَمَتْ فِيهِ عِبْقَرِيَّةُ مُحَمَّدٍ فِي حُلُولِ
التَّوْفِيقِ وَاتِّقَامِ الشُّرُورِ أَحْسَنَ تَمَامٍ . فَمَا عَرَضَ لَهُ تَدْبِيرُ
أَمْرِ مِنْ مَعْضَلَاتِ الشَّقَاقِ بَعْدَ الرِّسَالَةِ وَلَا قَبْلَهَا ! إِلَّا أَشَارَ
فِيهِ بِأَعْدِلِ الْأَرَءِ ، وَأَدَّتَاهَا إِلَى السَّلَامِ وَالْإِرْضَاءِ .

صَنَعَ ذَلِكَ حَيْثُ اخْتَلَفَتْ الْقَبَائِلُ عَلَى أَيِّهَا يَسْتَأْثِرُ بِإِقَامَةِ
الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي مَكَانِهِ وَهُوَ شَرَفٌ لَا تَنْزِلُ عَنْهُ قَبِيلَةٌ لِقَبِيلَةٍ
وَلَا تَوُثِّنُ عِجْقِي الْفَصْلِ فِيهِ بِإِثَارِ أَحَدٍ الْقَبَائِلِ عَلَى غَيْرِهَا ،
وَلَوْ جَاءَ الْإِثَارُ مِنْ طَرِيقِ الْمَصَادِفَةِ وَالْإِقْتِرَافِ ، فَأَشَارَ مُحَمَّدٌ
بِالرَّأْيِ الَّذِي لَا رَأْيَ غَيْرَهُ لِحَاضِرِ الْوَقْتِ وَلِمَقْبَلِ الْغَيْبِ الْمَجْهُولِ ،
فَجَاءَ بِالثُّوبِ وَوَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ عَلَيْهِ وَأَشْرَكَ كُلَّ زَعِيمٍ فِي
طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِهِ ، وَكَانَ مِنْ قِسْمَتِهِ هُوَ غَيْرُ خِلَافٍ بَيْنَ النَّاسِ
أَنْ يَقِيمَهُ بِيَدِهِ حَيْثُ كَانَ ، وَأَنْ يَتَسَلَفَ الدَّعْوَةُ وَهِيَ مَكْنُونَةٌ
فِي طَوَائِيَا الزَّمَانِ ، وَلَوْ عَلِمُوا بِهَا يَوْمَئِذٍ لَمَا سَلِمُوا وَلَا سَلِمَ
مِنْ عَدُوِّانٍ وَشَنَانٍ .

وَصَنَعَ ذَلِكَ يَوْمَ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَاسْتَقْبَلْتَهُ
الْوُفُودُ تَتَنَافَسُ عَلَى ضِيَاغَتِهِ وَنَزُولِهِ ، وَهُوَ يَشْفُقُ أَنْ يَقْدَحَ
فِي نَفُوسِهَا شَرَّ الْغِيَرَةِ بِتَمْيِيزِ أَنْاسٍ مِنْهُمْ عَلَى أَنْاسٍ أَوْ

اختيار محلة دون محلة . . فترك لناقته خطامها تسير ويفسح
الناس لها طريقها حتى بركت حيث طاب لها ان تبرك ،
وفصلت فيما لو فصل فيه انسان كبيرا أو صغيرا لما مضى فصله
بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد شاعتها ولو منت في تلك
الساعة على دخل وسوء طوية .

وصنع ذلك يوم فضل بالغنائم أناسا من أهل مكة
الضعيف ايمانهم على أناس من الأنصار الذين صدقوا الإسلام
وثبتوا على الجهاد ، فلما غضب المفضلون لم يكن أسرع معه
على أرضائهم بالحجة التي لا تغلب من يدين بها ، بل تريه
انه هو الغالب الكاسب ، وأنها تصيب منه المقنع والأقناع في
وقت واحد : « أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا
تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ، ألا ترضون
يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا
برسول الله ﷺ الى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة
لكنت امرءا من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبشأ
الأنصار . وأبناء أبناء الأنصار » .

كلام مدير فيه الإدارة والرياسة هبة من هبات الخلق
والتكوين . . فهو مدير حين تكون الإدارة تدبير أمور ومدير
حين تكون الإدارة تدبير شعور وهو كفيل ألا يلي مصلحة من
المصالح تعثرها الفوضى ويتطرق اليها الاختلال ، لأنه
يسوسها بالنظام وبالتبعة ، وبالاختصاص والسماحة ،
وما من مجتمع يساس بهذه الخصال ويبقى فيه منفذ بعيدا
لاختلال أو انحلال أو لخلل في إدارة الأعمال .

ثامنا : محمد البليغ والصديق :

١ - البليغ :

« اللهم هل بلغت ! »

هذه هي اللازمة التي ردها النبي في خطبته الأخيرة ،
وهي خطبة الوداع .

وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها ، لأنها لخصت
حياة كاملة في الفاظ معدودات فما كانت حياة النبي كلها
بعملها وقولها وحركتها وسكونها الا حياة تبليغ وبلاغ ،
وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو
يعود بنفسه « جلال ابن الرقيق فقد بلغت ! » .

ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة البالغة على أسلوب
النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الابلاغ قبل كل
سمة أخرى ، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها ، لأنها
أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع .

وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا .

أما معاهدات ورسائل كتبت بعد حينها وإما بخطب
وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها وروعيت
الدقة في المضاهاة بين رواياتها جهد المستطاع .

والابلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام
جميعا ، حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر
إلى المرءوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقيه المسلم ليدعو الله
على مثاله .

أنظر مثلا إلى قصة أصحاب الغار الثلاثة وتوسلهم
بصالح الأعمال وهي كما جاءت في مختار مسلم :

« . . . بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحطت على قم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم . فقال بعضهم لبعض : أنظروا أعمالا . عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها ، لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى ، ولى صبية صغار أرعى عليهم . فاذا أرحت عليهم أمسيت ، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجنئت بالحلاب فقممت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما . فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة نرى منها السماء . »

« ففرج الله منها فرجة فأووا منها السماء » .

« وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، وطلبت اليها نفسها فأبت حتى أتيتها بمائة دينار ، فجنثتها بها . »

« فلما وقعت بين رجلها قالت : يا عبد الله ! اتق الله ولا تفضى الخاتم الا بحقه . فقممت عنها ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة . ففرج لهم . »

« وقال الآخر : اللهم انى أستعمل أجيرا يعزق أرزا ، فلما قضى عمله قال : اعطنى حقى ، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرقه حتى جمعت منه بقرا فقال : اتق الله ولا تستهزئ بى . خذ ذلك البقر ورعاه ! فأخذه فذهب به فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا ما بقى . »

« ففرج الله ما بقى » .

٢ - محمد الصديق عطوف وودود :

إذا كان الرجل محبا للناس ، أهلا لحبهم اياه ، فقد تمت له أداة الصداقة من ظرفيها . وانما تتم له أداة الصداقة

بمقدار ما رزق من سعة العاطفة الانسانية ومن سلامة
الدوق ومتانة الخلق ، وطبيعة الوفاء .

فلا يكفي أن يحب الناس ليعبوه لأنه قد يحبهم وفي
ذوقه نقص ينفرهم منه ويذهدهم في حبه .

ولا يكفي أن يكون محبا سليم الذوق ليبلغ من الصداقة
مبلغها . فقد يكون محبا محبوبا حسن الذوق ، ثم يكون
نصيبه من الخلق المتين والطبع الوفى نورا ضعيفا لا تدوم
عليه صداقة ، ولا تستقر عليه علاقة .

انما تتم أداة الصداقة بالعاطفة الحية ، والذوق
السليم ، والخلق المتين ، وقد كان محمد فى هذه الخصال
جميعا مثالا عاليا بين صفوة خلق الله .

كان عطوفا يرام من حوله ويودهم ويدوم لهم على المودة
طول حياته ، وان تفاوت ما بينه وبينهم من سن وعرق
ومقام .

كان صبيا فى الثانية عشرة يوم سافر عمه فتعلق به
حتى أشفق العم أن يتركه وحده فاصطحبه فى سفره .
وكان شيخا قارب الستين يسوم بكى على قبر أمه بكاء
من لا ينسى .

وليس فى سجل المودة الانسانية أجمل ولا أكرم من
حنانه على مرضعته حليمة ومن حفاوته بها وقد جاوز
الأربعين ، فيلقاها هاتفا بها : أمى ! أمى ! ويفرش لها
رداءه ويمس ثديها بيده . كأنه يذكر ما لذلك الثدي عليه
من جميل ، ويعطيها من الأبل والشاة ما يغنيها فى السنة
الجدياء .

ولقد وفدت عليه هوازن وهى مهزومة فى وقعة حنين
وفيهام عم له من الرضاغة لأجل هذا العم من الرضاغة تشفع
النبي الى المسلمين أن يردوا السبي من نساء وأبناء ،
وأشترى السبي ممن أبوا رده الا بمال .

وحضنته في طفولته جارية عجماء فلم ينس لها مودتها
بقية حياته وشغفه أن تنعم بالحياة الزوجية ما يشغل الأب من
أمر بناته ورحمة منه ، فقال لأصحابه : « من سره أن يتزوج
امراة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن » . وما زال يناديها
يا أمي يا أمي ، كلما رآها وتحدث إليها . وربما رآها في
وقفة قتال تدعوا الله وهي لا تدري كيف تدعو ولكنها
الأعجمية فلا تنسى الوقعة العازمة أن يصفي إليها ويعطف
عليها .

وكان هذا عطفه على كل ضعيف ولو لم يذكره بحنان
الطفولة ورحم الرضاع . فما نهر خادما ولا ضرب أحدا ما
وقال أنس : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أف
قط ، ولا قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته :
لم تركته ؟ »

وكان من أضحك الناس وأطيبهم نفسا ، صافي القلب
إذا كره شيئا روى ذلك في وجهه ، وإذا رضى عرف من حوله
رضاه .

وقد اتسع عطفه حتى بسطه للأحياء كافة ولم يقصره
على ذوي الرحم ، فكان يضع الاناء للهرة لتشرب ، وكان
يؤاسى من موت طائر يلهو به أخو خادمه ، وأوصى المسلمين :
« إذا ركبتم هذه الدواب فاعطوها حظها من المنازل ولا تكونوا
عليها للشياطين » وكرر الوصايا بها أن « اتقوا الله في البهائم
المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » .

وقال : « ان الله غفر لامراة مومسة مرت بكلب على رأس
ركن يلهث قد يكاد يقتله العطش ، فنزعت خفها فأوثقت به
بخمارها ، فنزحت له من الماء فغفر لها بذلك » .

وقال في هذا المعنى : « دخلت امرأة النار في هرة
حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تاكل من خشتها
الأرض » .

لا بل شغل عطفه الأخياع والجماد كانه من الأخياع ،
فكانت له قصعة يقال لها الغراء . وكان له سيف محلي يسمى

ذأ الغفار ، وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول ، وكان له سرج يسمى الداج وبساط يسمى الكز وزكوة تسمى الصادر ، ومراة تسمى المدله ، ومقراض يسمى الجامع ، وقضيب يسمى المشوق .

وفي تسمية تلك الأشياء بالأسماء فيه معنى الألفة التي تجعلها أشبه بالأحياء المعروفين ممن لهم السمات والعناوين ، كأن لها « شخصية » مقربة تميزها من بين مثيلاتها ، كما يتميز الأحاب بالوجوه والملامح وبالكنى والألقاب .

هذه العاطفة الإنسانية التي رحبت حتى شملت كل ما أحاطت به وأحاط بها لم تكن هي كل أداة الصداقة في تلك النفس العلوية بل كان معها ذوق سليم يضارعها رفعة ونبلًا ويتمثل — فيما ترجع الى علاقات النبی بالناس — في رعاية شعورهم أتم رعاية وأدلها على الكرم والجود .

« كان اذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه ، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه . » واذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده اياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه . » .

« وكان أرحم الناس بالصبيان والعيال . . . » واذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته . »

« وكان أشد حياء من العذراء في خدرها . » وأصبر الناس على أقدار الناس . »

يحفظ مغيبهم كما يحفظ محضرهم ، ويقول لصحبته : « من اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار » .

ومع العاطفة الإنسانية والذوق السليم والأدب الكريم سمت جميل ونظافة بالغة وحرص على أن يراه الناس في أجمل مراة ومع هذا كله أمانة يثق بها العدو فيما بال الصديق ؟ وحسبك من ثقة الناس به ما أودعوه من أمانات وهم يتأصبهونه العدام ، فلم يخرج للهجرة وهو مهدد في

سربه حتى رد الأمانات الى أصحابها ، وقد يكون في ردها ما ينبههم الى خروجه ويأخذ عليه سبيل النجاة ، وهذا الى اشتهاره بالأمانة في صباه حتى سمي بالأمين قبل أن يتجرد لدعوة ينبغي لداعيتها أمثال هذه الصفات .

كل هذه المزايا النفسية — بل بعض هذه المزايا النفسية — خليك أن يتم لصاحبه أداة الصداقة أوفى تمام ، وأن يجعله محبا لمن حوله جديرا منهم بأحسن حب وولاء ، فلم يعرف في تاريخ العظمة لا بين الأنبياء ولا غير الأنبياء — انسان ظفر بنخبة من الصداقات على اختلاف الأقدار والبيئات والأمزجة والأجناس كالتي ظفر بها محمد ، ولم يعرف عن انسان انه أحيط من قلوب الضعفاء والأقوياء بما يشبه الحب الذي أحيط به هذا القلب الكبير .

نقدم في بعض فصول هذا الكتاب حديث زيد بن حارثة الذي خطف من أهله وهو صغير ثم اهتدى اليه أبوه واهتدى هو الى أبيه على لهفة الشوق بعد يأس طويل ، فلما وجب أن يختار بين الرجعة الى أهله وبين البقاء مع سيده « محمد » اختار البقاء مع السيد على الرجعة مع الوالد ، وشق عليه أن يحتجب عن ذلك القلب الذي غمره بحبه ومواساته ، وهو ضعيف شريد لا يدري من هم ذووه .

وكان لا يغنى من لازموه أن يلزموه في الحياة حتى يثقوا من ملازمتهم اياه بعد الممات . فضعف مولاه ثوبان ونحل جسمه وألح عليه الحزن في ليله ونهاره ، فلما سأله السيد العطوف يستفسره علة حزنه ونحوه قال في طهارة الأبرار : « أنى اذا لم أراك اشتقتك واستوحشتك وحشة عظيمة ، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأنى ان دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك » ورويت هذه القصة في أسباب نزول الآية الكريمة :

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

(النساء ٦٩)

وقد عنيانا مما تقدم بحب الصداقة بين الانسان والانسان
لأننا لم نقصد حب المؤمن لنبيه في هذا الباب . فقد بلغ
من امتلاء قلوب المسلمين والمسلمات بهذا الحب ان المرأة
كانت تسمع أنباء المعركة فينعى اليها خاصة أهلها وهي
تستزجج وتعرض عن هذا لتسأل عن النبي وتهتم بسلامته
قبل اهتمامها بسلامة الإخوة وبنى الأعمام . الا أننا عنيانا
محبة الصداقة في هذا الباب لأنها هي المحبة التي جعلت
كثيرا من الناس يؤمنون بمحمد لمحببتهم اياه واطمئنناهم
اليه ، فكانت سابقة في قلوبهم وأرواحهم لحب العقيدة
والإيمان . . .

عظمة العظماة :

أن عطف العظيم على الصغير حتى يستحق منه هذا الحب
لفضيلة يشرف بها مقام العظيم في نظر بنى الانسان .

ولكن قد يقال أن استحقاق العظيم أن يحبه العظماة
لأشرف من ذلك رتبة وأدل على حظه الجليل من فضائل
الثقوق والرجحان . . . وهذا صحيح لا ريب فيه .

وهنا أيضا قد تمت لمحمد معجزته التي لم يعارضه فيها
أحد من ذوى الصداقات النادرة .

فأحدقت به نخبة من ذوى الأقدار تجمع بين عظمة الحسب
وعظمة الثروة وعظمة الراى وعظمة الهمة وكل منهم ذو شأن
فى عظمتة تقوم عليه دولة وتنهض به أمة كما أثبت التاريخ

من سير أبي بكر وعمر و خالد وأسامة وابن العاص والزبير
وطليحة وسائر الصحابة الأولين .

وربما عظم الرجل في ميزة من المزايا ، فأحاط به
الأصدقاء والمريدون من النابغين في تلك الميزة ، كما أحاط
الحكماء بسقراط والقادة بنابليون .

بل ربما أحاط الصالحون بالنبي العظيم كمن أحاط
الحواريون بالمسيح عليه السلام وكلهم من معدن واحد وبيئة
واحدة

أما عظمة العظمت فهي تلك التي تجذب إليها الأصحاب
النابغين من كل معدن وكل طراز ، وهي التي يتقابل في
حبها رجال بينهم من التفاوت مثل ما بين أبي بكر وعلى ،
وبين عمر وعثمان ، وبين خالد ومعاذ ، وبين أسامة وابن
العاص كلهم عظيم وكلهم مع ذلك مخالف في وصف العظمة
لسواء .

تلك هي العظمة التي اتسعت آفاقها وتعددت نواحيها ،
حتى أصبح فيها ناحية مقابلة لكل خلق ، وأصبح فيها قطب
جاذب لكل معدن ، وأصبحت تجمع إليها البأس والعلم ،
والحيلة والضراحة والألمعية والاجتهاد ، وحنكة السن وحمية
الشباب .

تلك هي بلا ريب عظمة العظمت ، معجزة الإعجاز في
باب الصداقات .

وما استحقها محمد إلا بنفس غنيت بالحب وخلصت له
حتى أعطت كل محب لها كفاء ما يعطيها : مودة بمودة وصفاء
بصفاء ، وعليها المزيد من فضل التفاوت في الأقدار .

ولقد كان صاحب الفضل على أصفياه جميعاً بما هداهم
إليه من نور العقل ونور البصيرة ، وهما أشرف من نور البصر
لأنه نعمة يشترك فيها الإنسان والعجماء والزقانون العقل
ونور البصيرة نعمتان يختص بهما الإنسان ، ومع هذا كان

يذكر فضلهم ويشيد بذكرهم كما قال عن أبي بكر « ما أحب أعظم عندي يدا من أبي بكر : واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته » ، وكما قال عن أبي بكر وعمر : « أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر » ، وكما قال عن علي : « علي أخى فى الدنيا والآخرة » ، وكما قال عن بعض أصحابه : « ان الله تعالى أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم : علي منهم ، أبوذر ، والمقداد ، وسلمان » ، وكما قال عن الأنصار جميعا وهو فى مرض الموت : « استوصوا بالأنصار خيرا - انهم عيبتى التى أويت اليهم ، فأحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم » . . . وغير ذلك كثير عن الصحابة كافة وعن بعضهم المذكورين بأسمائهم .

على أننا نلمس دلائل هذا الفؤاد الرحب وهذا العطف الانسانى الشامل فى معاملته لأعدائه وشائثيه فضلا عن معاملته للأصفياء ، ومن ليس بينهم وبينه عداو ولا صفاء .

فما ثار من أحد أساء اليه فى شخصه ، وقد عفا عن رجل هم بقتله وهو نائم ورفع السيف ليهوى به فسقط من يده على كره منه ، وما حارب قط أحدا كان فى وسعه أن يسأله ويحاسبه ويتقى شره .

ومعاملته لعبد الله بن أبى الذى كان المسلمون يسمونه رأس النفاق مثل من أمثلة الاغضاء والصفح الجميل فقد عاهد وغدر ثم عاهد وغدر وعاش ، يكيده للنبي فى سره ويمالئ عليه أعداءه ، وشاع أن النبي عليه السلام قضى بقتله فتقدم ابنه فقال له : « يا رسول الله ، انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت بالخروج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وانى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعى نفسى أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمنا » بكافر فادخل النار .

فأبى النبي أن يقتله وأثر الرفق به ، وزاد في فضاله
واجتماله فكافأ الولد خير مكافأة على خلوص نيته وإيثاريه
البر بدينه على البر بابيه • فأعطاه قميصه الطاهر يكفن به
آباه وصلى عليه ميتا ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه ،
وقد حاول عمر أن يثنيه عن الصلاة على ذلك العدو الذى
أذاه جهد الايذاء فذكر الآية :

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر

لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » • •

فقال :

« لو أعلم ان زدت على السبعين غفر له زدت » •

هذا النفس المطبوعة على الصداقة والرحمة والسماحة
أعجب اتهامها بالقسوة على السنة بعض المؤرخين
الأوربيين !

ما أعجب اتهامها بالقسوة لأنها دانت أناسا بالموت
كما يدين للقاضى مجرما بذنبه وهو أرحم الرحماء •

ما أعجبهم اذ يذكرون العقوبة وينسون الذنب الذى
استوجب العقوبة كما يستوجب السبب النتيجة وأى ذنب ؟
ذنب لو قوبل به غير محمد لأراق فيه أنهارا من الدماء
وله حجة من سلطان الدنيا والآخرة •

فلا نذكر استهزاء المشركين به واعناتهم اياه والقائم
عليه القدر والحجارة واثثمارهم بحياته وحياة أصحابه
واخراجهم المسلمين من ديارهم الى أقصى الديار ، ولا نذكر
العناد والاغظة والاستثارة لغير جريرة الا أنهم دعوا الى عبادة
الله والتحلّى بمكارم الأخلاق وترك عبادة الأصنام وترك
الرديلة .

لا نذكر شيئا من هذا فهو أطول من أن يضمه هذا
الكتاب ، ولكننا نذكر حادثا واحدا تجمع فيه من اللوم ما

تفرق في كثير غيره ، وذلك حادث الرسل الأربعين - وقيل
السبعين - الذين قتلوا في بئر معونة ولا ذنب لهم الا أنهم
ذهبوا تلبية لدعوة الداعين ليعلموا من ينشد علم القرآن
والدين ، غير مفضوب عليه .

فماذا كانت دول الحضارة صانعة بالقاتلين الغادرين
لو كان هؤلاء الأريعون أو السبعون مبشرين بالدين المسيحي
قتلوا في قبيلة من الهمج الذين يأكلون الإدمين ومن حقهم أن
يغدروا كما تغدر الوحوش . . ان بقى من أبناء القبيلة ،
يروى أبناء القبيلة ، قد يقال أن القوم لرحماء في العقاب !

ولم يكن حادث بئر معونة بالحادث الوحيد من حوادث
الغدر بالرسل الأبرياء . فعلنا نختم هذا الفصل عن الصداقة
بخير ما يختتم به حين نشير الى غدر قبيلة هذيل بالرسل الستة
الذين ذهبوا اليهم ليعلموا من شاء أن يتعلم أحكام الدين
وهو آمن في داره ، لا اكراه له ولا بغى عليه . فقتلوا جميعا
وجيء بأحدهم زيد بن الدثنة أسيرا لبيع فاشتراه صفوان
ابن أمية ليقتله بأبيه ونصب للقتل فسأله سفيان مستهزئا ؟
« أنشد الله يا زيد . أتعب أن محمدا الآن عندنا في مكانك
تضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ » فأجابته زيد : « والله ما أحب
أن محمدا الآن في مكانك الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه
وأنا جالس في أهلي . . »

فصاح أبو سفيان دهشاً : « ما رأيت الناس أجدا يحبه
أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدا . . »

من فعلة كهذه نعلم مدى ما استحقه محمد من حبه
الأصدقاء ومدى ما استحقه أعداؤه من جزاء ما فقد أحبا
أصدقاءه وأحبوه لأنه طبع على الصداقة أما أعداؤه فقد
لقوا جزاءهم لأنهم هم طبعوا على البداء والاعتداء .

محمد الرئيس ومعاملته لزوجاته :

الرئيس الصديق :

من الحسن أن تكتب عن محمد الرئيس بعد كتابتنا عن
محمد الصديق * لأنه هو قد جعل للرئاسة معنى الصداقة
المختارة *

فمحمد الرئيس هو الصديق الأكبر لرعويته ، مع
استطاعته أن يعتز بكل ذريعة من ذرائع السلطان *

فهناك الحكم بسلطان الدنيا *

وهناك الحكم بسلطان الآخرة *

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة *

وكل أولئك كان لمحمد الحق الأول فيه : كان له من
سلطان الدنيا كل ما للأميز المطلق اليدين في رعاية ، وكان
من سلطان الآخرة كل ما للنبي الذي يعلم من الغيب ما ليس
يعلم المحكومون * وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة
ما يعترف به أتباعه أكفا كفاء وأوقر مهيب *

ولكنه لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر بسلطان
الصديق الأكبر : بسلطان الحب والرضا والاختيار *

فكان أكثر رجل مشاورة للرجال ، وكان حب التابعين
شرطا عنده من شروط الإمامة في الحكم بل في العبادة *

فالإمام المكروه لا ترضى له صلاة ..

وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه ، فروي
أنه كان في سفر وأمر أصحابه بأصلاح شاه * فقال رجل :

يا رسول الله ! على ذبحها وقال آخر : على سلبها • وقال آخر : على طبخها • • فقال عليه السلام : وعلى جمع الحطب • وقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل : قال علمت أنكم تكفوننى ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، ان الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » •

وأبى ، والمسلمون يعملون فى حفز الخندق حول المدينة ، الا أن يعمل معهم بيديه لولا انها سنة حميدة يستنها للرؤساء فى حمل التكليف لأعفى نفسه من ذلك العمل وأعفاء المسلمون منه شاكرين •

وجعل قضاء حوائج الناس أمانا من عذاب الله أو كما قال : « ان لله تعالى عبادا يختصهم بقضاء حوائج الناس يفرع اليهم الناس فى حوائجهم أولئك » الأمنون من عذاب الله » •

وقد كان أعلم الناس أن الأعمال بالنيات • ولكنه علم كذلك « أن الأمير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » فوكل الضمائر الى أصحابها والى الله ، وحاسب الناس بما يجدى فيه الحساب •

سمع خصومه بباب حجرته فخرج اليهم فقال : « انما أنا بشر • وانه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها » •

واليوم يكثرون اللاغطون بحرية الفكر ويحسبوننها كشفا من كشوف الثورة الفرنسية وما بعدها ، ويحرمون على الحاكم أن يواخذ الناس فيما فكروا به ما لم يتكلموا أو يعملوا ويكنون فى كلامهم وعملهم ما يخالف الشريعة •

فهذا الذى يحسبونه كشفا من كشوف العصر الأخير قد جرى عليه حكم النبى قبل أربعة عشر قرنا ، وشرعه لأمتيه فى أحاديثه حيث قال عليه السلام : « ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به » •

وزعموا كذلك أن تقديم الرحمة على العدل في تطبيق الشريعة دعوة من دعوات المصلحين المحدثين لم يسبقوا إليها. وهي هي دعوة النبي العربي التي كررها ولم يدع قط إلى غيرها فقال : « ان الله تعالى خلق الخلق وكتب بيده على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي » وقال : « ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف » وقال : « ان الله تعالى لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا » وروى عنه غير صاحب من أصحابه أنه ما خير بين حكيمين الا اختار أيسرهما ، ما لم يكن فيه خرق للدين .

وكان يوصى بالضعفاء ويقول لصاحبه : « أبغوني الضعفاء فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » ، ويذم الترفع على الخدم والفقراء : « ما استكبر من أكل مع خادمه وركب الجمال بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها » .

لكنه مع الرحمة بالصغير لا ينسى حق الكبير : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » .

اذ ليس الانصاف حراما على الكبراء خلا لامن صغر دون من كبر ، فلكل حق ولكل انصاف . وانزال الناس منازلهم كما أمر قومه هو خير شعار تستقيم عليه الحكومة ، وتنعكس أمور الأمم بانعكاسه .

وكان النبي الرئيس يعلم أن الرئاسة لجميع المرموسين وليست للموافقين منهم دون المخالفين ، فيأمر قومه أن « اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فانها ليست دونها حجاب » .

واذا قال هذا رئيس ونبي فانها الأولى السنن التي يتبعها الرؤساء كافة ، لأنهم يبعثون لنشر الدين ومحو الكفر كما بعث الأنبياء .

لقد كانت سنة الرئاسة عند محمد هي سنة الصداقة فلو

استغنى جكم عن الشريعة لاستغنى عنها حكم هذا الرئيس
الذى جاء بالشريعة لجميع متبعيه .

٢ - معاملته لزوجاته :

الكلام عن زوج يستدعى الكلام عن مكانه امرأة عند
رجل ، وعن مكانة النساء عامة عند الرجال عامة .

وانما تعرف مكانة المرأة التى وصلت اليها بفضل محمد
ودينه ، حتى عرفت مكانة المرأة التى استقرت عليها فى
الجاهلية ، ومكانة المرأة التى استقرت عليها فى عصره
وبعد عصره ، وبين أمم أخرى غير الأمة العربية .

وقياسان اثنان كافيان لبيان الفارق البعيد بين ماكانت
عليه المرأة فى الجاهلية وما ضارت اليه بعد رسالة محمد .

كانت متاعا يورث ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين ،
فأصبحت بفضل الإسلام ونبية صاحبة حق مشروع ، ترث
وتورث ولا يمنعها الزواج أن تتصرف بمالها وهى فى
عصمتها كما تشاء .

وكانت وصمة تدفن فى مهدها فرارا من عار وجودها ،
أو عبئا تدفن فى مهدها فرارا من نفقة طعامها . فأصبحت
إنسانا موعى الحياة ينال العقاب من يئالها بفسكروه ، ولم
تكن فى البلاد الأخرى بأسعد حظا منها فى البلاد العربية
فلا نذكر شرائع الرومان واستعبادها النساء . ولا نذكر
المتنطعين فى صدر المسيحية وتسجيلهم عليها النجاسة
وتجريدهم اياها من الروح .

وكفى أن نذكر عصر الفزوسية الذى قيل فيه انه
عصر المرأة الذهبى بين الأمم الأوروبية ، وان الفرسان كانوا
يفدون النساء بالدم والمال .

فهذا العصر كان كما قال الدارسون له : عصر الحصان قبل أن يكون عصر المرأة أو عصر « السيدة المفداه » .

وقد أجملت « جون لا نجدون دافيز » صاحب « التاريخ الموجز للنساء » فقال : أن عصر الفروسية كان معروفا بما لحظ فيه من فقدان الشباب على الجملة الاهتمام بالجنس الآخر ولعلنا نقل من الدهشة لذلك لو أننا وعينا كلمة الفروسية .

وذكرنا أنها لم تكن ذات شأن بالسيدات كما كانت ذات شأن بالخيال على خلاف ما يروق الكثيرين أن يذكروه فقلما بلغ الاهتمام بالمرأة مبلغ الاهتمام بالحصان في عصر الفروسية الا على اعتبار أنها عنوان ضيقة .

الى القارئ محادثة من كتاب أغلى الآداب والتحيات Chanson de geste يرى فيها أن ابنه أوسيس Auseis جلست فى نافذتها ذات يوم ، فعبر بها فتیان - هما جاران وجربرت . وقال أحدهما : « انظر ، انظر يا جربرت : وحق العذراء ما أجملها من فتاة ! » فلم يزد صاحبه على أن قال : « يا لهذا الجواد من مخلوق جميل ! » دون أن يلتفت بوجهه . . . وعاد صاحبه يقول مرة أخرى : « ما أحسبني رأيت قط فتاة بهذه الملاحه ، ما أجمل هاتين العينين السوداوين ! » . وانطلقا وجربرت يقول : « ما أحسب أن جوادا قط يماثل هذا الجواد » وهى حادثة صغيرة ولكنها واضحة الدلالة : اذ قلة الاهتمام تورث الازدراء . . . والجق أن عصر الفروسية يرينا بعض الشواهد الواضحة على هذا الازدراء . واليك مثلا حادثة فى الكتاب المتقدم تروى أن الملكة بلاشقلور ذهبت الى قرينها الملك بيبين Pepin تسأله معونة أهل اللورين . فأصغى اليها الملك ثم استشاط غضبا ولطمها على أنفها بجمع يده ، فسقطت منها أربع قطرات من الدم وصاحت تقول : شكرا لك ، ان أرضاك هذا فأعطني من يدك لطمنة أخرى حين تشاء » .

ولم تكن هذه حادثة مفردة لأن الكلمات على هذا النحو كثيراً ما تتكرر كأنها صيغة محفوظة وكأنما كانت اللطمة بقبضة اليد جزاء كل امرأة جسرت في عهد الفروسية على أن تواجه زوجها بمشورة .

« . . . ومتى كانت المرأة تزف الى زوجها عفو الساعة وكثيراً ما تزف الى رجل لم تره قبل ذاك ، اما لتسهيل المحالفات الحربية والمدد العسكرى ، أو لتسهيل صفقة من صفقات الضياع . ومتى كانت بعد زفافها الى فارس مجنون بالحرب معطل الذكاء قد يكون فى معظم الأحوال من الاميين — عرضة للضرب كلما واجهته بمخالفة — أترى سيدة القصر اذن واحدة لها رحمة أو ملاذ من حياة الشقاء أو من صحة قرين ليس لها بأهل ؟ » .



ولقد تقدم الزمن فى الغرب من العصور المظلمة الى عصور الفروسية الى ما بعدها من طلائع العصر الحديث ، ولما تبرح المرأة فى منزله — مسفة لا تفضل ما كانت عليه فى الجاهلية العربية وقد تفضلها منزلة المرأة فى تلك الجاهلية .

ففى سنة ١٧٩٠ . بيعت امرأة فى أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تأويها وبقيت المرأة الى سنة ١٨٨٢ محرومة حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة .

وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها الشبان قبل الرجال ، فلما كانت اليصابات يلاكيويل تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ — وهى أول طبيبة فى العالم — كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ، ويدوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها .

ولما اجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النسيان الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية ، أعلنت الجامعة الطبية بالمدينة أنها تصدر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتصدر كل ما يستشير أولئك الأطباء .

وهكذا تقدم الغرب الى أوائل عصرنا الحديث ، ولم تتقدم المرأة فيه تقديما يرفعها من مراغة الاستعباد التي استقرت فيها من قبل الجاهلية العربية .

فماذا صنع محمد ؟ وماذا صنعت رسالة محمد ؟
حكم واحد من أحكام القرآن الكريم أعطى المرأة من الحقوق كفاء ما فرض عليها :

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٢٢٨﴾

البقرة (٢٢٨)

وحكم آخر من أحكامه العالية أمر المسلم باحسان مباشرتها ولو مكروهة غير ذات حظوة عند زوجها :

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

النساء (١٩)

وأباح لها الدين في الجهاد أن تكسب كما يكسب الرجال :

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ

مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾

النساء (٧)

ولن يفضل الرجل عليها الا بما كلفه من واجب كفالتها
واقامة أودها والسهر عليها .

اما محمد فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم
« أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم
لنسائهم » .

وأمر بمدارة ضعفها ونقصها لأن « المرأة خلقت من
ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمعت لها استمعت
بها وبها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها
طلاقها » .

وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها في
المنظر الذي يروقها ، فقال عليه السلام مما قال في هذا
المعنى وهو كثير « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم
واستاكوا وتزينوا وتنظفوا ، فان بنى اسرائيل لم يكونوا
يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » .

وأوجب على الرجل اذا خطب امرأة أن يظهرها على عينه
أن كان به عيب مستور ! « اذا خطب أحدكم المرأة وهو
يخضب بالسواد فليعلمها انه يخضب » .

وبلغ من رعاية شعورها ومدارة خجلها الذي فطرت
عليه أنه أوجب على الرجل أن يمتعها كما تمتعه لأنها
لا تطلب لنفسها ما يطلبه الرجل منها : « فاذا جامع أحدكم
أهله فليصدقها ، ثم اذا أقضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها
فلا ينجسها حتى تقضى حاجتها » .

وكان تأديبه المسلمين في هذه الصلة غاية في الكياسة
والترفق فقال مما قال في هذا المعنى : « اذا دخلت ليلا
فلا تدخل على أهلِكَ حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة » .
الكيس ، الكيس ! » .

وانما نلخص ما أوجبه على المسلمين عامة في معاملاتهم لزوجاتهم ، وهو دون ما أوجبه على نفسه في معاملة زوجاته بكثير .

فكان يشفق أن يرينه غير باسم في وجوههن ، ويزورهن جميعا في الصباح والمساء ، وإذا خلا بهن « كان ألين الناس ضحاكا . باسم » كما قالت عائشة رضي الله عنها .

ولم يجعل من هيبة النبوة سدا رادعا بينه وبين نسائه . بل أنسهن برفقه وإيناسه أنهن يخاطبن رسول الله في بعض الأحيان . فكانت منهن من تقول له أمام أبيها : « تكلم ولا تقل إلا حقا . » ومن تراجع له أو تفاضبه سحابة نهارها . ومن تبلغ من الاجترار عليه ما يسمع به رجل كعمر بن الخطاب في شدته ، فيعجب له ويهم بأن يبطش بابنته حفصة لأنها تجترى كما يجترى الزوجات الأخريات . وإذا رأى النبي غضبا كهذا من جرأة كتلك ، كف من غضب الأب وقال له : « ما لهذا دعوناك ! » .

وقد كان يتولى خدمة البيت معهن ، أو كما قال : « خدمتك زوجتك صدقة » .

وكان يستغفر الله فيما لا يملك من التسوية بين أحداهن وسائرهن وهو ميل قلبه : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك » .

ولما أقعده مرض الوفاة أن يزورهن كل يوم كما جودهن بعث اليهن فتلطف في سؤالهن : « أين أنا غدا ؟ أين أنا غدا ؟ ؟ ليقلن عند عائشة ويأذن له في الإقامة ببيتها ولو أنه أحل لنفسه أن يقيم حيث أقام وهو مريض لما كان في ذلك من حرج .

والمعاملة الطيبة في الزمن الطويل خلق نادر بين الناس ولكنه في حالة الرضى خلق على يشق فهمه على الكثيرين .

إلا أن الخلق الذي يشق فهمه على الأكثرين ، هو طيب
المعاملة عندما تتعرض الحياة الزوجية لأخر ما يمسها من
خطر وهو المساس بالوفاء -

في هذه الخصيلة تتسامي الحضارة الحديثة ، تتسامي
فلا نخالها تحلم بمعاملة أظيب ولا أكرم من المعاملة التي
أثرت عن النبي في قصة عائشة بنت الصديق وهي أحظي
نسيائه لديه ، ونلخصها مما روته بلسانها اذ تقول
رضي الله عنها :

« . . . كان رسول الله اذا أراد أن يخرج لسفر ، أقرع
بين نسائه ، فأيهما خرج سهمها خرج بها رسول الله معها .
وأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، ثم قفلنا
من الغزوة الى أن دنونا من المدينة ، فقامت حين أذنوا
بالرحيل فتمشيت حتى جاوزت الجيش قضيت من شأني
وأقبلت الى الرجل فلمست صدرى فاذا عقدي قد انقطع ،
فرجعت التمسسه فحبسني ابتغاؤه وأقبل الى الزهط الذين
كانوا يرحلون لي ، فحملوا هودجي وهم يحسبون أني فيه ،
وكانت النساء اذ ذاك خفاقا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم .
انما يأكلن العلقه من الطعام . فلم يستنكر القوم ثقل
الهودج حين رحلوه ورفعوه اذ كنت مع ذاك جارية حديثه
السن . »

« ووجدت عقدي فجئت منازل الجيش وليس بها داع
ولا مجيب ، فتييمت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم
سيفقدوني فيرجعون الي ، فبينما أنا جالسة في منزلي
غلبتني عيني فنامت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد
عرس من وراء الجيش فأدليج فأصبح عند منزلي فرأى سواد
انسان نائم ، فعرفني حين رأي واسترجع ، فاستيقظت
وخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت
منه كلمة غير استرجاعة حتى أناخ وأجلسته وركبتها وانطلق
يقودها حتى آتينا الجيش بعدما نزلوا في ثخر الظهيرة . »

« فهلك من هلك في شأنى ، وكان الذي تولى كبره
عبد الله بن أبى بن سلول . »

« واشتكت حين قدمنا المدينة شهرا . والناس يفيضون
فى قول أهل الافك ولا أشعر بشئ من ذلك . »

« . . . » ويترينى . أتى لا أعرف من رسول الله اللطيف
الذى كنت أرى منه حين اشتكى . إنما يدخل رسول الله
فيسلم ثم يقول : كيف يتكلم ! فذاك يرينى ولا أشعر
بالشر حتى خرجت بعدما نقصت وخرجت معى أم مسطح
قبل المناصع . »

« ثم عدنا فمشرت أم مسطح فى مبرطها ، فقالت : تعس
مسطح ! »

قلت بئس ما قلت ! أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟

قالت : أى هنتاه ! أولم تسمعى ما قال ؟

قلت وماذا قال ؟

فأخبرتني يقول أهل الافك . فازددت مرضا الى مرضى ،
فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله فسلم ثم قال :
كيف يتكلم ؟ استأذنت أن أتى أبوى . أريد أن أتيقن الخبر
من قبلهما ، فأذن لى .

« قالت أمى : يا بنية هونى عليك . فوالله لقلما كانت
امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها خدائر الا كثرن
عليها . »

« قلت : سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟ فيكيت
حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم . »

« ودعا رسول الله على بن أبى طالب وأسامة بن زيد ،
يستشيرهما فى فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على

رسول الله الذي يعلم من براءة أهله والذي يعلم في نفسه لهم من الود . وقال لرسول الله : هم أهلك ولا نعلم الا خيرا .
« وأما علي بن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وان تسأل الجارية تصدقك . »

فدعا رسول الله بريوة يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت : والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها أمرا قد اعمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها . فتأتى الداجن فتأكله .

« . . وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى . »

« فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس وتشهد ثم قال : أما بعد يا عائشة فانى قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه . فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه . »

« فلما قضى رسول الله مقالته فاض دمعى حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبى أجب عنى رسول الله ! فقال والله ، ما أدرى ماذا أقول لرسول الله . »

« فقلت لأمى : أجيبى عنى ، فقالت كذلك : والله ، ما أدرى ماذا أقول لرسول الله . »

« قلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن - انى والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم به : فان قلت لكم انى بريئة ، والله يعلم انى بريئة لا تصدقون ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى بريئة ، لتصدقونتنى ، وانى والله ما أجد لى ولكنم مثلا الا كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » . »

« ثم تحولت فاضطجعت على فراشى »

« . . . فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى أنه ليتحدر عنه مثل الجمان » فى اليوم الشاتى .

فلما سرى عن رسول الله وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال : أبشرى يا عائشة ! أما الله فقد بركك .

« قالت لى أمى : قومى اليه .

« قلت والله لا أقوم اليه ، ولا أحمد الا الله ، هو الذى أنزل براءتى » .

فأنزل الله عز وجل :

وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾

النور ٢٢

فقال أبو بكر : « والله انى لأحب أن يغفر الله لى »
وأرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه .

تلك هى القصة التى عرفت بقصة الافك كما روتها لنا
السيدة عائشة رضى الله عنها

وهى مسبار صادق يسبر لنا أغوار المروعة والرفق فى
معاملة النبى لزوجاته ، حيث لا رفق ولا مروعة عند
الأكثرين . فليس النبى هنا فى حالة من حالات الرضا التى

تسلس الحمية وتشير الحب وتثمر النعمة ، وتشير في النفس البشرية كل ساكنة تدعو الى طيب المعاملة ، فلم يكن في هذه الحالة الا كراما خالصا بما سلك في امر نفسه وفي امر اهله وفي امر دينه ولم يدع لحالم من حالمى الحضارة الحديثة مرتقى يتطلع اليه في جميع هذه الغايات .

سمع النبي حديثا يلاذ بين المنافقين ويسرى الى المسلمين بل الى الخاصة ذويه الاقربين ، حديثا يسمعه رجل كعلي بن ابي طالب في بره وكرم نحيته ، فلا يرى بعده حرجا من الطلاق والنساء كثرات .

سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة ولم يرفضه بغير بينة وكان عليه أن يعود الى زوجه المريضة أو يجفوها الى حين فعادها وبه من الرفق والانصاف ما يابى عليه أن يفاتحها في مرضها بما يثامن لنفسه الكريمة . وبه من المودة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به والنفس صافية كل الصفاء . وظل يسأل عنها سؤالا متعجب ينتظر أن تشفى وأن تأتيه بالبينة ، فيشتد كل الشدة أو يرحم كل الرحمة ، ولا يعجله لفظ الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجبه الحمية وما توجبه المروءة .

وسأل من ينبغي أن يسأل : عليا وأسامة وهما بمقام ولديه ، وبريرة الجارية التي كانت تعرف عائشة وتخلص لسيدتها كما تخلص لسيدها وضرة لعائشة تنافسها وتكاد أن تضارعها في خطوتها لديه : زينب بنت جحش التي كانت أسرع من يقول أو علمت شيئا يقال فاستعاذت بالله وقلت : « أحمى سمعى وبصرى ، والله ما علمت الا خيرا » .

واتصل الحديث بعائشة فاستأذنته في زيارة أهلها ، وأن له أن يفاتحها وقد وصل النبا الى سمعها . ولم يشن له قبل ذلك وهو كاظم ما في فؤاده ، قادر على كتمان مخافة أن يؤذيها بغير حق وهي تشكو سقامها .

فاتحها لتبرئ نفسها أو تستغفر الله .

و غضبت غضب البريء المشكوك فيه ، وانها لبريئة
في نظر كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها
لهذه الريبة أمام جيش ، وفي وضوح النهار ، ولغير ضرورة ،
ومع رجل من المسلمين يتقى ما يتقيه المسلم في هذا المقام
من غضب النبي وغضب المسلمين وغضب الله . فتلک خلة
تترفع عنها من هي أقل من عائشة منبتا ومنزلة وخلقا
وانفة ، فكيف بها قى مكانها المعلوم ؟

ألا أن النبي أراد لها البراءة أمام الخلق عامة وأمام
نفسه المحبة ، حذرا أن تكون تبرأته إياها عن محبة وضعف
لا عن تبين واستيثاق ، فلما قضى كل جق وانتهى به
الاستيثاق الى الثقة كان قد وفى الكرم والمحبة والانصار
والرحمة أجمعين .

نعم ، وفى الرحمة حتي باللاغطين المتعجلين الذين
أيدوا أو أعادوا فى ذلك الحديث المريب . وما أحد أرحم
ممن يرحم المفتريين على سمعة أهله وهناءة بيته وأمان سربه ،
ولا يعذر الناس أحدا كما يعذرون نبيا مطاعا ينال فى
عرضه ، فينال بالعقاب العدل من استحقوه .

سماحة الكريم :

وقد علمنا من رواية السيدة عائشة كما علمنا من
روايات شتى ، أن عبد الله بن أبى بن سلول كان أكبر
اللاغطين بحديث الافك عن سوء نية وكيد مبيت للنبي ودينه
وكان هذا الرجل كما تقدم فى بعض فصول هذا الكتاب .
بغیضا الى المسلمين متهما عندهم يتوجسون منه ويسمون
رأس المنافقين ، ولا يكفون عن طلب دمه واستئذان النبي فى
قتله . فما ضر النبي لو خلى بين المسلمين وبينه يحاسبونه

على فريته ويحاسبونه على كيدته ، وينقمون لعرض النبي منه
ليأمنوا شره ويجعلوه عبرة لغيره ؟ *

واذا قيل ان عبد الله بن أبي كان من أصحاب العصبية
التي يحسب حسابها وتتقى بوادرها ، فماذا يقال في مسطح
وهو مكفول أبي بكر وضيعته الذي يأكل من ماله ؟

ما الذي أنجاه من السخط والعقاب وكفل له دوام البر
والمعونة لولا سماحة النبي وسماحة أبي بكر وسماحة القرآن؟
على أن العصبية التي كان عبد الله بن أبي يلوذ بها لم تكن
لتحميه عقاب النبي لو أراد به عقاب ولو كان أصرم عقاب .
فما من عصبية هي أقرب الى رحم الرجل وأولى بالذود عنه
من ولده المشهور ببره . وقد أسلفنا - ان ولد عبد الله قد
تطوع لقتله يوم قيل له ان النبي يهدر دمه ويقضى بموته .

انما هي سماحة الكريم . انما هي السماحة التي
شملت مسطحا كما شملت كبير المنافقين ، وخرجت من حديث
الافك بالعفو عن جميع المسيئين مخلصين في الراى
وغير مخلصين ، وهي التي سبرت غورا في قصة هذا الحديث
فتكشفت عن أطيب معاملة للزوجات في أخرج الحالات ،
وتلك هي المعاملة الطيبة في مثلها الأعلى ، معاملة لا تتبدل
بعد أيام وشهور بل تطول مدى السنين ، وتطول مدى السنين
مع نساء مختلفات لا مع امرأة واحدة ، وتطول في جميع
الحالات ومنها حالة الألم البالغ ولا تنحصر في حالة الرضى
والطمأنينة ، وأقل من ذلك أمنية يتمناها العالمون بالوئام
بين الأزواج في العصر الذي وصفوه بعصر المرأة لفرط
ما أطيب فيه المطنبون من اكبار شأنها والدعوة الى انصافها .

تعدد الزوجات :

هنا يعرض لنا الكلام عن تعدد زوجات النبي وهو الهدف
الثانى الذى يرميه المشهورون بالاسلام فيكتوون من رميته

كلما تكلموا عن أخلاق محمد عليه السلام وذكروا منها
ما يزعمونه منافيا لشيمائل النبوة ، مخالفا لما ينبغي أن
يتصف به هداة الأرواح .

السيف والمرأة !

كانهم يريدون أن يجمعوا على النبي بين الاستسلام
للغضب والاستسلام للهوى ، وكلاهما بعيد من صفات
الأنبياء .

أما السيف فقد أسلفنا الكلام فيه .

أما المرأة فالظنة فيها أضعف من الظنة في السيف على
ما نراه ، لأن الاستسلام للشهوة آخر شيء يخطر على بال
الرجل المحقق - مسلما كان أو غير مسلم - حين يبحث في
تعدد زوجات النبي ، وفيما يدل عليه ذلك التعدد ، وفيما
اقتضاه .

قال لنا بعض المستشرقين ان تسع زوجات لدليل على
فرط الميل الجنسي - قلنا انك لا تصف السيد المسيح بأنه
قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط . فلا ينبغي أن تصف
محمدًا بأنه مفرط الجنسية لأنه جمع بين تسع نساء .

ونحن قبل كل شيء لا نرى ضيرا على الرجل العظيم أن
يحب المرأة ويشعر بمتعتها . هذا سواء الفطرة لا عيب فيه ،
وما من فطرة هي التي في طبائع الأحياء عامة من فطرة
الجنسين والتقاء الذكر والأنثى ، فهي الغريزة التي تلهم
الحى فى كل طبقة من طبقات الحياة ، لا تلهمة غريزة
أخرى .

أرأيت الى السمك وهو يعبر الماء المالح فى موسم
المعلوم فيطوى ألوا من القراسخ ليصل الى فرجة نهر عذب
يجدد فيها نسله ثم يعود أدراجه ؟ أرأيت الى العصفور وهو
يبني عشه ويعود من هجرته الى وطنه ؟ أرأيت الى الزهر
وهو يتفتح ليغذى الطير والنمل ينقل لقاحه ؟ أرأيت الى سنة

الحياة فى كل طبقة من طبقات الأحياء ، ما هى سنتها ان لم تكن هى سنة الألفة بين الجنسين ؟ وأن يكون سواء الفطرة ان لم يكن على هذا سواء ؟

فحب المرأة لا معابة فيه

هذا هو سواء الفطرة لا مراى *

وانما المعابة ان يطفى هذا الحب حتى يخرج عن سواءه وحتى يشغل المرء عن غرضه ، وحتى يكلفه شططا فى طلابه فهو عند ذلك مسخ للفطرة المستقيمة يعاب كما يعاب الجور فى جميع الطباع *

فمن الذى يعلم ما صنع النبى فى حياته ثم يقع فى روعه ان المرأة شغلته عن عمل كبير أو عن عمل صغير ؟ من بناء التاريخ قد بنى فى حياته وبعد مماته تاريخا أعظم من تاريخ الدعوة المحمدية والدول الاسلامية ؟ ومن ذا الذى يقول ان هذا عمل رجل مشغول ؟

ثم شغلته المرأة ؟ ومن ذا تفرغ لعظيم من المسمى فبلغ فيه شأن محمد فى مسعاه ؟

فان كانت عظمة الرجل ، قد أتاحت له أن يعطى الدعوة حقها ويعطى المرأة حقها فالعظمة رجحان وليست بنقص ، وهذا الاستيفاء السليم كمال وليس بعيب * ورسالة محمد اذن هى الرسالة التى يتلقاها أناس خلقوا للحياة ولم يخلقوا لأبدين لها ولا منبوتين منها فليست شريعة هؤلاء بالشريعة المطلوبة فيما يخاطب به عامة الناس فى عامة العصور *

وآعجب شئ أن يقال عن النبى انه استسلم للذات الحسية وقد أوشك أن يطلق نساءه أن يجبرهن فى الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة وهو لا يستطيعها *

فقد شكوا — على فخرهن بالانتماء اليه — انهن لا يجدن نصيبهن من النفقة والزينة ، واجتمعت كلمتهن على الشكوى

واشتدوا فيها حتى وجم النبي وهم يتسريحهن أو تخيرهن
بين الصبر على معيشتهم والتسريح .

وذهب اليه أبو بكر يوما « يستأذن عليه فوجد الناس
جلوسا لا يؤذن لأحد منهم » ثم دخل أبو بكر وعمر من بعده
فوجدوا النبي جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا . فأراد
أبو بكر أن يقول شيئا يسرى عنه ، فقال : يا رسول الله لو
رأيت بنت خارجة سألتني النفقة !! فقام أبو بكر الى عائشة
يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها ويقولان .

« تسألن رسول الله ما ليس عنده ؟ فقلن : « والله لا نسأل
رسول الله شيئا أبدا ليس عنده » .

ثم اعتزلهن الرسول شهرا وتسعة وعشرين يوما فنزلت
بعدها الآية التي فيها التخيير وهي :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن
كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

الأحزاب ٢٨ ، ٢٩

فبدأ الرسول بعائشة فقال لها : يا عائشة ! انى أريد
أن أعرض عليك أمرا أحسب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى
أبويك . . . قالت : « وما هو يا رسول الله ؟ » فتلا عليها
الآية قالت :

فيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله والدار
الآخرة . . . »

ثم خير نساءه كلهن فأجبن كما أجابت عائشة ، وقنعن بما هن فيه من معيشة كان كثير من زوجات المسلمين يظفرن بما هو أنعم منها .

علام يدل هذا ؟

نساء محمد يشكون قلة النفقة والزينة ، ولو شاء لأغدق عليهن النعمة وأغرقهن في الحرير والذهب وأطايب الملذات .

أهذا فعل رجل يستسلم للذات حسه ؟

أما كان يسيرا عليه أن يفرض لنفسه ولأهله من الأثقال والفتائم ما يرضيهم ولا يغضب المسلمين وهم موقنون ان ارادة الرسول من ارادة الله ؟

ومأذا كلفه الاحتفاظ بالنساء حتى يقال انه كان يفرط في ميله الى النساء ؟ هل كلفه أن يخالف ما يحمد من سننه أو يخالف ما يحمد من سيرته أو يترخص في ما يرضاه أتباعه ولا ينكرون عليه ؟ لم يكلفه شيئا من ذلك ، ولم يشغله عن جليل أعماله وصغيرها ، ولم نر هنا رجلا تغلبه لذات الحس كما يزعم المشهرون ، بل رأينا رجلا يغلب تلك الملذات في طعامه ومعيشته وفي ميله الى نساءه فيحفظها بما يملك منها ولا يأذن لها أن تسومه ضريبة مفروضة عليه ، ولو كانت هذه الضريبة بسيطة في العيش قد ينالها أصغر المسلمين ، ولا شك في قدرة النبي عليها لو أراد .

رجل الجد والرصانة :

وهكذا نبحث عن الرجل الذي توهمه المشهرون من مؤرخي أوروبا ، فلا نرى الا صورة من أعجب الصور التي تقع في وهم واهم .

نرى رجلاً كان يستطيع أن يعيش كما يعيش المملوك
ويقنع مع هذا بمعيشة الفقراء ثم يقال انه رجل غلبته
لذات حسه ! *

ونرى رجلاً تألبت عليه نساؤه لأنه لا يعطيهن الزينة
التي يتحلين بها لعينيه ثم يقال انه رجل غلبته لذات حسه .
ونرى رجلاً أثر معيشة الكفاف والقناعة على ارضاء
نسائه بالتوسعة التي كانت في وسعه ثم يقال انه رجل
غلبته لذات حسه .

ذلك كلام لو شاء المشهرون أن يرسلوه كلاماً مضحكاً
مستغرباً لأفلحوا فيما قالوه أحسن فلاح . أو لعله أقبح
فلاح !

ويزيد في غرابته أن الرجل الذي توهموه ذلك التوهم
لم يكن مجهولاً قبل زواجه ولا بعد زواجه فتخبط فيه الظنون
ذلك الخبط الذريع .

فمحمد كان معروف الشباب قبل قيامه بالدعوة الدينية
كأشهر ما يعرف فتى من قریش وأهل مكة .

كان معروفاً من صباه الى كهولته ، فلم يعرف عنه أنه
استسلم للذات الخس في ريفان صباه ، ولم يسمع عنه أنه
لها كما يلهو الفتیان حين كانت الجاهلية تبيع مالا يباح . .
بل عرف بالطهر والأمانة واشتهر بالجد والرياسة . . وقام
بالدعوة بعدها ، فلم يقل أحد من شائثيه والناعين عليه
والمنقبين وراءه عن أهون الهنات : تعالوا يا قوم فانظروا
هذا الفتى الذي كان من شأنه مع النساء كيت وكيت يدعوكم
اليوم الى الطهارة والعفة ونبد الشهوات . . كلا ، لم يقل
أحد هذا قط من شائثيه وهم عديد لا يحصى ، ولو كان لقوله
موضع لجري على لسان ألف قائل .

ولما بنى بأولى زوجاته - خديجة - لم تكن لذات الحس
هى التى سيطرت على هذا الزواج لأنه بنى بها وهى فى

نحو الأربعين وهو في نحو الخامسة والعشرين ونيف، على
الخمسين وأوتى الفتح المبين وليس له من زوجة غيرها ولا من
رغبة في الزواج بأخرى .

ولم يكن وفاؤه لها بقية حياته وفاء المرء لذات حس
أو ذكرى متاع جميل لأنه فضلها على عائشة في صباها وهي
أحب نسائه إليه ، وكانت عائشة تغار منها في قبرها فلم
يكتمها قط أنه يفضلها عليها .

قالت له مرة : هل كانت إلا عجوزا بذلك الله خيرا منها ؟
فقال لها غاضبا : « لا والله ما بدلني الله خيرا منها . آمنت
بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبني الناس ، وواستني
بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها
من النساء » .

فلهذا أحب خديجة ووفى لها وفضلها ولم يمح ذكرها
من نفسه قط من أعقبتها من الزوجات الفتيات : وفاء قلب
وليست لذات حس ولا ذكرى متاع جميل .

أسباب تعدد زوجاته :

ولو كانت لذات الحسن هي التي سيطرت على زواج
النبي بعد وفاة خديجة ، لكان الأحسن بإرضاء هذه الملذات
أن يجمع النبي إليه تسعا من الفتيات اللاتي اشتهرن بفتنة
الجمال في مكة والمدينة والجزيرة العربية ، فيسرعن اليه
راضيات فخورات ، وأوليام أمورهن أرضى منهن وأفخر بهذه
المصاهرة التي لا تعلوها مصاهرة .

لكنه لم يتزوج بكرا قط غير عائشة رضي الله عنها ،
ولم يكن زواجه بها معقودا في بداعة الأمر حتى رغبته فيه
خولة بنت حكيم التي عرضت عليه الزواج بعد وفاة خديجة .

قالت عائشة رضي الله عنها : « لما توفيت خديجة قالت
خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون للنبي « أن رسول

الله ! « ألا يتزوج ؟ » قال : « من ؟ » « قالت : « ان شئت بكرة
وان شئت ثيبا ؟ » قال : « فمن البكر ؟ » قالت : « بنت احب
الناس اليك ، عائشة بنت ابي بكر » قال : « فمن الثيب ؟ »
قالت : « سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك » .

ثم كانت سودة هي اولى النساء اللاتي بنى بهن بمسند
وفاة خديجة ، وكان زوجها الاول ابن عمها - قد توفي بعد
رجوعه من الهجرة الى الحبشة . وكانت هي من اسبق النساء
الى الاسلام ، فامنت وهجرت أهلها وغاب زوجها الى الحبشة
فرارا من اغنيات المشركين له ولها . فلما مات لم يبق لهما
الا أن تعود الى أهلها فتصبا وتؤذي ، أو تتزوج بغير كفاء
أو بكفاء ، لا يريد لها . فضمها النبي اليه خماية لها وتاليفا
لأعدائه من أهلها . وكان غير هذا الزواج اولى به لو نظر الى
لذات حس ومال الى متاع .

وكانت للنبي زوجة أخرى سمت بالوضاعة والنقاء وهي
زينب بنت جحش ابنة عمته عليه السلام التي زوجها زيدا
ابن حارثة بأمره وعلى غير رضى منها ، لأنها أنفت - وهي ،
ذات الحسب والقراية من رسول الله - أن يتزوجها غلام
عنيف .

هذه أيضا لم يكن « للذات الحس » المزعومة سلطان في
بناء النبي بها بعد تطليق زيد اياها وتعذر التوفيق بينهما ،
ولو كان للذات احسن سلطان في هذا الزواج لكان أيسر شيء
على النبي أن يتزوجها استباء ولا يروضها على قبول زيد وهي
تأباه . فقد كانت ابنة عمته يراها من طقولاتها ولا يفاجئه
من حسننها شيء كان يجهله يوم عرض عليها زيدا وشدد عليها
في قبوله . فلما تجافى الزوجان وتكررت شكوى زيد من
اعراضها عنه وترفعها عليه واغلاظها القول له كان زواج
النبي بها « حلا لمشكلة » بيتيه بين ربيب في منزلة الابن
وابنة عمه أطاعته في زواج لم يقرن بالتوفيق .

أما سائر زوجاته عليه السلام فما من واحدة منهن
- رضى الله عنهن - الا كان لزوجها بها سبب من المصلحة

العامّة أو من المروعة والنخوة دون ما يهزىء به المرجئون من
لذات الحس المزعومة .

فأما سلمة كانت كهلة مسنة يوم خطبها ، كما قالت له
معتذرة اليه لاعفائه من تكاليف نفسه ان يتزوجها ، جبرا
لخاطرها بعد موت زوجها عبد الله المخزومي من جرح أصابه
في غزوة أحد .

ولما برح بها الحزن لوفاته واسناها رسول الله قائلا :
«سلى الله أن يؤجرك في مصيبتك ، وأن يخلقك خيرا» فقالت :
« ومن يكون خيرا من أبى سلمة ؟ » فأوجب على نفسه خطبتها
لأنها تعلم أنه خير من أبى سلمة ، ولأنه يعلم أن أبا بكر
وعمر خطباها فترفت بالاعتذار ، وهما أعظم المسلمين قدرا
بعد النبي عليه السلام .

وجويرية بنت الجارث سيد قومه كانت إحدى السبايا
في غزوة بنى المصطلق فتزوجها النبي لعتقها ويحض المسلمين
على عتق أسراهم وسباياهم تفريجا عنهم وتأليفا لقلوبهم ،
فأسلموا جميعا وحسن إسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة
اليه والبقاء في حرم رسول الله فاختارت البقاء في حرم
رسول الله .

وحفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها فعرضها
أبوها على أبى بكر فسكت وعلى عثمان فسكت وبث عمر
أسفه للنبي فلم يكن للنبي عليه السلام أن يرضى على وليه
وصديقه بالمصاهرة التي شرف بها أبا بكر من قبله ، وقال :
يتزوج حفصة من هو خير من أبى بكر وعثمان .

ورملة بنت أبى سفيان تركت أباها لتسلم وتركت
وطنها لتهاجر مع زوجها الى الحبشة ، ثم تنصر زوجها
وفارقها وهى غريبة هناك بغير عائل . فأرسل النبي الى
النجاشي في طلبها لينقذها من ضياع الغربة وضياع الأهل
وضياع القرين . فكانت النجدة الانسانية باعث هذا
الزواج ولم يكن له باعث من المتعة والاستزادة من النساء ،

وكان للنبي مقصد جليل من هذا الزواج الذي لم يفكر فيه حتى البجاة النجدة الى التفكير فيه ، وهو أن يصل بينه وبين أبي سفيان بأصرة النسب عسى أن يهديه ذلك الى الدين ، بما يعطف من قلبه ويرضى من كبريائه .

وكان اعزاز من ذلوا بعد عزة سنة النبي عليه السلام في معاملة جميع الناس ولا سيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن في الذل بعد فقد الحماة والأقرباء ، ولهذا خير صفية اليهودية سيدة بنى قريظة بين أن يلحقها بأهلها وأن يعتقها ويتزوج بها . فاختارت الزواج منه عليه السلام . وآية الآيات في رعاية الشعوب الانسانية انه عليه السلام انتشب صفية بلالا لأنه مر بها وبابنة عمها على قتلى اليهود . فقال له مفضيا : « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما ؟ » واحتقرتها زينب فلقيتها يوما باليهودية فهجرها شهرا لا يكلمها ليأخذ بناصر هذه الغريبة ويدفع عنها الضيم .

تتكشف لنا مراجعة الحياة الزوجية لمحمد عليه السلام عن هذه الأسباب وشبهاتها من دواعي اختياره لتسنيته واستجماعه لهذا العدد من الزوجات في حين واحد .

ولا حرج - كما أسلفنا - على رجل قويم الفطرة أن يلتمس المتعة في زواجه . ولكن الذي حدث فعلا أن المتعة لم تكن قط في مقدمة الاعتبار عند نظر النبي في اختيار واحدة من زوجاته قبل الدعوة أو بعدها وفي ابان الشباب أو بعد تجاوز الكهولة .

وآخر صورة يتصورها المنصف هنا هي صورة رجل فرغ للذاته وجلس ينتقى واحدة بعد واحدة من الحسان على حسب ما يرجوه عندها من متاع . فانما كان الاختيار كله على حسب حاجتهم الى الايواء الشريف أو على حسب المصلحة الكبرى التي تقضى باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه ، ولا استثناء من هذه

الخصلة لزوج واحد بين جميع زوجاته حتى التي بنى بها
فتاة بكراً موسومة بالجمال ، وهي السيدة عائشة بنت أبي
بكر الصديق رضي الله عنه .

الا أن المشهرين المتقولين نسوا كل حقيقة من حقائق
هذه الحياة الزوجية التي سجلت لنا بأحدث تفصيلاتها ، ولم
يذكروا إلا شيئاً واحداً جرفوه عن معناه ودلالته ، ليفتروا
على النبي ما طاب لهم أن يفتروه وذاك أنه جمع في وقت
واحد بين تسع زوجات .

ونسوا أنه اتسم بالطهر والعفة في شبابه فلم يستبح
قط لنفسه ما كان شباب الجاهلية يستبيخونه لأنفسهم من
اللهو المطروق لكل طارق ، في غير مشقة عندهم ولا معابة .

ونسوا أنه بقي إلى نحو الخامسة والعشرين لم يتعسف
في طلب الزواج الحلال وهو ميسر له تيسره لكل فتى وسيم
حسب منظور إليه بين الأسر وبين الفتيات .

ونسوا أنه لما تزوج في تلك السن ، كان زواجه بسيدة
نحو الأربعين اكتفى بها إلى أن توفيت وهو يجاوز الخمسين .

ونسوا أنه اختار أحساباً في حاجة إلى التآلف أو
الرعاية ولم يختار جمالاً مطلوباً للمتاع .

ونسوا أن الرجل الذي وصفوه بما وصفوا من تغليب
لذات الحسن ، لم يكن يشبع في بعض أيامه من خبز الشعير ،
ولم يجاوز حياة القناعة قط لأرضائه نساءه وأرضاء
نفسه ، ولو شاء لما كلفه أرضاء نفسه . وأرضاءهن غير
القليل بالقياس إلى ما في يديه .

نسوا كل هذا وهو ثابت في التاريخ ثبوت عدد النساء
اللاتي جمع بينهن عليه السلام فلماذا نسوه ؟

نسوه لأنهم أرادوا أن يعيبوا وأن يتقولوا وأن
ينحرفوا عن الحقيقة ، وقد كانت رؤية الحقيقة أيسر لهم

من الانقياد عنها ، لو أنهم أرادوها وتعمدوا ذكرها ولم
يتعمدوا نسيانها .

عاشرا : الأب (الآبوة الروحية والابوة النوعية) :

حفظ النوع سر من أسرار الحياة الكبرى التي دقت عن
الفهم وحارت في تحليلها عقول الأساطين من العلم والحكمة .

وهو لا ريب يجرى على قانون مطرد في جميع طبقات
الآحياء وان كنا نحن لا نعلم كنهه ولا نسبر عمقه ، ولا نزيد
على استقصاء بعض الملاحظات التي تقارب الحقيقة ، أو هي
أقرب ما نستطيع الوصول إليه .

وأهم هذه الملاحظات التقريبية أنه يجرى على سنة
المكافأة والتعويض في معظم حالاته ، فيقابل النقص في
جانب بالزيادة في جانب آخر ويقابل القصور في مزية من
المزايا بالاتقان في مزية أخرى .

فالآحياء السفلى عرضة للمعطب الكثير في طور الولادة
والحضانة ، فيقابل هذا أن الأحياء السفلى ترسل ذرياتها
بالآلوف والآلوف فيبقى منها القليل الكافي لدوام
النوع بعد فناء الكثير .

والآحياء العليا يقل عدد المولود منها في البطن الواحد .
فيقابل هذا أن تطول حضانتها والعناية بها ، وتجد من
وسائل الصيانة ما يعوض الكثرة في الأحياء السفلى .

ويغلب أن يزيد النسل حين تكون زيادة النسل هي
الوسيلة التي يستطيعها الفرد لخدمة نوعه وضمان دوامه .
فاذا تيسرت للفرد وسائل مختلفة لخدمة نوعه ، فقد يجوز
ذلك على نسله وينتقص من قسمته في أبنائه ، كأنما خدمة
النوع ضريبة مفروضة على كل فرد بصورة من الصور ، فاذا
أداها في صورة أعفى منها في الصور الأخرى ، أو كأنما
هي مواهب وأرزاق لا يستوفىها الفرد الواحد الا بثمن غال
يحسب عليه ويؤدى حسابه للنوع على نحو من الأنحاء .

والانسان هو اقدر المخلوقات الحية على خدمة نوعه
بوسائل كثيرة لا تنحصر في تجديد النسل وزيادة عدده .

فهل يجوز لنا أن نقول ان العظماء الذين حرسوا النسل
قد أدوا ضريبتهم باصلاح شئون الناس فلم يبق من اللازم
المفروض عليهم ان يؤدوا هذه الضريبة عن طريق الذرية ؟

ان قلنا ذلك فانما نقوله على سبيل الملاحظة التقريبية
التي اشرنا اليها ، ولا نبلغ بتلك الملاحظة فوق مبلغها من
اليقين الذى تستحقه ، فغاية مبلغها عندنا انها تستوقف
النظر للتأمل والمراجعة ولا تقضى بنا الى الجزم أو الى
التغليب :

وبعض العظماء الذين تزوجوا لم يرزقوا الذرية ، أو
يرزقوا ذرية كلها اناث ، أو رزقوا ذرية كلها اناث وذكور
لم يعيشوا ، أو عاشوا ولم يعمرؤا ولا كانوا على حالة مستحبة
من الصحة والنجابة .

وتواريخ العظماء فى جميع نواحي العظمة ، وفى جميع
الأمم ، وفى جميع العصور ، حافلة بالشواهد التى تعزز
تلك الملاحظة وتجعلها خليقة بالتأمل والمراجعة ، يدخل فيهم
القديسون كما يدخل فيهم الحكماء ويدخل فيهم العلماء كما
يدخل فيهم رجال الفنون والمخترعون ، ويدخل فيهم القادة
العسكريون والشكليون ولا يصعب على أحد أن يدين بصره
الى فترة من الزمن فى بلد قريب يعرفه حق المعرفة ليشاهد
مصدّق ذلك من نفوس عظمائه ومشهوريه ، وحسبنا
فى مصر أسماء جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ،
وسعيد زغلول ، وعبد الله نديم ، ومصطفى كامل ، ومصطفى
فهمى ، محمود سامى البارودى ، وخافض ابراهيم .

فاذا جاز لنا أن نقف عند تلك الملاحظة وأن نتأمل مغزاها ، وجاز لنا أن نقفهم أن اصلاح شئون النوع الانساني ضريبة تغنى عن ضريبة الذرية فى بعض الأحوال - قايين ترانا نجد تلك الضريبة فى أرفع حالة وأعلى قيمة ان لم نجدها فى رسالة نبوية تتناول الأجيال بعد الأجيال، وتتناول الملايين فى كل جيل ، وأى أبوة انسانية تغنى عن أبوة اللحم والدم كما تغنى أبوة النبى الذى يتكفل بتربية الأرواح فى أمته ، وفى أمم لا يلقاها فى زمانه ، وأمم لا تزال تستجد بعد زمانه الى أقصى الزمان ؟ نذكر هذا حين تذكر خط محمد من الابوة الروحية ومن الابوة النوعية ، ونرى تكافؤا فى الجانبين جديرا بالملاحظة والاعتبار .

ألا ما أثقل ثمن الإصلاح !

ألا ما أحق المصلحين بالتمجيد وحسن الجزاء .

فمحمد الأب كان أصلح الآباء ، ثم فجع فى بنيه فجيلة لا يدارى فيها ألم الانسان الا صبر الأنبياء ومن الناس من لا يكون صديقا صالحا ولا سيذا صالحا ولا زوجا صالحا ولكنه أب صالح بر بنيه لأن الرحم بين الآباء والأبناء أدنى الأرحام الى المودة وأحراها بتجريك الشفقة فيمن لا يشفق على أحد فكيف تكون الأبوة فى نفس صلحت للصدقة وصلحت للسيادة وصلحت للزوجية لأنها تصلح للعطف الذى يعم القريب والغريب . . ويشمل القوى والضعيف ؟

ذلك أب تعلم كيف يفرح بأبنائه .

وتعلم كيف يحزن حين يفجع فى أولئك الأبناء .

ومن الراجح أن العطف الأبوى لم يتمثل قط فى مولد أحد من أبناء محمد عليه السلام كما تمثل فى مولد ابنه الذى سماه باسم جده الأكبر أملا فى أن يصبح بعده خليفته الأكبر .

ولعل العطف الأبوى قد تمثل فى تشييع هذا الطفل الصغير أشد من تمثله فى استقباله يوم ميلاده .

كانت أسباب كبيرة توحى إلى قلب محمد العظيم شوقه الطويل إلى استقبال ذلك الوليد .

كان منها أن محمداً عربى يحرص على العقب من بعده كحرص كل رجل من أبناء القبائل وأصحاب العصبية . هم فخورون بالنسب فخوزون بالعقب ، يحفظون سيرة السلف ويتوقون إلى استبقاء الخلف على نحو لا يعهده الحضريون ، وإن كان حب الذرية فطرة مركبة فى جميع الطبائع ومحمد كان يحب التكاثر لنفسه ويحبه لأمتة ويوصى المسلمين أن يستكثروا من النسل ما استطاعوا ليخاخر بهن الأمم وفرة وعزة . فاشتهى فاشتهى إلى العقب من الذكور خليفة عربية تقترب بالخلقة الإنسانية والخلقة النبوية ، فتزداد قوة على قوتها التى ركبت فى جميع الطبائع .

وكان من أسباب هذا الشوق القوى طول العهد بالأبناء وبعد أن ولدتهم له السيدة خديجة رضى الله عنها ، وشماتة أناس من شأنه سماء بعضهم بالأبتر لانقطاع معظم نسله ، وفى ذلك نزول الآية الكريمة :

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ⑤

الكوثر ٣

فقد مضى نيف وعشرون سنة لم تلد له فى خلالها زوجة من زوجاته . ومات فى هذه الفترة كل أولاده ما عدا فاطمة رضى الله عنها التى ماتت بعده بقليل : مات القاسم والظاهر طفلين ، وماتت زينب ورقية وأم كلثوم بعد أن تزوجن ولم يتعوض من فقدن ما يعزیه بعض العزاء .

فجیعة تضاعف الشوق الى الوليد المأمول •

وطول انتظار يضاعف الحب له كما يضاعف الشوق اليه ، ولستنا ندري ثم طالت الفترة التي مضت على أزواج النبي عليه السلام جميعا بغير عقب • ولكننا لا نستبعد تعليلها باجتماع المصادفات التي لا يندر أن تجتمع في أمثال هذه الأحوال • فعائشة البكر التي لم يتزوج النبي بكرا غيرها قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين وهي سن قد تبلغها المرأة ولا تلد • وان كانت ولودا فيما بعدها •

أما أزواجه الأخريات اللاتي تزوجن قبله فلا نعلم من أخبارهن أنهن أعقبن لأزواجهن الأولين خلفا غير رملة أم حبيبة وهند بنت أمية المخزومية ، وهذه كانت مسنة يوم بنى بها النبي عليه السلام ، وفي عمر لا يستغرب فيه امتناع الولادة •

فكلهن ما عدا هاتين لم يلدن للنبي ولا لزوج قبله • واجتماع هذه المصادفة ليس بالعجبة المعضلة التي يصعب تعليلها اذا تذكرنا أن النبي قد توخى في اختيارهن تلك الأغراض العامة التي أجملناها في الفصل السابق ولم يتحر منها النسل خاصة وهي الايواء الشريف والمصاهرة • وبعضهن — بل معظمهن — قد لقينا من الشدائد والمخاوف وعناء الهجرة البعيدة ، ما يعقم المولود •

فاذا أضفنا الى ذلك معيشة الكفاف وضريبة العظمة النبوية التي أشرنا اليها على سبيل الاحتمال ، واشتغال النبي فيما بين الخمسين والستين بتعزيز الدين وقمع الفتن ودرء الأخطار — لم يكن منهم تلك الظاهرة الحيوية بالأمر العصي على التعليل •

حزن الأبوة :

طال اشتياق النبي الى الوليد المأمول ، وتجدد اشتياقه
في أثر كل زواج حتى جاءته مارية القبطية من قطر بعيد
ومن معدن غير المعدن الذي يختار لايواء المحزونات وتقريب
الأسر والعصبيات . فبشرت النبي بعقب لعله غلام ، واجتمع
في هذه البشارة اشتياق نيف وعشرين سنة . ورجاء
لا ينتهي بانتهاء الزمان .

• ولد ابراهيم •

ولد الطفل الذي نظر أبوه اليه يوم مولده فامتد به الأمل
مئات السنين أو ألوف السنين وتخبر له الاسم الذي وراءه
آعقاب كأعقاب جده الأعلى ليكون أباً ويكون له أحفاد ،
ويكون لأحفاده من بعدهم أحفاد . ثم مات ذلك الطفل الصغير
ومات ذلك الأمل الكبير .

• مات كلاهما . والأب في السنين ، أي صدمة في ختام
العمر ؟ أي أمل في الحياة ؟ الدين قد تم ، وهذه الاصرة قد
انقطعت ، فليس في الحياة ما يستقبل وينتظر : كل ما فيها
للاشاحة والادبار .

• مات الطفل ولما يدرك السنتين • مصاب صغير إن كانت
المصائب تقاس بسنوات المفقودين ولكن المصائب في الأعزاء
انما تقاس بمبلغ عطفنا عليهم ، والصغير أحوج الى العطف
من الكبير المستقل بشأته .

• وانما تقاس بمبلغ تعويلهم علينا ، وتعويل الصغير على
وليد أكبر من تعويل الكبير وانما تقاس بمبلغ الأمل فيهم .
والأمل يطول في بداعة الطريق وقد يقصر في منتصف
الطريق .

• انما تقاس الام المفقودين بأعمار الفاقدين • وأي

مصاب أفدح من مصاب الستين وما بعدها في الأمل الوحيد
الواصل بينها وبين الزمان : ماضيه وآتيه ؟

ما تخيلت محمدا في موقف أدنى الى القلوب الانسانية
من موقفه على قبر الوليد الصغير ذارف العينين مكظوم الوجه
ضارعا الى الله .

نفس قد نفثت الرجاء في نفوس الآلوف بعد الآلوف ،
وهي في ذلك الموقف قد انقطع لها رجاء عزيز رجاء وآسفاه
لا يحييه كل ما ينفضه المصلح في الدنيا من رجاء .

وكانى بمحمد كان يومئذ أقرب الى قلوب المخالفين من
بعده مما كان مع الجالسين حوله ، ومع أقرب الناس اليه .

وكان أقرب الناس اليه زوجاته أمهات المسلمين ، وكن
يحببته غاية ما يحب النساء الأزواج ، ولكن حبهن اياه لم يكن
في هذا الموقف من المقتربات العاطفات ، لأنه حب آثار
غيرتهن من أم الوليد المأمول فاحتجب من عطفهن بمقدار تلك
الغيرة وبمقدار ذلك الحب . ولا لوم عليهن فيما طبع عليه
الانسان وفيما لا يعقدنه ولا يقدرن عليه .

وكان أقرب الناس اليه أصحابه الخاشعون بين يديه .
وكان اكبارهم لسيد الأنبياء ينسيهم أنه أب من الأبناء ، بل
أنه أب أرحم من سائر الأبناء .

ظنوا أن النبي لا يحزن . كما ظنوا أن الشجاع لا يخاف
ولا يحب الحياة وأن الكريم لا يعرف قيمة المال لكن القلب
الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم ، والقلب الذي
لا يخاف لا فضل له في الشجاعة ، والقلب الذي لا يحزن
لا فضل له في الصبر . انما الفضل في الجزن والغلبة عليه ،
وفي الخوف والسمو عليه ، وفي معرفة المال والإيثار عليه .

وفضل النبي في نبوته وفي أبوته أنه حزن وبكى ،
وتلك هي الصلة بينه وبين قلب الانسان ، وبينه وبين

الناس ، وآى نبي تنقطع بينه وبين القلب الانساني صلة
كهذه الصلة التى تجمع شتات القلوب ؟

روى أسامة بن زيد أن زينب بنت النبی أرسلت اليه
« ان ابنتى قد حضرت فأشهدنا ، فأرسل اليها السلام ويقول
(ان لله ما أخذ وما أعطى ، وكل شيء عنده مسمى فلتتحنسب
ولتصبر ، فأرسلت تقسم عليه - فقام النبي ﷺ وقمنا -
فرفع الصبي في حجر النبي ونفسه تقعقع ، ففاضت عيننا
النبي ﷺ - فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه
رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ولا يرحم الله من
عباده الا الرحماء -

ما هذا يا رسول الله ؟ هذا رسول الله فى أصدق ما تكون
عليه رسالة الرسل : فى الرحمة وفى الانسانية ،
وغير هذا لن يكون - - - ومنحمد قد انقى رؤية طفل يموت
لابنته وهو كهل غير يائس من العقب فكيف يكون حزنه على
فلذة كبده ابراهيم وهو بعده ذاهب الرجاء فى الأبناء -

لقد كان حزنه لموته بمقدار فرحته بمولده - وكان
فرحه بمولده بمقدار أمله فيه واشتياقه اليه وان العطف
الانسانى كله ليتجه الى تلك النفس الزكية وهى تتوسع
فرحا بالوليد المأمول - - - خلق الأب المتهلل شعر ولينده
وتصدق بزنته فضة على المساكين ، وذلك هو التوسع الذى
وسعه رجل كان أقدر الرجال على وجه البسيطة ، غير مستثنى
فيها برؤساء ولا ملوك -

جاء بأقصى ما عنده من الفرح وأقصى ما عنده من
التوسعة - ولو شاء لقد كان وزن الوليد كله درا وجوهر
بعض ما يستطع ذلك اليوم الأغر الميمون - وبمقدار هذا
الفرح الطفوى يوم الاستقبال : كان الحزن الفظيع يوم
الوداع -

خرج الرجل الذى اضطلع بأعباء الدنيا من فيها وهو
لا يضطلع بحمل قدميه ، خرج يتوكأ على صديق عطف إلى
حيث يحمل الوليد آخر مرة فى حجره الأبوى قبل أن يودعه
حجر التراب • وكان يستقبل الجبل بوجهه • فقال : يا جبل
لو كان بك مثل ما بى لهدك • ولكن انا لله وانا اليه
راجعون •

آى والله انها لاحدى النواقر التى يحملها اللحم والدم
ولا تحملها صخور الجبال •

وصرخ أسامة حينما بكى رسول الله - فبهاه رسول الله
وقال « البكاء من الرحمن والصراخ من الشيطان » ، حزن
كما ينبغى له أن يحزن • أما الحزن الذى لا ينبغى له فهو
الصراخ الذى نهى عنه وهو أن تتكسف الشمس يوم موت
ابراهيم ، فيحسب المسلمون أنها انكسفت لموته ، ويقول
الأب الذى انكسفت الشمس حقا فى عينيه « كلا - ان الشمس
والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته !
أو تخسفان ولكن فى أكباد المعزوين ، وليس فى كبد
السماء •

أكرم الآباء :

أو كان من المحتم أن يكون محمد مثال الآباء كما كان
مثال الأنبياء ؟ كذلك شاء القدر القادر ، وكذلك رأينا
محمدًا مثال الأب يوم ولد ابراهيم • ومثال الأب يوم ذهب
عنه ابراهيم •

ما يتمنى طفل • لو جاز أن يتمنى الأطفال - أبوة
أرحم ولا أزكى من هذه الابوة فى الحالتين بل كان محمد
مثال الأب حيثما كان له نسل قريب أو بعيد ، وذكر أو أنثى

وصغير أو كبير رأيت الى الحسن بن فاطمة وقد دخل عليه
فركب ظهره وهو ساجد في صلاته ؟

أن النبي في صلاته لهو النبي في مقامه الأسنى * وان
النبي في مقامه الأسنى ليشفق أن يشغل الصبي عن لعبه
فيطيل السجدة حتى ينزل الصبي عن ظهره غير معجل *
ويسأله بعض أصحابه : لقد أطلت سجودك ؟ فيقول : ان
ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله * رأيت الى فاطمة تدخل
البيت ، أشبه الناس مشية بمشية محمد ؟ رأيت الى حنان
يفيض على القلب كحنانه حيث يرى فتاة تشبه أبا في مشيته
وسمته ؟ تلك فاطمة بقية الباقيات من الأبناء والبنات ،
يختصها النبي بمناجاته في عشية وفاته *

انى مفارق الدنيا فتبكي * انك لاحقة بى فتضحك ..
فى هذا الضحك وفى ذلك البكاء على برزخ الفراق بين الدنيا
والآخرة أخلص الود والحنان بين الآباء والأبناء *

سرّها نبوّته ، وسرّها يابوته ، فضحكت ساعة الفراق
لأنها ساعة الوعد باللقاء وكذلك فارق الدنيا أكرم الأنبياء
وأكرم الآباء *

العبادة

الطبائع الأربع :

طبيعة العبادة ، وطبيعة التفكير ، وطبيعة التعبير
الجميل - وطبيعة العمل والحركة .

هذه طبائع أربع تتفرق في الناس ، وكلما تجتمع في
إنسان واحد على قوة واحدة . فإذا اجتمعت معا فواجدة
منهن تغلب سائرهن لا محالة ، وتلحق الأخريات بها في القوة
والدرجة على كل شيء من التفاوت .

طبيعة العبادة تدعونا الى الاتصال بأسرار الكون
للمعاطفة والتآلف بيننا وبينها . تدعونا الى الحلول من
الكون في أسرة كبيرة . وطبيعة التفكير تدعونا الى الالتئصال
بأسرار الكون للفهم والكشف والاستقصاء تدعونا الى الحلول
من الكون في معمل كبير . وطبيعة التعبير الجميل تنتشبه
النار المقدسة في سرائرنا فتصهر معادن الجمال من هذه
الدنيا وتفرغها في قوالب حسناء من صنع قرائننا وألسنتنا
أو صنع قرائننا وأيدينا أو صنع قرائننا وأوصالنا ،
تدعونا الى الحلول من الكون في متحف كبير .

وطبيعة العمل والحركة : تعلمنا كيف نتأثر بدوافع
الكون وكيف نؤثر فيها ، وتجذبنا اليها فنستمد منها القدرة
التي تجذبها اليها : تدعونا الى الحلول من الكون في ميدان
صراع ومضمار سباق وكلما تشعر بالسكون مبيتا لأسرة ،
ومعملا لباحث ، ومتحف فن ، ومضمار سباق في وقت واحد .
- إنما هي حالة من هذه الحالات تجب سائر الحالات ، وقد
تلحقها بها الحاق التابع بالمتبوع والمساعد بالعامل الأصيل .

محمد بن عبد الله كانت فيه هذه الطبايع جميعا على نحو ظاهر في كل طبيعة : كان عابدا ومفكرا وقائلا بليغا وعاملا يغير الدنيا بعمله . ولكنه عليه السلام كان عابدا قبل كل شيء ومن أجل العبادة قبل كل شيء كان تفكيره وقوله وعمله ، وكل سجية فيه .

تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه فولد في بيت السدانة والتقوى . وتقدمه آباء يؤمنون ويوفون بآيمانهم ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه .

ونشأ يتيما من طفولته . فانطوى على نفسه وتعود التأمل والجهد والعزوف عن عيش الصغار ، والنظر الى ما حوله بعين الناقد المترفع عن الدنيا . الجانح الى الطهر واستقامة الضمير .

وتكون في بنيته عابدا من صباه . قيل انه في الثانية أو الثالثة من عمره ، قد أدركته حالة يختلف شراح التاريخ في تفسيرها . ويروونها من سمعوا بها على روايات مختلفات لا ندرى ما هو الواقع الصحيح منها . ويتعجل بعض المؤرخين الأوربيين ، فيحسبها ضربا من الصرع على غير سند علمي أو تاريخي معقق يستند اليه كل ما يمكن أن نجزم به من هذه الحالة أو من غيرها ، أن محمدا قد تكون ليتلقى الوحي الالهي . وأن لهذا التكوين استعدادا لا بد أن يلحظ من أوائل صباه ، لأن البنية الحية لن تتهيأ له في أيام ولا في شهور ولا في سنوات ، ولن تستطيعه الا اذا تمت أهبتها له والمولود في صلب أبيه ، ولا نقول في المهد أو في الرضاع .

فمن الأقوال المتواترة أنه كان عليه السلام اذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ، وكرب لذلك وتريد وجهه ، وأخذته البرحاء حتى أنه ليتجه ومنه مثل الجمان في اليوم الشاتي ، وسمع عند وجهه كدوى النحل ، وقد يصدع فيقلب رأسه بالحناء ، وقد شاب فقال « شيبتنى هود وأخواتها » وعدد حين سئل عن أخواتها سورا أخرى من القرآن الكريم .

وليس هذا من خلقه كل نبية انسانية : انما هو
خليقة النبوة التي تتلقى وحيا وتستوعب سرا وتهتز لنبأ
عظيم .

صفة العابد :

وكان أوصافه في غير حالة الوحي توافق الاستعداد
الذي يرشحه لتلقى الوحي والنبوة . فكان حسا كله وحياء
كله : يراه ينظر اليه فيرى فؤادا يقظا يتنبه لكل خالجة
نفسية ، وكل نبأ خفية . يسرع في مشيته ويلتفت فيلتفت
بكل جسمه ، ويشير فيشير بكل كفه . ويفكر فلا يزال يطرق
الى الأرض أو يرفع بصره الى السماء : ويدعو فرفع يديه
حتى يرى بياض ابطيه ويفضب فتحمر عيناه ووضباه ويمتلئ
غرق جبينه ينام وقلبه يقظ لا ينام . حس مرهف يدنى
اليه ما وراء الحجاب ويوقظ سريره لأخفى البواطن ،
ويجعله أبدا في حالة قريبة من حالة الوحي حينما هبط
الوحي عليه .

هذه صفة عابد يفكر ويعبر ويعمل . ليست بصفة
عابد ينقطع للعبادة أو ينقطع للتفكير ، أو يعمل كما يعمل
بعض النساك الذين هزلت بنيتهم الجسدية فلم يبق لهم
الا عكوف الصومعة أو رحلة الزهادة .

كانت عبادة محمد خلوا بالنفس الى حين ، أو عجبا
من بدائع الكون التي ألفها الناس لأنهم لم يوهب لهم في
أبصارهم وبصائرهم تلك النظرة الجديدة التي ترى كل شيء
كأنه في خلق جديد .

ما أعظم دهشة الناظر أن يرى الشمس قد خلقت اليوم
أمام عينيه . دهشة لا تعدلها دهشة وهي هي دهشة العين
التي أبت أن تكل من الألفة لأنها أبدا في نظر جديد ، أو في

نظر الى كل منظور كأنه مخلوق جديد وهكذا كانت عبادة محمد عليه السلام . عجب من بدائع الكون في كل نظرة كأنه يراها لأول مرة . وتفكير في الخلق ينتهي الى الايمان لأنه يبدأ بالعجب ، ولا يزال أبدا بين العجب والايمان . وان محمدا ياعث الايمان الى القلوب . لقد كان يجدد ايمانه كما يجدد عجه كل يوم . وكان يدعو الله فيقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » وقيل له في ذلك فقال « انه ليس آدمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ » .

حركة متجددة في الحس وفي الفكر وفي الضمير فلا انقطاع عن الحس للعبادة كل الانقطاع ولا انقطاع عن الحس للتفكير كل الانقطاع . وانما هو تفكير من ينتظره العمل . وليس بتفكير من ترك العمل ليوغل في الفروض ومذاهب الاحتمال والتشكيك . ثلث أيامه لربه . وثلثها لأهله . وثلثها لنفسه . وما كان في فراغه لنفسه ولا لأهله شيء يخرج به عن معنى عبادة الله والاتصال بالله على نحو من التعميم . يهره الجمال من صباه : جمال الشمس والقمر والنهار والليل والروض والصحراء وجمال الوجوه التي يلمح عليها الحسن فيطلب عندها الخير . انما هو الخير على كل حال .

ما قد طلب من الجمال . انما جمال الله هو الذي قد كان يدعو اليه ، كلما نظير الى خلق جميل .

فكر في الخلق فأمن بالخالق واستقر هنالك لا يتقدم ولا يتأخر ، فقال : « ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ فيقول : الله ، فيقول من خلق الأرض ؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فاذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنت بالله ورسوله » .

تلك هي نهاية التفكير التي ينتهي اليها عقل مستقيم خلق لعبادة عامل ، وتعليم الناس عبادة وعملا ، ولم يخلق ليوغل في الفروض ويتقلب بين الشكوك .

وانا لنسأل مع هذا : الى أين انتهى المفكرون الذين
أوغلوا في شكوكهم وتطوخوا بها الى قصوى ما تفرضه
الفروض ؟ *

الى أين انتهى « كانت » Kant امام المفكرين في هذا
الباب بين فلاسفة العصر الحديث ، ان لم نقل الحديث
والقديم ؟

انتهى الى أن النفس نفسان والوجود وجودان : نفس
حسية ونفس حقيقية * ووجود محسوس ووجود حق هو
ذات الوجود *

النفس الحقيقية تدرك الوجود الحقيقي عندما ترجع
الى قرارها ، ثم لا تتخطى بادراكها عالم الباطن الى عالم
المحسوسات التي يتناولها التعبير وتصدير الكلام *

أليس معنى هذا أن ايمان النفس الباطنة أمر لا يتعلق
بالبرهان ؟ وأن المرجع غاية المرجع انما هو الايمان
ولا شيء غير الايمان ؟

بل حتى البرهان الأكبر على وجود الله نعود اليه لنسأله
ونسلم منه ، فماذا يقول ؟

يقول لنا ان العدم معدوم فالوجود اذن موجود ، وانك
اذا آمنت بالوجود فلا مناص لك من الايمان به في صيغته
المثلي ، لأنك تحتاج الى مقتضى لفرض النقص ولا تحتاج
الى مقتضى لفرض الكمال في وجود لا يتطرق اليه العدم *

وما الفارق بين الايمان بالله والايمان بالوجود في
صفته المثلي ؟

وهنا ينتهي الايغال في الفروض والشكوك ..

وهنا انتهى الايمان ، بغير ايغال في فروض ولا شكوك

لا تتلاقى النهايتان ، أو لا تضل الفروض والشكوك
حيث نضل ثم لا يخطولها قيمان وراء خطو الايمان *

هذه السنة التي استنها النبي عليه السلام في عبادته الروحانية كثرت وصاياه بأدمان التفكير في خلق الله واجتناب التفكير في ذات الله . فقال في حديث : تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله » .

وقال هذا المعنى : « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » وقال في حديث قدسي :

« كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق فعرفت » .

أو كما جاء في رواية ، « فخلقت الخلق فبي عرفوني » .

طريق الوصول :

وخلاصة هذه الأحاديث وما في معناها أن التفكير في حقائق الوجود هو طريق الوصول إلى الله ولا طريق غيره للحواس ولا للعقل ولا للبدية : إيمان بالوجود الأبدي في صفته المثلى . وتفكير في حقائق الوجود كما نراها ونحسها ونعقلها ، وذلك قصارى ما عند العقيدة ، وقصارى ما عند الفلسفة ، وقصارى ما عند العلم ، إذ يقف العلم عند حده وهذا هو العلم الذي فرضه الإسلام على كل مسلم ومسلمة . وقال النبي في رواية ابن عباس : « انه أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله ، لأنه سبيل الوصول إلى الله » .

ومن الواجب أن نذكر بعد هذا جميعه أن محمدا نبى ، وأن النبى يعلم جميع الناس الايمان وتلك سبيل جميع الناس فيما يفتح لهم من أبواب التفكير وأبواب الاعتقاد فهم يضلون في تيه الشكوك والمناقضات التي يتعمق فيها الفلاسفة والمنطقيون ولا يبلغون إلى هداية أقوم وأسلم من هداية الايمان بالخالق والتفكير في الخليقة فاما هذه الهداية واما الضلال الذى لا هداية وراءه . وليس لنبى أن يحجب طريق الهداية ويفتح طريق الضلال .

وقد تكلمنا فى هذا الفصل عن روح العبادة أو عن
فطرة العابد التى توجى إليه (عبادته الروحية) .

أما عبادة الشعائر الظاهرة فهى عبادة الاسلام كما
فرضت على جميع المسلمين : صلى النبى ويصوم ويحج
ويؤدى الزكاة على الشريعة التى يتبعها كل مسلم ، وقد
يطلب الى نفسه فى هذه العبادات ما ليس يطلبه الى غيره .
على سنة السماحة والتيسير التى أثرت عنه فى كل عمل من
أعماله وكل سجية من سجاياه .

فكان أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة
لنفسه وربما قام الليل أكثره أو أقله ولا يدين أحد بالتهجد
كما كان يتهجد ، أو بالصلاة والصيام كما كان يصلى
ويصوم .

بل قد غضب من الناس يتشددوا فى العبادة فيصبحوا
كالمنبت « لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » لأن الناس جميعا
يتلقون الأمر بالعبادة كما يتلقون الأمر بفريضة واجبة ،
فهم فى حاجة الى الرفق والتيسير .

أما النفس المفطورة على العبادة فالصلاة عندها مناجاة
حب وفرحة لقاء ، ومطاوعة لميل الضمير وميل الجوارح على
السواء .

وكان محمد « اذا حزبه أمر صلى » .

كذلك اذا حزب الأمر نفسا رجعت الى من تحب فنفخ
وقرها وانفرج كربها ، وأنست بعد وحشة واهتدت بعد
حيرة .

ومتى وجدت النفس « فرحة اللقاء » فى الصلاة
فلا اجهاد فيها لجسد ولا تضيق فيها لوقت بل فيها الترويح
عن الجهد والتنفس عن الضيق . ولا سيما اذا كانت النفس
من سعة الأفق بحيث تحيى ما تحيى من ليلها ونهارها فى
الصلاة والعبادة ثم تؤدى عملها وتفكر تفكيرها ، ولا يحسب

أجد يعرفها أنها تنقطع بالصلاة العبادة عن حق من حقوق حياتها ، أو عن حق من حقوق بنى الانسان .

الرجل المختار :

عاش في العصور الماضية كثير من العظماء الذين تواترت الأنبياء بأوصافهم السماعية وأوصافهم المرسومة في الصور والتماثيل غير أننا لا نعرف أحدا من هؤلاء العظماء تمت صورته السماعية أو المنقولة كما تمت صورة محمد عليه السلام من رواية أصحابه ومعاصريه ، فنحن نعرفه بالوصف خيرا من معرفتنا لبعض المخلدين بصورهم وتماثيلهم التي نقلت عنهم نقل الحكاية والمطابقة ، لأن هذه الصور والتماثيل قد تحكى للناظرين ملامح أصحابها ومعارفهم الظاهرة ، وقد تحكى للمتفرسين شيئا من طبائعهم التي تفهم عليها سيماهم ، إلا أنها لا تحفظهم لنا كما حفظت الروايات المتواترة أوصاف النبي في كل حالة من حالاته وكل لحظة من لحاته في سيماء وفي هندامه ، وفي شرايه وطعامه ، وصلاته وحياته وحلة ومقامه وسكوته ، لأن الذين وصفوه وأحبوه وأحبوا أن يقتدوا به فتخرجوا في وصفه كما يتخرج المرء في الاقتداء بصفات النجاة والأخذ بأسباب السلامة ، فكانت أمانة الوصف هنا مزيجا من العطف والتدين وضربا من اتباع السنن وقضاء الفروض لم يختلف الوصف مرة إلا كما تختلف نظرة الناظر الى وجه واحد بين ساعة وأخرى فيقول غير ما قال آنفا ثم لا يبدو التناقض ولا أقصد التحريف بين القولين .

وخلاصة المحفوظ من الروايات المتواترة أن النبي عليه السلام كان مثلاً نادراً لجمال الرجولة العربية كان كشانه في جميع شمائله مستوفيا للصفة من جميع نواحيها : قريب رجل وسيم غير محبوب غير مهيب ، قريب رجل وسيم يحبه الناس

ويهابونه وهو لا يحب الناس ولا يعطف عليهم ولا يبادلهم
الولاء والوفاء ، أما محمد عليه السلام فقد استوفى شئائيل
الوسامة والمحبة والمهابة والعطف على الناس . فكان على
ما يختاره واصفوه ومحبوه ، وكان نعم المسمى بالمختار .

إذا نظر اليه الناظر رأى رجلا أزهر اللون عظيم
الهامة . مفاض الجبين ، مسبط الشعر أزج الحاجبين بينهما
عرق يدره الفضب ، أدعج العينين فى كحل . أقنى الأنف
يحسبه من لم يتأمله ، أشم العرنين ، أسيل الخد - ضليع الفم ،
غزير اللحية . جميل الجيد ، عريض الصدر ، واسع ما بين
المنكبين ، ضخم الكراديس ، طويل الزندين ، رخب الراحة
خشن الكفين والقدمين ، لا بالمشذب ولا بالقصير ، مربوعا
أو أطول من المربع ، معتدل الخلق ، متماسكا ليس بالبدين
ولا بالنحيل .

وإذا أقبل يتحرك نظر اليه الناظر فرأى رجلا يصفه
الأقدمون بأنه « حى القلب » ويصفه المحدثون « بالحركة
الحيوية » .

يمشى فكأنما ينحدر من جبل أو ينخط من صب ، ويرفع
قدمه فيرفعها تقلما كأنما ينشط بجملة جسمه ، ويلتفت
فيلتفت كله ، ويشير فيشير بكفه كلها ، ويتحدث فيقارب
يده اليمنى من اليسرى ويضرب بابهام اليمين راحة اليسرى ،
ويفتح الكلام بأشداقه ويختمه بأشداقه ، وربما حرك رأسه
وعض شفتيه فى أثناء كلامه . وهو على هذه الحركة الحية
نجم الحياء أشد حياء من العذراء ، فضاح المحيا ، إذا كره شيئا
غرف ذلك فى وجهه وإذا رضى تطلعت أساريره وتبين
رضاه .

واقترن النشاط والحياء بالقوة والمضاء فى هذه البنية
الجميلة . . فكان عليه السلام يصرع الرجل القوي ويركب
الفرس عاريا فيروضه على السير . ويداعب من يحب
بالمسابقة فى العبدو . قالت عائشة رضى الله عنها « خرجت
مع النبى ﷺ فى بعض أسبغاره وأنا بجارية لم أجمل

اللحم . فقال ﷺ للناس : « تقدموا ! فتقدموا » . ثم قال :
« تعالى حتى أسابقك » فسابقته فسبقته فسكت .

« حتى اذا حملت اللحم وكنا في سفرة اخرى قال ﷺ :
« للناس تقدموا فتقدموا » ثم قال : « تعالى أسابقك فسابقته
فسبقتني فجعل ﷺ يضحك ويقول هذه بتلك » .

وهذا بعد ان قارب الستين . انها لمسابقة تنم على
فتوة الروح فوق ما نمت عليه فتوة الأوصال .

وتجلت هذه الأريحية في علاقته لكل انسان من خاصة
أهله أو من عامة صحبه فرقت حاشية جده حتى عطفت على
كل أسي ، ورحمت كل ضعف ، وامتزجت بكل شعور .

قال أنس بن مالك رضى الله عنه « دخل النبي عليه
السلام على أمي فوجد أخى أبا عمير حزينا : فقال يا أم سليم ،
ما بال أبى عمير حزينا ؟ فقالت يا رسول الله : مات نغيره
تعنى طيرا كان يلعب به فقال ﷺ « أبا عمير ما فعل
النغير ؟ » وكان كلما رآه قال له ذلك .

وهذه قصة صغيرة تفيض بالعطف والمروءة من حيثما
نظرت اليها فالسيد يزور خادمه في بيته . ويسأل أمه عن
حزن أخيه . ويواسيه في موت طائر ولا يزال يرحم ذكراه
كلما رآه .

ومثل هذا عطفه على الضعف البشرى في رجل مثل
عبد الله الخمار . الذى لقب بهذا اللقب لما اشتهر به من
السكر والدعابة ، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يجده في
الخمر ولا يتمالك أن يضحك منه .

قبوله للدعابة :

وكان نعيمان بن عمرو أشهر الأنصار بالدعابة ،
لا يقبل منها أحدا ولا يراه النبي فيتمالك أن يبتسم . وربما

قصد النبي ببعض هذه الدعايات لطبعه في حلمه وعلمه
بموقع الفكاهة من نفسه .

جاء اعرابي الى رسول الله فدخل المسجد واناخ راحلته
يفنائه فقال بعض الصحابة لنعيمان لو نحررتها فأكلناها ؟
فانا قد حرمنا الى اللحم ، ويغرم النبي ﷺ حقها فنحرها
نعيمان وخرج الاعرابي فرأى راحلته فصاح : « واعقره
يا محمد » فخرج النبي يسأل « من فعل هذا » قالوا :
« نعيمان » . . فاتبعه النبي حتى وجده بدار ضباعة بنت
الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق وجعل عليه
الجريد . فأشار اليه رجل ورفع صوته . « ما رأيته
يا رسول الله » وهو يشير باصبعه الى حيث هو ، فأخرجه
رسول الله وقد تعفر وجهه بالتراب فقال ما حملك على
ما صنعت ؟ قال والذين دلوك على يا رسول الله هم الذين
أمروني : « فجعل رسول الله يمسح عن وجهه التراب
ويضحك . ثم غرم بثمر الراحلة .

ونعيمان هذا هو الذي باع عاملا لأبي بكر الصديق
وهو يعلم أن النبأ واصل الى النبي لا محالة .

سافر أبو بكر الى بصرى تاجرا ومعه نعيمان وسويط بن
حرملة عامله على زاده فجاء نعيمان وطلب اليه طعاما فأباه
عليه حتى يأتي أبو بكر . فأقسم نعيمان ليفيظنه .

وذهب الى قوم فقال لهم « تشترون مني عبدا ؟ »
قالوا « نعم » قال : « انه عبد له كلام ، وهو قائل لكم :
لست بعبده ، أنا رجل حر . . الى أشباه ذلك ، فان كان اذا
قال لكل هذا تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدي .
قالوا : لا بل نشتره ولا ننظر في قوله » فاشتروه منه بعشر
قلائبي . ثم أراهم اياه فوضعوا عماثته في عنقه ولم يحفلوا
بقوله ، وجعلوا كلما قال لهم . « أنا حر . انه يتهزأ ولست
أنا بعبده فسخروا منه وقالوا : بل عرفنا خبرك فدع عنك

اللي حاجة • فلما جاء أبو بكر سأل عنه فقص عليه نعيمان قصته • وذهبوا جميعا ليلحقوا بالقوم فيفتدوه ويعيدوه ثم قدموا على رسول الله فضحك من فعله نعيمان وجعل يذكرها حولا كاملا كلما رآه ومن معه التمس أن ينهض الرجل بعظائم الأمور بل بأعظمها جدا ووقاء وهو إقامة الأديان واصلاح الأمم وتحويل مجرى التاريخ ثم يطيب نفسا للفكاهة ويطيب عطفًا على المتفكهن ويشركهم فيما يشغلهم من طرائف الفراغ • فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تنفع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة • ولكن النفوس لا تستغرق هذا الاستغراق الأدلت على شيء من ضيق الحضيرة ، ونقص المزايا وان نهضت بالعظيم من الأعمال فاستراحة محمد الى الفكاهة هي مقياس تلك الآفاق النفسية الواسعة التي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الانسانية ، وهي المقياس الذي يبدى من العظمة ما يبدى الجد فى أعظم الأعمال •

وكان محمد يتفكه ويمزح كما كان يستريح الى الفكاهة والمزاح ، وكان دأبه فى ذلك كدأبه فى جميع مزاياه •

يعطى كل مزية حقها ولا يأخذ لها من حق غيرها ، أو يعطى الفكاهة حقها ولا ينقص بذلك من حق الصدق والمروءة • فعبد الله الخمار كان يجد من قلب النبي عطف القلب الكبير على نقيصه الضعف فى الرجل السكير ، ولكنة كان يجد من تأديب النبي جزاء الشارب الذى يخالف الدين ويخل تماذيه بالشرعية ، عطف يحمل النبي على أحسن ما يكون ، لأنه يحمل بالانسان على أحسن ما يكون ، لأنه يحمل بالانسان على أفضل ما يكون •

واذا مزح محمد فانما كان يعطى الرضى والبشاشة حقهما ولا يأخذ لهما من حق الصدق والمروءة • فكان مزاحه آية من آيات النبوة لأنه كان كذلك آية من آيات الانسانية ، ولم يكن بالثقيض الذى يستغرب من نبي كريم •

قال لعمته صفية : لا تدخل الجنة عجوز ! فبكت • فقال
لها وهو يضحك : الله تعالى يقول :

إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْيَانَاتٍ رَّبًّا ﴿٣٧﴾

الواقعة ٣٥ - ٣٧

ففهمت ما أراد وثابت الى الرضى والرجاء •

وطلب اليه بعضهم أن يحمله على بعير ، فوعده أن يحمله
على ولد الناقة ، فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة !
فقال : « وهل تلد الابل الا النوق » ؟ •

وكان عليه السلام يقول لحاضنته السمحاء أم أيمن
وهى عجوز : « غطى قناعك يا أم أيمن » •

وسمعا في يوم حنين تنادى بلكنتها الأعجمية : « ثبت
الله أقدامكم ! » فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصفى اليها
ويداعبها بين نذر الحرب وصيلل السيوف ، وأقبل عليها
يقول : « اسكتى يا أم أيمن فانك عسراء اللسان ! » • فكانت
هذه الدعاية في ذلك الموقف المرهوب كأنها تربيت سيد
الفصحاء على تلك اللكنة البريئة •

القسم الثاني
معجزاته

انقسمت المعجزات الى كثير من الدلائل • وهذه الدلائل
معنوية وحسية •

أولا : الدلائل المعنوية :
(١) القرآن الكريم :

فمن المعنوية : انزال القرآن عليه ﷺ ، وهو أعظم
المعجزات ، وأبهر الآيات ، وأبين الحجج الواضحات • • لما
اشتمل عليه من التركيب المعجز الذى تحدى به الانس والجن
أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعى أعدائه
على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم • • ثم تحداهم بعشر
سور منه فعجزوا — ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله ،
فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك ، وان
هذا ما لا سبيل لأحد اليه أبدا ، قال تعالى :

قُلْ لِّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

الاسراء (٨٨) مكية

وهذه الآية مكية

وقال فى سورة الطور وهى مكية :

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ
مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

الطور (٣٣ ، ٣٤)

أى ان كنتم صادقين فى أنه قاله من عنده ، فهو بشر
مثلكم ، فأتوا بمثل ما جاء به فانكم مثله •

وقال تعالى : معيدا للتحدى :

وَلَا تَكُنْ
فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

البقرة (٢٣ ، ٢٤) مدنية

وقال تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ
مُنْتَرِينَ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

هود (١٣ ، ١٤)

وقال تعالى :

وَمَا كَانَ
هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُحِيطُوا بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ
أَوَلَيْسَ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

يونس (٣٧ ، ٣٩)

فبين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن :
بل عن عشر سور مثله ، بل عن سورة منه وأنهم لا يستطيعون
ذلك أبدا كما قال تعالى : (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) . .
أى فان لم تفعلوا فى الماضى ولن تستطيعوا ذلك فى
المستقبل . . وهذا تحد ثان ، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له
لا فى الحال . ولا فى المآل .

ومثل هذا التحدى انما يصدر عن واثق بأن ما جاء به
لا يمكن للبشر معارضته ولا الاتيان بمثله ، ولو كان من
يتقول من عند نفسه لخاف أن يعارض فيفتضح ويعود عليه
نقيض ما قصده من متابعة الناس له .

ومعلوم لكل ذى لب أن محمدا ﷺ من أعقل خلق الله ،
بل أعقلهم وأكملهم على الاطلاق فى نفس الأمر . . فما كان
ليقدم على هذا الأمر الا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته ،
وهكذا وقع ، فانه من لدن رسول الله ﷺ والى زماننا هذا لم
يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منه ، وهذا
لا سبيل اليه أبدا . . فانه كلام رب العالمين الذى لا يشبهه
شئ من خلقه ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله . .
فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق ؟ !!

وقول كفار قريش الذى حكاه الله تعالى عنهم فى قوله :

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ

لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

الانفال (٣١)

كذب منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة
ولا بيان . . ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه ، بل هم
يعلمون كذب أنفسهم فى قولهم :

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

الفرقان (٥)

قال الله تعالى :

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ⑥

الفرقان (٦)

أى أنزله عالم الخفيات ، رب الأرض والسماوات ،
والذى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف
يكون . . فانه تعالى أوحى الى عبده ورسوله النبى الأمى
الذى كان لا يحسن الكتابة ولا يديرها بالكلية ، ولا يعلم
شيئا من علم الأوائل وأخبار الماضيين ، فقص الله عليه خبر
ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء .

وهو فى ذلك يفصل بين الحق والباطل الذى اختلفت
فى ايراده جملة الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى :

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ
لِلْمُتَّيْنِ ⑦

هود (٤٩)

قال الله تعالى :

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ
أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ⑧ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ⑩ خَالِدًا فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ حِمْلًا ⑪

طه (٩٩ - ١٠١)

قال الله تعالى :

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ

المائدة (٤٨)

وقال تعالى :

وَمَا كُنْتَ
تَسْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّا رَكَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾
بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُحْجِبُ آيَاتِنَا إِلَّا
الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ
عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ يُنَالِي عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُورِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

العنكبوت (٤٨ - ٥٢)

فبين سبحانه أن نفس انزال هذا الكتاب المشتمل على
علم ما كان وما يكون وحكمه ما هو كائن بين الناس ، على
مثل هذا النبي الأمي وحده ، كان من الدلالة على صدقه .

وقال تعالى :

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا تُبَدِّلُهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ①٥ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا ثَلَوْتُهُ وَوَعَيْتُكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ①٦ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْجُرُؤُونَ ①٧

يونس (١٥ - ١٧)

انى لا أطيق تبديل هذا من تلقاء نفسى ، وانما الله عز وجل هو الذى يمحو ما يشاء ويثبت وأنا مبلغ عنه ، وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به ، لأنى نشأت بين أظهركم ، وأنتم تعلمون نسبى وصدقى وأمانتى ، وانى لم أكذب على أحد منكم يوما من الدهر ، فكيف يسعنى أن أكذب على الله - عز وجل - مالك الضر والنفع ، الذى هو على كل شىء قدير ، وبكل شىء علیم ؟ !!

وإى ذلك عنده أعظم من الكذب عليه ، ونسبه ما ليس منه اليه ؟ !!

كما قال تعالى :

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ①٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ①٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ①٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ①٧
الحاقة (٤٤ - ٤٧)

أى لو كذب علينا لانتقمنا منه أشد الانتقام ، وما استطاع أحد من أهل الأرض أن يحبنا عنه ويمتنعنا منه .

وقال تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

الأنعام (٩٣)

وقال تعالى :

قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً
قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِّىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

الأنعام (١٩)

وهذا الكلام فيه الاخبار بأن الله شهيد على كل شيء ، وأنه تعالى أعظم الشهداء ، وهو مطلع على وعليكم فيما جئتم به عنه .

وتتضمن قوة الكلام متسما به أنه قد أرسلنى الى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن ، فمن بلغه منهم فهو نذير له كما

اخبار القرآن بما مضى :

وفى القرآن العظيم الاخبار عما مضى على الوجه الحق ، وبرهانه ما فى كتب أهل الكتاب من ذلك شاهدا له ، مع كونه نزل على رجل أمى لا يعرف الكتابة ، ولم يعان يوما من الدهر شيئا من علوم الأوائل ، ولا أخبار الماضين ، فلم يفاجأ الناس الا يوحى اليه عما كان من الأخبار النافعة التى ينبغى أن تذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء ، وما كان من أمورهم معهم وكيف نجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتى بمثلها ابد الآبدين ودهر الداهرين . .

ففى مكان تقص القصص موجزة فى غاية البيان والفصاحة . . وتارة تبسط ، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق ، حتى كأن التالى أو السامع مشاهد لما كان ، حاضر له ، معاين للخير نفسه كما قال تعالى :

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

القصص (٤٦)

وقال تعالى :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ
أَقْلَمُوا لَهُمْ يَكْفُلْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
آل عمران (٤٤)

قال تعالى :

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هود (١٧)

ففى هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملائكته
وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية ، كالسموات والأرضين
وما بينهما وما فيهن ، أمور عظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة
القطعية المرشدة الى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح ..
كما قال تعالى :

وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

الاسراء (٨٩)

وقال تعالى :

وَنَبِّكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾
العنكبوت (٤٣)

وقال تعالى :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنَّا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

الزمر (٢٧ - ٢٨)

وقال تعالى فى سورة يوسف :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾
وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٤﴾

يوسف (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١)

وقال تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا يُنَادِيهِمْ رَبُّهُمْ أَوَلَمْ يَأْتِهِم بِبَيِّنَةٍ مَّا فِي
الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾

طه (١٣٣)

وقال تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

فصلت (٥٢ ، ٥٣)

وعد الله تعالى أنه سيظهر الآيات ٠٠ القرآن وصدقته ،
وصدق من جاء به مما يخلقه فى الآفاق من الآيات الدالة على
صدق هذا الكتاب ، وفى نفس المنكرين المكذبين ما فيه حجة
عليهم وبرهان قاطع لشبههم ، حتى يستيقنوا أنه منزل من
عند الله على لسان الصادق ٠

ثم أرشد الى دليل مستقل بقوله (أولم يكف بربك أنه
على كل شىء شهيد) أى فى العلم بأن الله يطلع على هذا الأمر
كفاية فى صدق المخبر عنه ، اذ لو كان مفترى عليه لعاجله
بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك ٠

اخبار القرآن عما يقع فى المستقبل :

وفى هذا القرآن اخبار عما وقع فى المستقبل طبق
ما وقع سواء بسواء ، وكذلك فى الأحاديث حسب ما قررناه
فى كتابنا التفسير ، وما سنذكره من الملاحم والفتن ٠

كقوله تعالى :

عَلِمَ
أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاَقْرَبُ وَآمَنُ
مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ
أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

المزمل (٢٠)

وهذه السورة من أوائل ما نزل بمكة ، وكذلك قوله تعالى في سورة القمر وهي مكية بلا خلاف :

سَيَهْنَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ

الذُّبُرُ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾

القمر (٤٥ ، ٤٦)

وقع مصداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك . . الى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة . . وسيأتى فصل فيما أخبر به من الأمور التي وقعت بعده - عليه السلام - طبق ما أخبر به *

القرآن وأحكامه العادلة :

وفي القرآن الأحكام العادلة أمرا ونهيا . . المشتملة على الحكمة البالغة التي اذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام انما أنزلها العالم بالفيبيات ، الرحيم بعباده ، الذي يعاملهم بلطفه ورحمته واحسانه *

قال تعالى :

وَمِمَّا كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا (١١٥)

الانعام (١١٥)

أى صدقا فى الأخبار وعدلا فى الأوامر والنواهي *

وقال تعالى :

الرَّكِبِ أَحْكَمَتْ أَيْتُهُ وَهُمُ فُصِّلَتْ مِنَ الَّذِينَ خَيْرٌ ﴿١﴾

هود (١)

وقال تعالى :

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

الفتح (٢٨)

أى العلم النافع والعمل الصالح . . وهكذا روى عن
هلى بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال لكميل بن زياد
هو كتاب الله ، فيه خبر ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، ونبا
ما بعدكم . .

فالقرآن الكريم معجز من وجوه كثيرة : من فصاحته ،
وبلاغته ، ونظمه ، وتراكيبه ، وأساليبه ، وما تضمنه من
الأخبار الماضية والمستقبلية ، وما اشتمل عليه من الأحكام
المحكمة الجليلة . . والتحدى ببلاغة الفاظه يحض فصحاء
العرب على التحدى بما اشتمل عليه من المعانى الصحيحة ،
- وهى أعظم فى التحدى عند كثير من العلماء - يعم جميع أهل
الأرض من الملتين : أهل الكتاب ، وغيرهم من عقلاء اليونان
والهند والغرب والقطب . . وغيرهم من أصناف بنى آدم فى
سائر الأقطار والأمصار .

الرد على من قال بخلق القرآن :

وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف
دواعى الكفرة عن معارضته مع انكار ذلك ، أو هو سلب
قدرتهم على ذلك ، نقول باطل . . وهو مفرغ على اعتقادهم
أن القرآن مخلوق خلقه الله فى بعض الأجرام ، ولا فرق
عندهم بين مخلوق ومخلوق !!

وقولهم هذا كفر وباطل وليس مطابقا لما فى نفس
الأمر - بل القرآن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به كما شاء
تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علوا كبيرا . . . فالخلق
كله لله .

القرآن حجة الله البالغة الى يوم القيامة :

وهذا القرآن الذى يبلغه الرسول ﷺ عن الله أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله ﷺ وأساليب كلامه — عليه السلام — المحفوظة عنه بالسند الصحيح اليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه فى فصاحته وبلاغته ، فيما يرويه من المعانى بالفاظه الشريفة . . بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين ، وهلم جرا . الى زماننا .

وعلماء السلف أفصح وأعلم وأقل تكلفا فيما يروونه من المعانى بالفاظهم من علماء الخلف . . وهذا يشهد من له ذوق بكلام الناس ، كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب فى زمن الجاهلية وبين أشعار من جاء بعد ذلك .

ولهذا جاء الحديث الثابت فى هذا المعنى وهو فيما رواه الامام أحمد عن أبى هريرة — رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (ما من الأنبياء نبي الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله — عز وجل — الى ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الليث بن سعد .

وبمعنى هذا : أن الأنبياء — عليهم السلام — كل منهم قد أوتى من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ، ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث اليهم ، سواء آمنوا به ففازوا بثواب ايمانهم ، أو جحدوا فاستحقوا العقوبة .

وقوله : (وانما كان الذى أوتيت) أى جله وأعظمه ، الوحي الذى أوحاه اليه ، وهو القرآن ، الحجة المستمرة الدائمة القائمة فى زمانه وبعده . . فان البراهين التى

كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ، ولم يبق منها
الا الخبر عنها .

وأما القرآن وهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع من
رسول الله ﷺ فحجة الله قائمة به في حياته عليه السلام
— وبعد وفاته — ولهذا قال ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا
يوم القيامة (أى لاستمرار ما أتانى الله من الحجة البالغة
والبراهين الدامغة ، فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء
تبعا .

(٢) أخلاقه — صلى الله عليه وسلم — :

ومن الدلائل المعنوية . أخلاقه — عليه السلام —
الطاهرة ، وخلقه الكامل ، وشجاعته ، وحلمه وكرمه ،
وزهده ، وقناعاته ، وجميل صحبته ، وصدقه ، وأمانته ،
وتقواه ، وعبادته ، كرم أصله ، وطيب مولده ، ومنشؤه
ومرباه .

وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية
— رحمه الله — في كتابه الذى رد فيه على فرق النصارى
واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم ، فانه ذكر
في آخره : دلائل النبوة ، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة
منتجة كلاما بليغا يخضع له كل من تأمله وفهمه . . قال في
آخر الكتاب المذكور :

وسيرة الرسول ﷺ من آياته ، أى من دلائل نبوته ،
قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، ودينهم من
آياته ، وكرامات صالحى أمته من آياته .

وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد الى أن بعث :
ومن حيث بعث الى أن مات وتدبر نسبه وبلده وأصله
وفصله . . فانه كان من أشرف أهل الأرض نسبا ، من
صميم سلالة ابراهيم الذى جعل الله في ذريته النبوة

والكتاب . . فلم يأت بعد ابراهيم نبي الا من ذريته . . وجعل الله له ابنين : اسماعيل واسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا . . وبشر في التوراة بما يكون من ولد اسماعيل ، ولم يكن من ولد اسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره - ودعا ابراهيم لذرية اسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولا منهم .

ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بنى ابراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذي بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ، ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم ، مذكورا في كتب الأنبياء وبأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر ومكارم الأخلاق ، والعدل وترك الفواحش والظلم . . مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة . . ولا يعرف له شيء يعاب ، لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه . ولا جرب عليه كذب قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ خلقه وصورته في أحسن صورة وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله . . وكان أميا من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والانجيل . . ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها . ولم يدع نبوة الى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره . . وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله . . ثم اتبعه اتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس . وكذبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء واتباعهم والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم اياها ، ولا كان

له سيف بل كان السيف والجاه والمال أعداءه . . وقد آذوا
أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن
دينهم . لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة .

وكانت مكة بحجها العرب من عهد ابراهيم - عليه
السلام - فيجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج اليهم
يبلغهم الرسالة ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من
تكذيب المكذب ، جفاء الجافى ، واعراض المعرض ، الى أن
اجتمع بأهل يثرب ، وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا
أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر
الذى يخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره
أيضا ما عرفوا به مكانته فان أمره كان قد انتشر وظهر في
بضع عشرة سنة ، فأمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة
أصحابه الى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه
الى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ، ليس فيهم من آمن
برغبة دنيوية ولا برهبة الا قليلا من الأنصار أسلموا في
الظاهر ثم حسن اسلام بعضهم .

ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر
الله على أكمل طريقة وأتمها ، من الصدق والعدل والوفاء ،
لا يحفظ له كذبة واحدة ، ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ،
بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف
الأحوال من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغنى وفقر ، وقدرة
وعجز ، وتمكن وضعف وقلة وكثرة ، وظهور على العدو
تارة ، وظهور العدو تارة أخرى ، وهو على ذلك كله لازم
لأكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض
العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار
الكهان وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء
المحرمة ، وقطيعة الأرحام . . لا يعرفون آخرة ولا معادا
فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى
أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : « ما كان
الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء » !!

وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم * *
تعرف العقلاء فوق ما بين الأمرين ، وهو ﷺ مع ظهور
أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمتهم له على الأنفس والأموال * *
مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولا شاة ولا بعيرا
إلا بلغته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا
(الوسق : مكيلة معلومة وهى ستون صاغا والصاغ خمسة
أرطال وثلاث) من شعير ابتاعها لأهله * * وكان بيده عقار
ينفق منه على أهله والباقي يصرفه فى مصالح المسلمين * *
فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك * وهو فى
كل وقت يظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول
وضعه * ويخبرهم بما كان وما سيكون ، ويأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم
الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئا بعد شيء حتى أكمل الله دينه
الذى بعثه به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، بل لم يبق
معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر
تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه * * لم يأت بشيء ففيل :
ليته لم يأمر به * * ولا نهى عن شيء ففيل * ليته لم ينه عنه
* * وأحل لهم الطيبات ، لم يحرم منها شيئا كما حرم فى
شريعة غيره * * وحرم الخبائث ، لم يحل منها شيئا كما
استحل غيره *

وجمع محاسن ما عليه الأمم * * فلا يذكر فى التوراة
والإنجيل والزبور نوع من الخير عن الله وعن الملائكة وعن
اليوم الآخر ، إلا قد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء
ليست فى الكتب ، وليس فى الكتب إيجاب لعدل ولا قضاء
بفضل ، وندب إلى الفضائل وترغيب فى الحسنات ، إلا وقد
جاء به ، وبما هو أحسن منه *

وإذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات
غيره من الأمم ظهر فضل علمهم * * وإذا قيس دينهم
وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ، ظهر أنهم أدين من غيرهم ،
وإذا قيس بشجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على

المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا . .
واذا قيس سخاؤهم وبرهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، ظهر
أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

بم نالت أمة محمد كل هذه الفضائل ؟

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذي
أمرهم بها . . لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ،
كما جاء المسيح - عليه السلام - بتكميل شريعة التوراة . .
فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم : بعضها من التوراة
وبعضها من الزبور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من
المسيح ، وبعضها ممن بعده من الحواريين ومن بعد الحواريين .
وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا - لما
غيروا من دين المسيح في دين المسيح - أمورا من أمور
الكفار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرءون كتابا ، بل
عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والانجيل
والزبور إلا من جهته . . هو الذي يأمرهم أن يؤمنوا بجميع
الأنبياء ، ويقرءوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم
عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل . . فقال تعالى في الكتاب
الذي جاء به :

وقال تعالى :

قُلْ أَتَمَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ
أَتَدَّوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

البقرة (١٣٦ ، ١٣٧)

وقال تعالى :

إِٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ
مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ اِٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا اِنْ نَسِينَا
اَوْ اَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِيْنَ
مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ لَنَا
وَارْحَمْنَا اَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِيْنَ ﴿٢٨٦﴾

خاتمة البقرة (٢٨٥ ، ٢٨٦)

وأتمته — عليه السلام — لا يستحلون أن يستحدثوا شيئاً من الدين غير ما جاء به ، ولا يبتدعوا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله * * لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا أنه باطل كذبوه ، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الاتحاد والابتداع * .

وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ، وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم * * ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، الظاهرين الى قيام الساعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ * .

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » •

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما ، ودين محمد ﷺ خصوصا ومن خالف فى هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما • • ليسوا كالتصارى الذين أبدعوا ديننا ، قام به أكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم ، ودان به جمهورهم • • وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء • • والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح ، فمن أتبع الرسل حصلت له سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وانما دخل فى ابداع من قصر فى اتباع الأنبياء علما وعملا •

ولما بعث محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته ، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ﷺ أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمة أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية والعملية • • ومعلوم أن كل كمال فى الفرع المتعلم هو فى الأصل المعلم ، وهذا يقتضى أنه - عليه السلام - كان أكمل الناس علما ودينا •

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا فى قوله (انى رسول الله اليكم جميعا) •

قال تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

الاعراف (١٥٨)

لم يكن كاذبا مفتريا ، فان هذا القول لا يقوله الا من هو من خيار الناس وأكملهم ان كان صادقا ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم ان كان كاذبا . . وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف لغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا في قوله (انى رسول الله اليكم جميعا) ، لأن الذى لم يكن صادقا : اما أن يكون متعمدا للكذب أو مخطئا . . والأول يوحى انه كان ظلما غاويا . . والثانى يقتضى أنه كان جاهلا مختالا .

تنزيه الله - تعالى - لنبيه عن الكذب والخطأ :

ومحمد ﷺ كان علمه ينافى جهله ، وكان دينه ينافى تعمد الكذب . . فالعلم بصفاته سيلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم . . واذا انتفى هذا وذاك تعين انه كان صادقا عالما بأنه صادق ، ولهذا فخره الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى :

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤

النجم (١ - ٤)

وقال تعالى عن الملك الذى جاء به :

مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَنَا هُوَ أَقْبَرَهُ ۝٢١

التكوير (١٩ - ٢١)

ثم قال عنه :

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ ﴿٢٣﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٥﴾ أَفَأَصْبَحْنَا مَاءً صَبًّا ﴿٢٦﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٧﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٨﴾

التكوير (٢٢ - ٢٧)

وقال تعالى :

وَإِنَّهُ لَكُنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
الشعراء (١٩٢ - ١٩٥)

الى قوله :

هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ
الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ
كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

الشعراء (٢٢١ - ٢٢٣)

بين سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه
ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر وهو الكذب
والفجور ، ولا يقصد الصدق والعدل . . فلا يقترب إلا بمن
فيه كذب : أما عمداً وأما خطأً وفجوراً أيضاً . . فإن الخطأ
فى الدين هو من الشيطان أيضاً كما قال ابن مسعود لما سئل
عن مسألة : أقول فيها برأى ، فإن كان صواباً فمن الله ،

وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه •
 فان رسول الله ﷺ برىء ممن نزل الشياطين عليه فى العمد
 والخطأ ، بخلاف غير الرسول فانه قد يخطىء ويكون خطؤه
 من الشيطان وان كان خطؤه مغفورا له • • فاذا لم يعرف له
 خبر أخبر به كان فيه مخطئا ، ولا أمر أمر به كان فيه
 فاجرا ، علم أن الشيطان لم ينزل عليه وانما ينزل عليه
 ملك كريم •

ولهذا قال فى الآية الأخرى عن النبى ﷺ :

سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
 فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ
 وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ
 ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَامُونَ ﴿٤٣﴾

القلم (٤٠ - ٤٣)

انتهى ما ذكره ، وهذا عين ما أورده بحروفه •

ثانيا : دلائل النبوة الحسية :

(المشاهدة بالأبصار)

وفى هذا الباب قسم الحافظ ابن كثير - رحمه الله
 تعالى - الدلائل الحسية الى سماوية وأرضية •

أولا : الدلائل السماوية :

١ - انشقاق القمر :

قال - رحمه الله تعالى - ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين . . قال الله تعالى :

اقْتَرَبَ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَابْعَثُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمْمٍ لِّسِحْرِ كَافٍ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُخَفِّفُونَ ۚ

النَّازِعَاتُ

القمر (١ - ٥)

وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة :

● رواية أنس بن مالك :

روى الامام أحمد عن أنس قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة فرقتين ، فقال : (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم .

وروى البخارى عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم التمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجاه فى الصحيحين . .

● رواية جبير بن مطعم :

روى الامام أحمد عن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل ، وفرقة على هذا الجبل . فقالوا : سحرنا محمد . .

فقالوا : ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس . . تفرد به أحمد .

● رواية حذيفة بن اليمان :

روى أبو جعفر بن جرير عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : نزلنا المدائن ، فكننا منها على فرسخ (مقياس قديم من مقاييس الطول ، يقدر بثلاثة أميال) * فجاءت الجمعة ، فحضر أبي وحضرت معه . * فخطبنا حذيفة فقال : ان الله تعالى يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) ، ألا وان الساعة قد اقتربت ، ألا وان القمر قد انشق ، ألا وان الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وان اليوم المضمار وغدا السباق .

فقلت لأبي : أتستبقي الناس غدا ؟

فقال : يا بني انك جاهل ، انما هو السباق بالأعمال .

ثم جاءت الجمعة الأخرى ، فحضرها ، فخطب حذيفة ، فقال : ألا ان الله يقول :

(اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وان الدنيا قد آذنت بفراق . * ورواه أبو زرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة من غير وجه ، وفيه : ألا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ ألا وان اليوم المضمار وغدا السباق ، ألا وان الغاية النار ، والسابق من سبق الى الجنة .

● رواية عبد الله بن عباس :

روى النجاشي عن عبد الله بن عباس قال : انشق القمر في زمان النبي ﷺ ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن أبي ربيعة .

● رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب :

عن عبد الله بن عمر في قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقين : فلق من دون الجبل ، وفلق من خلف الجبل . * فقال رسول الله ﷺ (اللهم اشهد) .

● رواية عبد الله بن مسعود :

روى الامام أحمد عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا اليه فقال رسول الله ﷺ (اشهدوا) .

رواه البخارى ومسلم عن حديث سفيان بن عيينة .
وروى البيهقى عن عبد الله قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقالت كفار قريش من أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبى كبشة ، انظروا المسافرين ، فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به .

قال : فسئل السفار - وقدموا من كل وجه - فقالوا : رأيناه .

ورواه ابن جرير وزاد : فأنزل الله (اقتربت الساعة وانشق القمر) .

وروى ابن جرير عن ابن سيرين قال : نبئت أن ابن مسعود كان يقول : لقد انشق القمر فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه كان يقول : خمس قد مضين :

الروم - واللزام - والبطشة - والدخان - والقمر .

● كيف انشق القمر ؟ ولم لم ينتشر

هذا الأمر فى جميع أقطار الأرض ؟

وما يذكره بعض القصاص من أن القمر دخل فى جيب النبى ﷺ وخرج من كفه - ونحو هذا الكلام فليس له أصل يعتمد عليه . . والقمر فى حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين ، وسارت احدهما حتى صارت وراء جبل حراء - والأخرى من الناحية الأخرى - وصار الجبل بينهما وكلتا الفرقتين فى السماء وأهل مكة ينظرون الى ذلك .

وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم .
فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما
شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

فإن قيل : فلم لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض ؟

فالجواب : ومن ينفي ذلك ؟ . . ولكن تطاول العهد
والكفرة يجحدون بآيات الله ، ولعلمهم لما أخبروا أن هذا كان
آية لهذا النبي المبغوث ، تداعت أراؤهم الفاسدة على كتمانها
وتناسيها على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا
هيكلا بالهند مكتوبا عليه : أنه بنى في الليلة التي انشبق
فيها القمر .

ثم لما كان انشقاق القمر ليلا قد يخفى أمره على كثير من
الناس لأمر مانعة من مشاهدته في تلك الساعة من غيوم
متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم ، ولنوم كثير منهم ،
أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير
ذلك من الأمور والله أعلم .

حديث رد الشمس حديث موضوع :

فأما حديث رد الشمس بعد مغيبها ، فقد أنبأني شيخنا
المسند الرحالة بهاء الدين القاسم بن المظفر بن تاج الأمناء
ابن عساكر ، فيما رواه عن أسماء بنت عميس قالت : كان
رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي ، فلم يصل
العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ صليت
العصر ؟ ، قال . . لا . . فقال النبي ﷺ « اللهم إنه كان في
طاعتك وطاعة نبيك ، فأردد عليه الشمس » .

قالت أسماء : فرأيتهما غربت ثم رأيتهما طلعت بعد
ما غربت .

وقد رواه الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات ،
وقال : هذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ،

ففيه : أحمد بن داود ، ليس بشيء ، قال الدارقطني : متروك كذاب ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث . وفيه عمار ابن مسطر ، قال فيه العقيلي : كان يحدث عن الثقات بالمناكير ، وقال ابن عدى : متروك الحديث . وفيه فضل ابن مرزوق قد ضعفه يحيى ، وقال عنه ابن حبان : يروى الموضوعات ويخطئ عن الثقات ، وبه قال الحافظ ابن عساكر .

وروى ابن عساكر أيضا عن أبي عروة بن عبد الله بن قشير قال : دخلت على فاطمة بنت علي فرأيت في عنقها خريزة ، ورأيت في يديها مسكتين غليظتين (المسكة : السوار من القرن والعاج) . وهي عجوز كبير . فقلت لها : ما هذا ؟ فقالت : انه يكره للمرأة ان تتشبه بالرجال . ثم ان أسماء بنت عميس حدثتها ان علي بن أبي طالب رفع الى النبي ﷺ وقد أوحى اليه ، فجعله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس يقول : غابت أو كادت تغيب ثم ان النبي ﷺ سري عنه فقال « أصليت يا علي » ؟ قال لا .

فقال النبي ﷺ « رد علي علي الشمس » . فرجعت حتى بلغت نصف المسجد . قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجاهيل .

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات : وقد روى ابن شاهين هذا الحديث عن ابن عقدة فذكره ، ثم قال : وهذا باطل ، والمتهم به ابن عقدة ، فانه كان رافضا (الرافضة فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة) يحدث بمثالب الصحابة . قال الخطيب : حدثنا علي بن محمد بن نصر سمعت حمزة بن يوسف يقول : كان ابن عقدة يجامع يرائي على مثالب الصحابة أو قال الشيخين . فتركته فقال الدارقطني : كان ابن عقدة رجل سوء . وقال ابن عدى سمعت أبا بكر بن غالب يقول : ابن عقدة لا يتدين بالحديث ، لأنه كان يحمل شيوخا بالكوفة على الكذب فيسوى لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها ، وقد بينا كذبه من غير شيخ بالكوفة .

وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ « أن الشمس لم تحبس
عن أحد الا ليوشع » .

قلت : وهذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه ،
فلا تخلو واحدة منها عن شيعي ، ومجهول الحال ، وشيعي
ومتروك ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد اذا اتصل
سنده ، لأنه من باب ما تتوافر الدواعي على نقله ، فلا بد من
نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك .

ونحن لا ننكر هذا في قدرة الله تعالى ، وبالنسبة الى
جناب رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح أنها ردت ليوشع
ابن نون ، وذلك يوم حاصر بيت المقدس ، واتفق ذلك في
آخر يوم الجمعة ، وكانوا لا يقاتلون يوم السبت ، فنظر الى
الشمس وقد تنصفت للغروب فقال :

انك مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم أحبسها على ، فحبسها
الله عليه حتى فتحوها ، ورسول الله ﷺ أعظم جاها وأجل
منصبا وأعلى قدرا من يوشع بن نون بل من سائر الأنبياء على
الاطلاق ، ولكن ما نقول الا ما صح عندنا ، ولا نسند اليه
ما ليس بصحيح ، ولو صح لكننا في أول القائلين به ،
والمعتقدين له وبالله المستعان .

الرد على الروافض الذين قالوا بحديث رد الشمس :

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه
البخاري في كتابه « اثبات امامة أبي بكر الصديق » فان قال
قائل من الروافض : ان أفضل فضيلة لأبي الحسن وأدل دليل
على امامته ، ما روى عن أسماء بنت عميس قالت : كان رسول
الله ﷺ يوحى اليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب فلم
يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ لعلي :
صليت ؟ قال لا . . فقال رسول الله ﷺ « اللهم انه
كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس » .

قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما
غربت .

قيل له : كيف لنا لو صح هذا الحديث فنحتج على مخالفتنا
من اليهود والنصارى ؟

ولكن الحديث ضعيف جدا لا أصل له ، وهذا مما كتبت
أيدي الروافض ، ولو ردت الشمس بعدما غربت لرآها
المؤمن والكافر ، ونقلوا إلينا أنه في يوم كذا من شهر كذا
في سنة كذا ردت الشمس بعدما غربت !!

لم يقال للروافض : أيجوز أن ترد الشمس لأبي الحسن
حين فاتته صلاة العصر ، ولا ترد لرسول الله ﷺ ولجميع
المهاجرين والأنصار وعلى فيهم ، حين فاتتهم صلاة الظهر
والعصر والمغرب يوم الخندق ؟ !!

قال : وأيضا مرة أخرى عرس رسول الله ﷺ بالمهاجرين
والأنصار حين قفل (رجع) من غزوة خيبر ، فذكر نومهم
عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس

قال : فلم يرد الليل على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة
قال ولو كان هذا فضلا أعطيه رسول الله ﷺ وما كان ليمنع
رسوله شرفا وفضلا : يعنى أعطيه على بن أبي طالب .

ثم قال : وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : قلت
لحماد بن عبيد الطنافسي : ما تقول فيمن يقول : رجعت
الشمس على بن أبي طالب حتى صلى العصر ؟

فقال : من قال هذا فقد كذب .

وقال إبراهيم بن يعقوب : سألت بعلي بن عبيد الطنافسي
قلت : ان ناسا عندنا يقولون : ان عليا وصي رسول الله ﷺ
ورجعت عليه الشمس . فقال : كذب هذا كله .

٢ - استسقاؤه - عليه السلام - لأمته حين تأخر المطر :

ومما يتعلق بالآيات السماوية فى باب دلائل النبوة :
استسقاؤه - عليه السلام - ربه - عز وجل - لأمته حين
تأخر المطر ، فأجابه الى سؤاله سريعا ، بحيث لم ينزل عن
منبره الا والمطر يتحادر على لحيته - عليه السلام - ، وكذا
ذهاب الغيم .

روى البخارى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار
عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وروى البخارى عن سالم عن أبيه : ربما ذكرت قول
الشاعر وأنا أنظر الى وجه رسول الله ﷺ يستسقى ، فما
ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه . ثمال اليتامى عصمة
للأرامل وهو قول أبى طالب .

وروى البخارى أيضا عن أنس بن مالك ان رجلا دخل
المسجد يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ
قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ، فقال : يا رسول
الله هلكت المواشى ، وانقطع السيل ، فادع الله أن يغيثنا .

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال « اللهم اسقنا ،
اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » .

قال أنس : ولا والله ما ترى فى السماء من سحب
ولا قزعة ولا شيئا ، وما بيننا وبين ساع من بيت ولا دار .
فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء
انتشرت ثم أمطرت قال : والله ما رأينا الشمس سبتا . ثم

دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل فادع الله أن يمسخها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والطراب ومنابت الشجر » (والطراب جمع ظرب وهو الجبل المنبسط ليس بالعالى) .

قال : فانقطعت وخرجنا نمشى في الشمس .

قال شريك : فسألت أنسا : أهو الرجل الأول ؟ قال : لا أدري .

وروى البخارى عن أنس قال : بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة ، اذ جاء رجل فقال يا رسول الله قحط المطر ، فادع الله أن يسقينا ، فدعا ، فمطرنا ، فما كدنا أن نصل الى منازلنا ، فمازلنا نمطر الى الجمعة المقبلة . . قال : فقام ذلك الرجل ، أو غيره ، فقال يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا . . فقال رسول الله ﷺ « اللهم حوالينا ولا علينا » قال فرأيت السحاب ينقطع يمينا وشمالا يمطرون ولا يمطر أهل المدينة - تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وفى رواية له أيضا عن أنس قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : هلكت المواشى وتقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا ، فمطرنا من الجمعة الى الجمعة ، ثم جاء رجل فقال تهدمت البيوت وتقطعت السبل ، وهلك المواشى ، فادع الله أن يمسخها فقال :

« اللهم على الآكام والطراب والأودية ومنابت الشجر » فانجابت عن المدينة انجياب الثوب .

- وروى البخارى أيضا عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة (القحط) على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام اعرابى فقال :

يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا •

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وما فى السماء قزعة ، فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال • ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ، فمطرنا يومنا ذلك وفى الغد ، ومن بعد الغد ، والذى يليه الى الجمعة الأخرى • • وقام ذلك الاعرابى - أو قال غيره •

فقال : يا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا •

فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال « اللهم حوالينا ولا علينا » •

قال : فما جعل يشير بيده الى ناحية السحاب الا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة (الفجوة) •

وسال الوادى قناة شهرا ، ولم يجىء واحد من ناحية الا حدث بالجود •

وروى الامام أحمد عن حميد قال : سئل أنس : هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم الجمعة : يا رسول الله قحط المطر ، وأجدبت الأرض وهلك المال ، قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض ابطينه فاستسقى ، ولقد رقع يديه فاستسقى ، ولقد رفع يديه وما ترى فى السماء سحابة ، فما قضينا الصلاة حتى ان قريبا الدار الشاب ليهمه الرجوع الى أهله •

قال : فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا : يا رسول الله تهدمت البيوت واحتبست الركبان ، فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة ابن آدم ، وقال « اللهم حوالينا ولا علينا » •

قال فتكشطت عن المدينة *

وروى البيهقي عن أنس بن مالك قال : جاء أعرابي
فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك وما لنا بغير يبسط
ولا صبي يصطبح وأنشد :

أتيناك والعذراء يدمى كيانها
وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقي بكفيه الفتى لاستكانة
من الجوع ضعفا قائما وهو لا يخلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامى والعلهز الغسل
وليس لنا الا اليك فرارنا
وآين فرار الناس الا الى الرسل

قال : فقام رسول الله ﷺ وهو يجرد رداءه ، حتى صعد
المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه * ثم رفع يديه نحو السماء ،
وقال : اللهم اسقنا غيثا فغيثا مريئا مريعا سريعا غدقا
طبقا عاجلا غير راث نافعا غير ضار ، تملأ به الضرع ،
وتنبت به الزرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها وكذلك
تخرجون » *

قال : فوالله ما ريده الى نحره حتى ألقت السماء
بأوراقها ، وجاء أهل البطانة يصيحون : يا رسول الله ،
الفرق الفرق ، فرفع يديه الى السماء وقال : « اللهم حوالينا
ولا علينا » *

فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل *
فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجمه ، ثم قال لله در
أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه ، من ينشد قوله ؟ « فقام
على بن أبي طالب ، فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتهم وبیت الله بذى محمد
ولما نقاتل دونه ونناضل
ونساله حتى نصرع حسوله
ونذهل عن أنبائنا والحلائل
قال : وقام رجل من بنى كنانة فقال :
لك الحمد والحمد ممن شكر
سقيناه بوجهه النبى المطهر
دعانا الله خالقہ دعوة
اليه وأستخفص منه البصر
فلم يك الا كلف الرداء
وأسرع حتى رأينا الدرر
رقاق الموالى عم البقاع
أغاث به الله علينا مضر
وكان كما قال عمه
أبو طالب أبيض ذو عرز
به الله يسقى بصوب الغمام
وهذا العيان كذا الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد
ومن يكفر الله يلقى الغير

قال : فقال رسول الله ﷺ « ان لك شاعرا يحسن فقد أحسنت » وهذا السياق فيه غرابة ولا يشبه ما قدمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس ، فان كان هكذا محفوظا فهو قصة أخرى غير ما تقدم . . والله أعلم .

● وروى البيهقي عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السلمي قال : لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك آتاه وفد بني قزارة فيهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن الحصين ، والحر بن قيس - وهو أصغرهم - ابن أخى عيينه بن حصن ، فنزلوا فى دار رملة بنت الحارث من الأنصار ، وقبلوا على ابل ضعاف عجاف وهم مستنون .

فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالاسلام ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم ، فقاتوا : يا رسول الله أسنتت بلادنا ، واجدبت احيائنا ، وعربت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيثنا ، وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك . . فقال رسول الله ﷺ « ويلك هذا ما شفعت الى ربى ، فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه ؟ لا اله الا الله ، وسع كرسيه السموات والأرض ، وهو يئط (١) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد » ثم قال ﷺ « ان الله يضحك من شفقتكم وأزلكم وقرب غياثكم » .

فقال الاعرابي : أويضحك ربنا يا رسول الله ؟ قال : نعم .

فقال الاعرابي : لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا .

فضحك رسول الله ﷺ من قوله ، فقام فصعد المنبر ، وتكلم بكلام ، ورفع يديه ، وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه فى شىء من الدعاء الا فى الاستسقاء ، ورفع يديه حتى رثى بياض ابطنيه ، وكان مما حفظ من دعائه .

(١) أظ الرحل يئط : يحدث صوتا عند مسير الابل .

« اللهم اسق بلدك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحي
بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طيبا
واسعا ، عاجلا غير آجل ، نافعا غير ضار ، اللهم سقيا رحمة
ولا سقيا عذاب ، ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا
الغيث وانصرنا على الأعداء » .

فقام أبو لبابة عبد المنذر فقال : يا رسول الله ان التمر
فى المرابد - فقال رسول الله ﷺ « اللهم اسقنا » .

فقال أبو لبابة : التمر فى المرابد . . ثلاث مرات .

فقال رسول الله ﷺ « اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة
عريانا فيسد ثعلب مربده بازاره » . .

قال : فلا والله ما فى السماء من قزعة ولا سحب ، وما
بين المسجد وطلع من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سلع
سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت وهم
ينتظرون ، ثم أمطرت . . فوالله ما رأوا الشمس سبتا ،
وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج
التمر منه .

فقال رجل : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت
السبل . . فصعد رسول الله ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى
رأى بياض ابطينه ، ثم قال « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم
على الآكام والظراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » .

فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب . وهذا
السياق يشبه سياق مسلم الملائى عن أنس ، ولبعضه شاهد فى
سنن أبى داود ، وفى حديث أبى رزين العقيلي شاهد لبعض
. . والله أعلم .

الاستسقاء فى غزوة تبوك :

وقد وقع مثل هذا الاستسقاء فى غزوة تبوك فى أثناء الطريق . كما روى عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة .

فقال عمر : خرجنا الى تبوك فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلا ، وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، حتى ان كان أحدها ليذهب فيلتمس الرجل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستقطع ، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى على كبده .

فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع الله لنا .

فقال : أوتعب ذلك ؟ قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر وهذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه .

وقد قال الواقدي : كان مع المسلمين فى هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ، ومثلها من الخيل ، وكانوا ثلاثين ألفا من المقاتلة . قال : ونزل من المطر ماء أغدق الأرض ، حتى صارت الغدران تسكب بعضها فى بعض وذلك فى حمأة القيظ . أى شدة الحر البليغ .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وكم له — عليه السلام — من مثل هذا فى غير ما حديث صحيح .

ولله الحمد ، وروى البخارى عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقنا ، وأنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا .

قال : فيسقون . تفرد به البخارى .

ثانيا : المعجزات الأرضية :

وأما المعجزات الأرضية ، فمنها ما هو متعلق بالجمادات ،
ومنها ما هو متعلق بالحيوانات .

أولا : ما يتعلق بالجمادات من المعجزات السماوية :

فمن المتعلق بالجمادات : تكثيره الماء فى غير ما موطن
على صفات متنوعة ، سنوردها ان شاء الله وبدأنا بذلك لأنه
أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقاؤه واجابة الله .

« نبع الماء من تحت أصابعه ﷺ » .

● حديث أنس بن مالك :

روى البخارى عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله
ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، والتمس الناس الوضوء فلم
يجدوه ، فأتى رسول الله ﷺ باناء ، فوضع رسول الله ﷺ
يده فى ذلك الاناء ، فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء
ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند
آخرهم . وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن
مالك وقال الترمذى : حسن صحيح .

● روى الامام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله
ﷺ خرج ذات يوم لبعض مخارجه ومعه ناس من أصحابه ،
فانطلقوا يسرون ، فحضرت الصلاة ، فلم يجد القوم ، ماء
يتوضئون به فقالوا : يا رسول الله - والله ما نجد ماء نتوضأ
به ، فرأى فى وجوه أصحابه كراهية ذلك فانطلق رجل من
القوم فجاء بقدر من ماء يسير ، فأخذه نبي الله ﷺ فتوضأ منه ،
ثم مد أصابعه الأربع - على القدح ثم قال (هلموا فتوضئوا)

فتوضأ القوم حتى أبلغوا فيما يريدون من الوضوء .
قال الحسن : سئل أنس : كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو نحو ذلك . وهكذا رواه البخاري .

● وروى أحمد من طريق أخرى عن أنس بن مالك قال : نودي للصلاة ، فقام كل قريب الدار في المسجد وبقي من كان أهله نائي الدار ، فأتى رسول الله ﷺ بمنضوب من حجارة وصخر وبسط كفه فيه ، قال : فضم أصابعه ، قال : فتوضأ بقيتهم . قال حميد : وسئل أنس كم كانوا ؟ قال ثمانين أو زيادة .

— وفي رواية للامام أحمد بن أنس أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء ، فأتى باناء فيه ماء لا يغمر أصابعه ، فأمر أصحابه أن يتوضئوا ، فوضع كفه في الماء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم . قال : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة وهكذا رواه مسلم .

● حديث جابر بن عبد الله :

روى الامام أحمد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : شكا أصحاب رسول الله ﷺ اليه العطش قال : فدعا بعس فصب فيه شيء من ماء ، فوضع رسول الله ﷺ فيه يده ، وقال « استقوا » . فاستقى الناس . قال : فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله ﷺ تفرد به أحمد من هذا الوجه .

● نبع الماء من بئر الحديبية :

روى البخاري عن البراء بن عازب قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر ، فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا وروت — أو صدرت — ركائبنا .

— وزوى الامام أحمد بن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى مسير ، فاتينا على ركي ذمة يعنى قليلة الماء ، قال : فنزل فيها ستة أنا سادسهم حاجة ، فأدليت اليها دلو . . قال : رسول الله ﷺ على شفة الركي ، فجعلنا فيها نصفها او قرب ثلثيها ، فرفعت الى رسول الله ﷺ .

قال البراء : فملت بانائي على أجد شيئا أجعله فى حلقى ، فما وجدت ، فرفعت الدلو الى رسول الله ﷺ ، فغمس يده فيها فقال ما شاء الله له أن يقول ثم أعيدت اليها الدلو بما فيها ، قال فرايت أحدها أخرج بثوب خشية الفرق . قال : ثم ساحت ، يعنى جرت نهرا تفرد به الامام أحمد ، واسناده جيد قوى ، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم .

رابعاً : [انقياد الشجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سترته] :

روى مسلم عن جابر عن عبد الله فى حديث طويل قال فيه : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح . . فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته ، فاتبعته باداة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به — فاذا شجرتان بشاطئ الوادى ، فانطلق رسول الله ﷺ الى احدهما فأخذ بغصن من أغصانها . فقال « انقادى على باذن الله » .

فانقادت معه كالبعير المحشوش الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادى على باذن الله » .

فانقادت معه كذلك . . حتى اذا كان بالمنتصف مما بينهما لأم بينهما — يعنى جمعهما . فقال « التما على باذن الله » فالتما قال جابر : فخرجت أعدو مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربى فيبتعد — فجلست أحدث نفسى ، فعانت منى

لفتة فإذا برَسُولِ اللَّهِ ﷺ مقبلا وإذا بالشجرتين قد افترقتا،
فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وقف وقفة فقال برأسه هكذا - وأشار أبو أسماعيل برأسه
يمينا وشمالا - ثم أقبل ، فلما انتهى الى قال :

« يا جابر - هل رأيت مقامي ؟ »

قلت نعم يا رسول الله ، قال « فانطلق الى الشجرتين ،
فاقتطع من كل واحدة منهما غصنا ، فأقبل بهما حتى اذا
قمت مقامي ، فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن يسارك »

قال جابر : فقامت فأخذت حجرا فكسرتة وحسرتة
فانفلق لي ، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما
غصنا ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ
أرسلت غصنا عن يميني وغصنا عن يساري ، ثم لحقته ،
فقلت : قد فعلت يا رسول الله - نعم ذاك ؟ قال : « اني مررت
بقبرين يعذبان ، فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ، مادام
الفصنان رطبين »

قال : فأتينا العسكر ، فقال رسول الله ﷺ يا جابر ،
ناد بوضوء ، فقلت : ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ قال : فقلت :
يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة . . وكان رجل
من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء في الشجاب له على
حماسة من جريد ، قال : فقال لي « انطلق الى فلان ابن فلان
الأنصاري ، فانظر هل في اشجابه من شيء » ؟ قال : فانطلقت
اليه . فنظرت فيها فلم أجد فيها الا قطرة في عزلاء شججين
منها لو أني أفرغه لشربة يابسة . . فأتيت رسول الله ﷺ
فقلت . . يا رسول الله ، اني لم أجد فيها الا قطرة في
عزلاء شجيب منها ، لو أني أفرغه لشربة يابسة . فقال :
« اذهب فأتني به » . . فأتيته به ، فأخذ بيده فجعل يتكلم
بشيء لا أدري ما هو . ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه ، فقال :
« يا جابر ، ناد بجفنه » .

فقلت : يا جفنة الركب . . فأتيت بها تحمل . .
فوضعتها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة
هكذا ، فبسطها وفرق بين أصابعه ، ثم وضعها في قعر
الجفنة ، وقال « خذ يا جابر ، فصب على ، وقل باسم الله » . .
فصببت عليه وقلت : باسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين
أصابع رسول الله ﷺ ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت
. . فقال « يا جابر » « ناد من كل له حاجة بماء » قال :
فأتى الناس فاستقوا حتى ارتوا . . قال : فقلت : هل بقي
أحد له حاجة : فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي
ملأى .

● وعسى الله أن يطعمكم :

وشكا الناس الى رسول الله ﷺ الجوع فقال « عسى الله
أن يطعمكم » فأتينا سيف البحر فزحز البحر زحزة ، فالقى
دابة ، فأورينا (أوقدنا) على شقها النار ، فأطبخنا واشتوينا
وأكلنا حتى شبعنا .

قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان ، حتى عند خمسة ،
في حجاج عينها ، ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعا
من أضلاعه فقوسناه ، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب ،
وأعظم جمل في الركب ، وأعظم كفل في الركب ، فدخل
تحت ما يطأ طيء رأسه .

نبع الماء وتكثيره بين يديه صلى الله عليه وسلم في غزواته
وأسفاره

نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

روى البخارى عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس
يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ ، فجهش
الناس نحوه ، فقال « مالكم » ، قالوا :

ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك . .
فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال
العيون ، فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا
مائة ألف لكفانا . . كنا خمس عشرة مائة .

● تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم :

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نعد
الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله
ﷺ في سفر ، فقل الماء ، فقال « اطلبوا فضلة من ماء » .

فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ، ثم
قال : « حى على الطهور المبارك ، والبركة من الله عز وجل »
قال : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ،
ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

● ساقى القوم آخرهم :

روى الامام أحمد عن أبي قتادة قال : كنا مع رسول الله
ﷺ في سفر ، فقال : « انكم ان لا تدركوا الماء غدا تعطشوا » .

وانطلق سرعان الناس يريدون الماء . . ولزمت رسول
الله ﷺ ، فمالت برسول الله ﷺ راحلته ، فنعمس رسول الله
ﷺ فبدعمته فادعم ، ثم مال فدعمته فادعم ، ثم مال حتى كاد
أن ينحفل عن راحلته فدعمته فانتبه . . فقال « من الرجل ؟ »
قلت : أبو قتادة . . قال « مذ - كم كان سيرك ؟ » ثم قال
منذ الليلة . . قال « حفظك الله كما حفظت رسوله » ثم قال
« لو عرسنا » فمال الى شجرة فنزل فقال « انظر هل ترى
أحدا ؟ » قلت : هذا راكب ، هذان راكبان . . حتى بلغ
سبعة . فقال « احفظوا علينا صلاتنا » .

فتمنا ، فما أيقظنا الا حر الشمس ، فانتبهنا . . فركب
رسول الله ﷺ ، فسارو وسرنا هنيهة ثم ترك فقال « أمعكم

ماء ؟ » قال : قلت : نعم ، معى مياضة فيها شىء من ماء . .
قال « ائتنى بها » . . فأتيته بها ، فقال « مسوا منها » ، مسوا
منها » .

فتوضأ القوم وبقيت جرعة ، فقال « ازدهر بها ،
يا أبا قتادة ، فانه سيكون لها نبأ ثم اذن بلال وصلوا
الركعتين قبل الفجر ثم صلوا الفجر . . ثم ركب وركبنا ،
فقال بعضهم لبعض فرطنا فى صلاتنا . . فقال رسول الله ﷺ
ما تقولون ؟ ان كان امر دنياكم فشأنكم وان كان امر دينكم
فالى) .

قلنا : يا رسول الله ، فرطنا فى صلاتنا . . فقال
« لا تفريط فى النوم انما التفريط فى اليقظة فاذا كان ذلك
فصلوها ومن الخد وقتها » ثم قال « صلوا بالقوم » .

قالوا : انك قلت بالأمس : ان لا تدركوا الماء غدا
تعطشوا ، والناس بالماء . . قال فلما أصبح الناس وقد
فقدوا بنبيهم ، فقال بعضهم لبعض : ان رسول الله ﷺ بالماء ،
وفى القوم أبو بكر وعمر ، فقالا : أيها الناس ، ان رسول
الله ﷺ لم يكن ليسبقكم الى الماء ويخلفكم ، وان يطع الناس
أيا بكر وعمر يرشدوا ، قالها ثلاث ، فلما اشتدت الظهيرة رفع
لهم رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، هلكننا عطشا ،
تقطعت الأعناق . . فقال « لا هلك عليكم » ثم قال « يا أبا
قتادة ائت بالمياضة ، فأتيته بها . . فقال « احل لى عمرى »
يعنى قدحه . .

فحللته فأتيته به ، فجعل يصب فيه ويسقى الناس ،
فازدحم الناس عليه . . فقال رسول الله ﷺ « أيها الناس
أحسنوا الملاء فكلكم سيصدر عن رى » .

فشرب القوم حتى لم يبق غيرى وغير رسول الله ﷺ ،
فصب لى فقال : « اشرب يا أبا قتادة » قال : قلت : اشرب

أنت يا رسول الله . . قال « ان ساقى القوم آخرهم » فشربت
وشرب بعدى ، وبقي فى الميضاة نحو مما كان فيها ، وهم
يومئذ ثلاثمائة .

قال عبد الله : فسمعنى عمران بن حصين وأنا أتحدث
بهذا الحديث فى المسجد الجامع ، فقال من الرجل ؟ ، قلت :
أنا عبد الله بن رباح الأنصارى ، قال : القوم أعلم بحديثهم ،
انظر كيف تحدث ، فانى أحد السبعة تلك الليلة - فلما
فرغت قال : ما كنت أحسب أحدا يحفظ هذا الحديث
غبرى .

● حديث عمران بن حصين فى ذلك :

روى الشيخان عن عمران بن حصين : كنا مع نبي الله
ﷺ فى مسير فأدلجنا (الادلاج : السير الليل كله) ليلتنا ،
حتى اذا كان فى وجه الصبح عرسنا ، فغلبتنا أعيننا حتى
بزغت الشمس فكان أول من استيقظ منا أبو بكر ، وكنا
لا نوقظ نبي الله ﷺ من منامه اذا نام حتى يستيقظ ، ثم
استيقظ عمر ، فقام عند نبي الله ﷺ فجعل يكبر ويرفع
صوته بالتكبير ، حتى استيقظ رسول الله ﷺ ، فلما رفع
رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال « ارتحلوا » . فسارنا
حتى اذا ابيضت الشمس ثم نزل فصلى بنا الغداة ، فاعتزل
رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف قال له رسول الله
ﷺ « يا فلان ، ما منعك أن تصلى معنا ؟ » قال : يا نبي الله
أصابتنى جنابة ، فأمره رسول الله ﷺ أن يتم بالصعيد ،
فصلى ، ثم عجلنى فى ركب بين يديه لطلب الماء ، وقد عطشنا
عطشا شديدا ، فبينما نحن نسير اذا نحن بامرأة سادلة رجليها
بين مزادتين ، فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : أيهاه ، أيهاه
لا ماء لكم . قلنا : فكم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت مسيرة
يوم وليلة . . فقلنا : انطلقى الى رسول الله ﷺ قالت :

وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها شيئا حتى انطلقنا بها ، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ سألها ، فأخبرته مثل الذى أخبرتنا وأخبرته أنها موتمة ، لها صبيان أيتام ، فأمر بروايتها ، فأنخيت ، فمَج في العزلاوين العلياوين ، ثم بعث براويتها فشربنا ونحن اربعون رجلا عطاشا ، حتى رويننا ، وملأنا كل قربة معنا وادواة ، وغسلنا صاحبنا غير أنا لم نسق بعيرا وهى تكاد تنضرج من الماء (يعنى المزاوتين) ثم قال : هاتوا ما كان عندكم « فجمعنا لها من كيس تمر ، وصر لها صرة ، فقال لها « اذهبي فأطعمي هذا عيالك ، واعلمي أنا لم نرزأ من مائك » فلما أتت أهلها قالت : لقد لقيت أسحر البشر ، أو انه لنبي كما زعم ، كان من أمره زيت وذيت • فهدى الله ذاك القوم بتلك المرأة ، فأسلمت وأسلموا •

● حديث أنس بن مالك :

روى البيهقي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ جهز جيشا الى المشركين فيهم أبو بكر فقال : « جدوا السير ، فان بينكم وبين المشركين ماء ، ان سبق المشركون الى ذلك الماء شق على الناس وعطشتم عطشا شديدا أنتم ودوابكم • قال : وتخلف رسول الله ﷺ فى ثمانية أنا تاسعهم ، وقال لأصحابه : « هل لكم أن نعرس قليلا ثم نلحق بالناس ؟ » قالوا نعم يا رسول الله • • فعرسوا ، فما أيقظهم الا حر الشمس ، فاستيقظ رسول الله ﷺ واستيقظ أصحابه • • فقال لهم « تقدموا واقضوا حاجاتكم » ففعلوا ، ثم رجعوا الى رسول الله ﷺ فقال لهم « هل مع أحد منكم ماء ؟ » •

فقال رجل منهم : يا رسول الله ، معى مية فى شئ من ماء • • قال « فجيء بها » فجاء بها ، فأخذها نبي الله ﷺ فمسحها بكفيه ودعا بالبركة فيها ، وقال لأصحابه « تعالوا فتوضئوا » •

فجاءوا وجعل يصب عليهم رسول الله ﷺ حتى توضئوا
كلهم ، فأذن رجل منهم وأقام ، فصلى رسول الله ﷺ بهم وقال
لصاحب الميضة : « ازدهر بميضاتك فسيكون لها شأن » •

وركب رسول الله ﷺ قبل الناس وقال لأصحابه
« ما ترون الناس فعلوا ؟ » •

قالوا : الله ورسوله أعلم • • فقال لهم : « فيهم أبو بكر
وعمر وسيرشد الناس » •

فقدم الناس وقد سبق المشركون الى ذلك الماء ، فشق
ذلك على الناس وعطشوا عطشا شديدا ركابهم ودوابهم • •
فقال رسول الله ﷺ : « أين صاحب الميضة ؟ » •

قالوا : هو هذا يا رسول الله قال « جئني بميضاتك » فجاء
بها وفيها شيء من ماء فقال لهم : « تعالوا فاشربوا » •

فجعل يصب لهم رسول الله ﷺ حتى شرب الناس كلهم
وسقوا دوابهم وركابهم وملأوا ما كان معهم من أداوة وقربة
ومزادة ، ثم نهض رسول الله ﷺ وأصحابه الى المشركين
فبعث الله فقرب وطوه المشركين وأنزل الله نصره ، وأمكن من
ديارهم ، فقتلوا مقتلة عظيمة ، وأسروا أسارى كثيرة ،
واستاقوا غنائم كثيرة • • ورجع رسول الله ﷺ والناس
وافرين صالحين جريان عين تبوك بالماء •

روى مسلم عن معاذ بن جبل قال : خرجنا مع رسول الله
ﷺ عام غزوة تبوك ، فكان يجمع الصلاة ، فصلى الظهر
والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا ، حتى اذا كان
يوما آخر الصلاة ثم خرج فضلى الظهر والعصر جميعا ، ثم
دخل ثم خرج بعد ذلك ، فصلى المغرب والعشاء جميعا ، ثم
قال : « انكم ستأتون غدا ، ان شاء الله ، عين تبوك ، وانكم
لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس
من مائها شيئا حتى أتى » فجئناها وقد سبقنا اليها رجالان ،
والعين مثل الشراك تبيض بشيء من ماء •

قال : فسألهما رسول الله ﷺ « هل مسستما من مائهما شيئا ؟ » .

قالا : نعم . . فعاتبهما رسول الله ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، قال : ثم غرَفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا ، حتى اجتمع في شيء . . قال : وغسل رسول الله ﷺ يديه ووجهه ، ثم أعاده فيها . . فجرت العين بماء منهمر ، وقال : غزير - شك أبو علي أيهما قال - حتى استقى الناس ثم قال « يوشك يا معاذ ، أن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا » .

● ما ظهر في البئر التي كانت بقباء من بركة :

روى البيهقي عن يحيى بن سعيد أن أنس بن مالك أتاهم بقباء ، فسأله عن بئر هناك . . قال : فدللته عليها .

فقال : لقد كنت هذه وإن الرجل لينضج على حماره فينزع ، فجاء رسول الله ﷺ وأمر بذنوب فسقى ، فاما أن يكون توضأ منه ، واما أن يكون تفل فيه ، ثم أمر به فأعيد في البئر . . قال : فما نزحت بعد . . قال : فرأيته بال ثم جاء فتوضأ ومسح على جبينه ثم صلى .

وروى أبو بكر البزار عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ فنزلنا فسقيناه من بئر لنا في دارنا كانت تسمى الندور ، في الجاهلية ، فتفل فيها فكانت لا تنزع بعد ، ثم قال : لا نعلم هذا يروى إلا من هذا الوجه .

● تكثيره - عليه السلام - الإطعمة للحاجة اليها في غير ما موطن :

ما جاء في تكثيره اللبن لأهل الصفة :

روى الامام أحمد أن أبا هريرة كان يقول : والله انى كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وانى كنت لأشد

الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله عز وجل ، ما سأله الا ليستتبعنى * فلم يفعل * * فمر عمر فسأله عن آية من كتاب الله ، ما سأله الا ليستتبعنى ، فلم يفعل * * فمر أبو القاسم عليه السلام ، فعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، فقال « أبا هريرة » قلت له : لبيك يا رسول الله فقال « ألحق » واستأذنت فأذن لى ، فوجدت لبنا فى قدح * * فقال « من أين لكم هذا اللبن ؟ » *

قالوا : أهدها لنا فلان وآل فلان * * قال « أبا هريرة » قلت لبيك يا رسول الله قال « انطلق الى أهل الصفة ، فادعهم لى ».

قال : وأهل الصفة اضياف الاسلام ، لم يأتوا الى أهل ولا مال ، اذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها وبعث اليهم منها * * قال : وأحزننى ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومى وليلتى ، فقلت : أنا الرسول ، فاذا جاء القوم كنت أنا الذى أعطيهم ، وقلت : ما يبقى لى من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت * * ثم قال « أبا هريرة ! خذ فأعطهم » فأخذت القدح فجعلت أعطيهم ، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى أتيت على آخرهم ، ودفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ القدح فوضعه فى يده وبقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ونظر الى وتبسم ، وقال : « أبا هريرة » فقلت : لبيك رسول الله * * قال « بقيت أنا وأنت » فقلت : صدقت يا رسول الله * * قال « فاقعد فاشرب » * قال فقعدت فشربت ثم قال لى « اشرب » فشربت فما زال يقول لى « اشرب » فأشرب حتى قلت : لا ، والذى بعثك بالحق ما أجد له فى مسلكا * * قال « ناولنى القدح » فرددت اليه القدح فشرب من الفضلة * * ورواه البخارى عن أبى نعيم ، وأخرجه الترمذى وقال : صحيح *

نزول اللبن من ضرع الشاة ببركة مسحة صلى الله عليه وسلم :

روى الامام أحمد عن أبى مسعود قال : كنت أرعى
غنما لعقبة بن أبى معيط ، فمر بى رسول الله ﷺ وأبو بكر
فقال « يا غلام ، هل من لبن ؟ » . . قال : فقلت نعم ولكنى
مؤتمن . . قال « فهل من شاة لم ينشز عليها الفحل ؟ » . .
فأتيته بشاة ، فمسح ضرعها ، فنزل لبن ، فحلبه فى اناء
فشرب وسقى ابا بكر . . ثم قال للضرع : « اقلص » . .
فقلص .

قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسول الله علمنى من
هذا القول ، قال : فمسح رأسى وقال « یرحمک الله ، فانك
عليك معلم » رواه البيهقى ، وقال فيه : فأتيته بعناق جذعة
فاعتقلها ، ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو ، وأتاه أبو بكر
بجفنة تحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب ، ثم قال للضرع
« اقلص » . . فقلص . .

فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول ، فمسح
رأسى وقال « انك غلام معلم » فأخذت عنه سبعين سورة
ما نازعنيها بشر .

حديث أم معبد :

روى البيهقى عن أبى معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ
خرج ليلة هاجر من مكة الى المدينة هو وأبو بكر ، وعامر بن
فهيبة مولى أبى بكر ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ،
فمروا بخيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة
جلدة تحتسى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى فسألوها :
هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها
شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى
وإذا القوم مرحلون فنظر رسول الله ﷺ ، فاذا شاة
فى كيسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت :

شاة خلفها الجهد عن الغنم . . فقال « فهل بها من لبن ؟ »
قالت : هي أجهد من ذلك قال : « أتأذنين لي أن أحلبها » ؟
قالت : ان كان بها حلب فاحلبها .

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله
ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا باناء لها يربض الرهط ،
فتفاجت واجترت ، فحلب فيه ثجا حتى ملأه وأرسله اليها
فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل ، حتى اذا رويوا
شرب آخرهم وقال : « ساقى القوم آخرهم » .

ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء ، فغادره عندها ثم
ارتحلوا . فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعززا
عجافا تتناوه هزلى لا نقى بهن ، منهن قليل ، فلما رأى اللبن
عجب وقال : من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في
البيت والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله ، انه مر بنا رجل
مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

فقال : صفيه لي ، فوالله انى لأراه صاحب قریش الذى
تطلب . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاعة ، حسن الخلق ،
مليح الوجه ، لم تعب ثجلة (ضخامة البطن) ، ولم تزر به
صعلة ، قسيم وسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ،
وفى صوته صعل ، أحور ، أكحل أزج أقرن ، فى عنقه
سطع ، وفى لحيته كثائة ، اذا صمت فعليه الوقار ، واذا
تكلم سما وعلاه البهاء حلو المنطق ، فصل ، لا ترد ولا هذر
كان منطقهم حرزات نظم ينحدرن أبهى الناس وأجمله من بعيد
وأحسن من قريب - ربه لا تنشأه عين من طول ، ولا تقتحمه
عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ،
وأحسنهم قدا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال استمعوا لقوله ،
وان أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفتد .
فقال - أى بعلها : هذا والله صاحب قریش الذى تطلب ،
ولو صادفته لالتمست أن أصبح به ، ولأجتهدن ان وجدت الى
ذلك سبيلا .

وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعه
ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبرد وارتعلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما ذوى الله عنكم
به من فعال لا تجازى وسودد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها
فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاهها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب
يدور لها فى مصدر ثم مورد
وأصبح الناس - يعنى بمكة - وقد فقدوا نبيهم ،
فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ .
قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم
وقد سر من يسرى اليهم ويفتدى
ترحل عن القوم فزالت عقولهم
وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم
وأرشداهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفها
عمى وهداة يهتدون بمهتد ؟

نبي يرى مالا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله في كل مشهد

وان قال في يوم مقالة غائب
فتصديقها في اليوم أو ضحي الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده
بصحبه من يسعد الله يسعد

وليهن بني كعب مكان فتاتهم
ومقعيدها للمسلمين بمرصد

قال عبد الملك بن وهب : فبلغني أن أبا معبد أسلم
وهاجر الى النبي ﷺ .

تكثيره - صلى الله عليه وسلم - السن لأم سليم :

● حديث أنس - رضي الله عنه :

روى الحافظ أبو يعلى عن أنس عن أمه قال : كانت
لها شاة ، فجمعت من سمنها في عكة ، فملأت العكة ، ثم بعثت
بها مع ربيبة . فقالت : يا ربيبة ، أبلغني هذه العكة رسول
الله ﷺ يأتدم بها ، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله
ﷺ فقالت : يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها اليك أم
سليم ، قال : « افرغوا لها عكتها » ففرغت العكة فدفعت
اليها ، فانطلقت بها ، وجاءت وأم سليم ليست في البيت ،
فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة
تقطر ، فقالت أم سليم : يا ربيبة ألسنت أمرتك أن تنطلقني
بها الى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد فعلت ، فان لم تصدقيني ،
فانطلقني فسل رسول الله ﷺ ؟ فانطلقت ومعها ربيبة ،
فقالت : يا رسول الله ، اني أبعث معها اليك بعكة فيها سمن ،
قال « قد فعلت ، قد جاءت » .

قالت : والذى بعثك بالحق ودين الحق انها لملتئة تقطر
سمنا ، فقال لها رسول الله ﷺ « يا أم سليم ، اتعجبين ان كان
الله أطعمك ، كما اطعمت نبيه ؟ كلى وأطعمى ، فقالت فجئت
الى البيت فقسمت فى قعب لنا وكذا وكذا ، وتركت فيها
ما ائتمنا به شهرا او شهرين »

● حديث أوس بن خالد :

روى البيهقى عن أوس بن خالد عن أم أوس البهزية
قالت : سليت سمنا لى فجعلته فى عكة فأهديته لرسول الله
ﷺ فقبله ، وترك فى العكة قليلا ونفخ فيها ، ودعا بالبركة ،
ثم قال « ردوا عليها عكتها » . . فردوها عليها وهى مملوءة
سمنا . . قالت فظننت أن رسول الله ﷺ لم يقبلها ، فجاءت
ولها صراخ ، فقالت : يا رسول الله انما سليت لك لتأكله ،
فعلم أن قد استجيب له ، فقال : « اذهبوا فقولوا لها فلتأكل
سمنها وتدعو بالبركة » . . فأكلت بقية عمر النبی ﷺ
وولاية أبى بكر وولاية عمر وولاية عثمان ، حتى كان من أمر
على ومعاوية ما كان » .

تكملة السمن لأم شريك :

روى البيهقى عن أبى هريرة قال : كانت امرأة من دوس
يقال لها أم شريك ، أسلمت فى رمضان فذكر الحديث فى
هجرتها وصحبة ذلك اليهودى لها ، وأنها عطشت فأبى أن
يسقيها حتى تهود فنامت فرأت فى النوم من يسقيها ،
فاستيقظت وهى ريانة . . فلما جاءت رسول الله ﷺ قصت عليه
القصة ، فخطبها الى نفسها ، فرأت نفسها أقل من ذلك ،
وقالت : بل زوجنى من شئت فزوجها زيدا ، وأمر لها بثلاثين
صاعا ، وقال « كلوا ولا تكيلوا » . . وكانت معها عكة سمن
هدية لرسول الله ﷺ ، فأمرت جاريتها أن تحملها الى رسول
الله ﷺ ، ففرغت وأمرها رسول الله ﷺ اذا أردتها أن
تعلقها ولا توكتها ، فدخلت أم شريك فوجدتها ملأى ، فقالت

للجارية : ألم أمرك أن تذهبي بها الى رسول الله ﷺ ؟ فقالت :
قد فعلت . . فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأمرهم أن
لا يوكئوها . . فلم تزل حتى أوكتها أم شريك ، ثم كالوا
الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء .
ما جاء في سمن أم مالك :

روى مسلم عن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ
في عكة لها سمننا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم
شيء ، فتعتمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه
سمننا ، فما زال يقيم لها آدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبي
ﷺ فقال : « غصرتيها ؟ » . . قالت : نعم . قال « لو تركتها
ما زال قائما » .

وروى مسلم أيضا عن جابر أن رجلا أتى النبي ﷺ
يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه
وامراته وضيئفهما حتى كاله فأتى النبي ﷺ فقال « لو لم
تكله لآكلتم منه ولقام لكم » .

تكثر الطعام بين يديه صلى الله عليه
وسلم وما في ذلك من معجزات :

(١) ضيافة أبي طلحة الأنصاري رسول الله ﷺ وما ظهر
في ذلك اليوم من دلالات النبوة في تكثر الطعام :

روى البخاري عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم
سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه
الجوع ، فهل عندك من شيء ؟

قالت : نعم : فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت
خمارا لها ، فلت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاشتني
بعضه . . ثم أرسلتني الى رسول الله ﷺ . . قال : فذهبت
به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقامت
عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ « أرسلك أبو طلحة ؟ » .
فقلت : نعم . . قال « بطعام ؟ » قلت : نعم .

فقال رسول الله ﷺ لمن معه « قوموا » .. فانطلق ، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : « يا أم سليم » قد جاء رسول الله ﷺ والناس ليس عندنا ما نطعمهم !!

فقلت : الله ورسوله أعلم .. فانطلق أبو طلحة حتى لقني رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله : هلمى يا أم سليم ما عندك؟ ، فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : « ائذن لعشرة » .. فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا . وقد رواه البخاري في موضع آخر من صحيحه ، وسلم من غير وجه عن مالك .

● وروى الامام أحمد عن أنس بن مالك قال : بعثني أبو طلحة الى رسول الله ﷺ لأدعوه ، وقد جعل له طعاما .. فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس .. قال : فنظر الى ، فاستحييت ، فقلت أجب أبا طلحة .. فقال للناس « قوموا » فقال أبو طلحة : يا رسول الله ، انما صنعت شيئا لك قال : فمسها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة ، ثم قال : « أدخل نفرا من أصحابي عشرة » فقال « كلوا » .. فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، وقال « أدخل عشرة » .. فأكلوا حتى شبعوا فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد الا دخل فأكل حتى شبع .. ثم هيأها فاذا هي مثلها حين أكلوا منها . وقد رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي بكر بن شيبه .

● وروى الامام أحمد بن أنس بن مالك قال : أتى أبو طلحة بمدين من شعير ، فأمر به فصنع طعاما ، ثم قال لي : يا أنس ، انطلق أنت رسول الله ﷺ فادعه ، وقد تعلم ما عندنا ، قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده فقلت :

ان آبا طلحة يدعوك الى طعامه ، فقال وقال للناس « قوموا »
 • • فقاموا ، فجئت أمشي بين يديه حتى دخلت على ابي طلحة
 فأخبرته ، قال : فضحكتنا قلت : انى لم أستطع ان ارد على
 رسول الله ﷺ أمره • • فلما انتهى النبي ﷺ الى الباب قال
 لهم « اقعدوا » • • ودخل عاشر عشرة ، فلما دخل أتى
 بالطعام ، تناول فاكل واكل معه القوم حتى شبعوا ، ثم قال
 لهم « قوموا » • • وليدخل عشرة مكانكم • • حتى دخل
 القوم كلهم واكلوا قال : قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا
 نيفا وثمانين • • قال : وفضل لأهل البيت ما أشبعهم وقد
 رواه مسلم فى الأطعمة عن أنس قال : أمر أبو طلحة أم سليم
 قال : اصنعى للنبي ﷺ لنفسه خاصة طعاما يأكل منه ،
 فذكر نحو ما تقدم •

● وروى الامام أحمد من طريق يونس بن محمد عن
 أنس بن مالك ، قال : قالت أم سليم : اذهب الى نبي الله ﷺ
 فقل : ان رأيت أن تتغذى عندنا فافعل ، قال : فجيئته فبلغته -
 « ومن عندي ؟ » فقلت : نعم • • قال : « انهضوا » قال :
 فجئت فدخلت على أم سليم وأنا لندهش لمن أقبل مع رسول
 الله ﷺ قال : فقالت أم سليم : ما صنعت يا أنس ؟

فدخل رسول الله ﷺ على أثر ذلك فقال « هل عندك
 سمن ؟ » قالت : نعم • • قد كان منه عندي عكة فيها شيء من
 سمن • • قال : « فأت بها » • • قالت فجئته بها - ففتح
 رباطها ، ثم قال : « باسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة »
 قالت : فقال « اقلبيها » ، فقلبتها ، فعصرها نبي الله ﷺ
 وهو يسعى ، فأخذ تقطر قطرا ، فأكل منها بضعة وثمانون
 رجلا ، ففضل فضلة فدفعها الى أم سليم فقال : كلى وأطعمى
 جيرانك » ورواه مسلم من طريق حجاج بن الشاعر •

● وروى مسلم من طريق حرملة بن يحيى التجيبى عن
 أنس بن مالك قال : جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته جالسا
 مع أصحابه يحدثهم ، وقد عصب بطنه بعصاة • قال
 أسامة : وأنا أشك « على حجر » - فقلت لبعض أصحابه :

لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ قالوا : من الجوع . .
فذهبت الى ابي طلحة ، وهو زوج أم سليم بنت ملحان ،
فقلت : يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصاية ،
فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة على
أمي فقال : هل من شيء ؟

فقلت : نعم - عندي كسر من خبز وتمر ، فان
جاءنا رسول الله ﷺ اشبعناه ، وان جاء آخر معه قل عنهم . .
ثم ذكر سائر الحديث بقصته .

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك - رضى الله عنه -
أنه شاهد ذلك ، على ما فيه من اختلاف عنه فى بعض حروفه ،
ولكن أصل القصة متواتر لا محالة كما ترى ، والله الحمد .
والمنة .

(٢) حديث جابر وما ظهر يوم الخندق من معجزات وبركة :

روى البخارى عن جابر بن عبد الله قال : انا يوم
الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبى ﷺ
فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق . . فقال «أنا نازل»
. . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق
ذواقا ، فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب فى الكدية فعاد كثيبا
أهيل أو أهيم . . فقلت : يا رسول الله ، ائذن لى الى البيت ،
فقلت لامراتى : رأيت النبى ﷺ شيئا ما كان فى ذلك صير ،
فهل عندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق . فذبحت العناق
وطحننت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة ، ثم جئت النبى
ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنفح
. . فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ،
قال « كم هو » . . فذكرت له ، فقال « كثير طيب ، قل لها :
لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى » .

فقال « قوموا » . . فقام المهاجرون والأنصار ، فلما
دخل على امرأته قال : ويحك ! جاء النبى ﷺ بالمهاجرين

والأنصار ومن معهم .. قالت : هل سألك ؟ قلت نعم .. فقال « ادخلوا ولا تضاعظوا » فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والقدر اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية ، قال : « كل هذا وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة » تفرد به البخارى .

ورواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم ، وفيه : لما علم النبى ﷺ بمقدار الطعام .. قال للمسلمين جميعا « قوموا الى جابر » .. فقاموا .. قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله ، وقلت : جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق !! ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت .. جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان سالك : كم طعامك ؟ قلت : نعم .. قلت الله ورسوله أعلم .

قال : فكشفت عنى غما شديدا .. ودخل رسول الله ﷺ فقال « خذى ودعينى من اللحم » وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ويخمر هذا - ويخمر هذا ، فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنور والقدر أملا ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « كلى وأهدى » .. فلم تزل تأكل وتهدى يومها .. ومن العجب الغريب ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذرى العروى - المعروف بشكر فى كتاب « العجائب الغريبة » فى هذا الحديث فانه أسنده وساقه بطوله ، وذكر فى آخره شيئا غريبا ، فقد روى عن كعب بن مالك قال : أتى جابر بن عبد الله ألى رسول الله ﷺ فعرف فى وجهه الجوع ، فذكر أنه رجع الى منزله فذبح داجنا كانت عندهم وطبخها ، وثرثد تحتها فى جفنة ، وحملها الى رسول الله ﷺ فأمره أن يدعوله الأنصار ، فأدخلهم عليه أرسالا ، فأكلوا كلهم وبقي مثل ما كان .. وكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يأكلوا ولا يكسروا عظما ، ثم انه جمع العظام فى وسط الجفنة فوضع عليها يده ، ثم تكلم بكلام لا أسمعه ، الا أنى أرى شفتيه تتحرك ، فاذا الشاة قد قامت تنفض

أذنيها ، فقال « خذ شاتك يا جابر ، بارك الله لك فيها »
قال : فأخذتها ومضيت ، وانها لتنازعني أذنهما حتى أتيت بها
البيت ، فقالت لى المرأة : ما هذا يا جابر ؟

فقلت : هذه والله شاتنا التى ذبحناها لرسول الله ، دعا
الله فأحياها لنا • فقالت : أنا أشهد أنه رسول الله ، أشهد
أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله •

(٣) تكثيره - صلى الله عليه وسلم -
الطعام فى بيت فاطمة :

روى الحافظ أبو يعلى عن جابر أن رسول الله ﷺ أقام
أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل
أزواجه فلم يصب عند واحدة منهن شيئا ، فأتى فاطمة فقال
« يا بنية ، هل عندك شىء أكله فانى جائع ؟ » • • فقالت :
لا ، والله بأبى أنت وأمى فلما خرج من عندها بعثت اليها
جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها فوضعت فى
جفنة لها وغطت عليها وقالت : لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ
على نفسى ومن عندى - وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة
طعام ، فبعثت حسنا أو حسينا الى رسول الله ﷺ فرجع اليها
فقالت له : بأبى وأمى قد أتى الله بشىء فخبأته لك • • قال :
« هلمى يا بنية » فكشف عن الجفنة ، فاذا هى مملوءة خبز
ولحما ، فلما نظرت اليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله • •
فحمدت الله وصلت على نبيه ﷺ وقدمته الى رسول الله • •
فلما رآه حمد الله وقال : « من أين لك هذا يا بنية ؟ »

قالت : يا أبت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب • • فحمد الله وقال « الحمد لله الذى جعلك
يا بنية شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ، فانها كانت اذا
أرزقها الله شيئا فسئلت عنه قالت : هو من عند الله ، ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب •

فبعث رسول الله ﷺ الى على ، ثم أكل رسول الله ﷺ وعلى
وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج رسول الله ﷺ وأهل
بيته جميعا حتى شبعوا •

قالت : وبقيت الجفنة كما هي . . فأوسعت بقيتها على جميع جيرانها ، وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا . وهذا حديث غريب اسنادا ومتنا .

(٤) تكثيره - صلى الله عليه وسلم - الطعام في بداية الدعوة :

روى البيهقي في الدلائل عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ « وانذر عشيرك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » قال رسول الله ﷺ عرفت أني ان بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره ، فصمت - فجاءني جبريل - عليه السلام ، فقال يا محمد ، ان لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار .

قال علي : فدعاني فقال « يا علي ، ان الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فأصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ، ثم أجمع لي بنى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . . فقدمت اليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله ﷺ منها خذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواصيها وقال « كلوا باسم الله » . . فأكل القوم حتى نهلوا عندما نرى الا آثار أصابعهم ، والله ان كان الرجل لياكل مثلها . . ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم يا علي » - فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله ان كان الرجل ليشرب مثله . . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب لعنه الله فقال :

تهد ما سحركم صاحبكم . . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ « عد لنا مثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فان الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ، ثم جمعتهم له ، وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ،

فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله ان كان الرجل لياكل مثلها . . ثم قال رسول الله ﷺ « اسنقهم يا علي » فجئت بذلك القعب ، فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله . . فلما أراد رسول الله ﷺ ان يكلمهم ، بدره أبو لهب لعنه الله الى الكلام فقال « تهد ما سحركم صاحبكم ؟ » فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ . فلما كان من الغد ، قال رسول الله ﷺ « يا علي ، عبد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له ، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وأيم الله ان كان الرجل لياكل مثلها وlishرب مثلها . . ثم قال رسول الله ﷺ . . يا بني عبد المطلب ، اني والله ما أعلم شأنا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، اني قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة .

(5) مائدة تمد من السماء :

روى الامام أحمد عن سمرة بن جندب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ أتى بقصعة فيها ثريد . . قال : فأكل وأكل القوم ، فلم يزل يتداولونها الى قريب من الظهر ، يأكل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبون . . قال : فقال له رجل : هل كانت تمد بطعام ؟ قال : أما من الأرض فلا الا وان كانت تمد من السماء .

وفى رواية أخرى لأحمد عن سمرة أيضا : أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها الى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون ، قال له رجل : هل كانت تمد ؟ فقال له : فمن أي شيء تعجب ؟ ما كانت تمد الا من هنا ، وأشار الى السماء .

(٦) بركة الطعام في بيت الصديق :

روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وإن النبي ﷺ قال مرة « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » أو كما قال وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبي ﷺ بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة ، قال : فهو أنا وأبي وأمي ، ولا أدري هل قال امرأتى وخادمي بين بيتنا وبيت أبي بكر . . . وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأته : ما أحسبك عن أضيافك ، أو ضيفك ؟ قال : أو ما عشييتهم ؟ قالت : أبوا حتى تجيء قد عرضوا عليهم فغلبوهم . .

قال : فذهبت فاخبتات ، فقال : يا غنثر ! فجدع وسب وقال : كلوا . . [وفي رواية أخرى لا هنيئا] وقال : لا أطعمه أبدا .

قال : وآيم الله ما كنا نأخذ من لقمة الا قريبا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل . . فنظر أبو بكر فإذا هي شيء أو أكثر . . فقال لامرأته :

ما هذا يا أخت بني فراس . قالت لا ، وقرة عيني لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات .

فأكل منها أبو بكر وقال : إنما كان الشيطان ، يعني عينه . . ثم أكل منها لقمة . ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده . قال : وكان بيننا وبين قوم عهد ، فمضى الأجل فتعرفنا اثني عشر رجلا ، مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، غير أنه بعث معهم . . قال : فاكلوا منها أجمعون . . أو كما قال . ورواه أيضا مسلم في صحيحه .

(٧) وكبد شاة تكفى مائة وثلاثين رجلا :

روى الامام أحمد عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال :
كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبي ﷺ « هل مع
أحد منكم طعام ؟ » فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ،
فعبجن ، ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها ، فقال
النبي ﷺ « أبيع أم عطية ؟ أو قال : « أم هبة » ؟ قال : لا ،
بل بيع فاشتري منه شاة ، فصنعت ، وأمر النبي ﷺ بسواد
البطن أن تشوى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة الا قد حز له رسول
الله ﷺ حزة من سواد بطنها . . ان كان شاهدا أعطاهما اياه ،
وان كان غائبا خباها له . . قال : وجعل منها قصعتين قال :
فأكلنا أجمعين وشبعنا وفضل في القصعتين فجعلناه على
البعير . . أو كما قال . وقد أخرجه البخاري ومسلم من
حديث معتمر بن سليمان .

(٨) دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالبركة على فضل الزاد في غزوة تبوك :

روى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله
ﷺ في غزوة غزاها فأرمل فيها المسلمون ، واحتاجوا الى
الطعام ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نحر الابل فأذن لهم . .
فبلغ ذلك عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : فجاء فقال
يا رسول الله ابلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم . ينحرونها ؟ .
بل ادع يا رسول الله بخيرات الزاد فادع الله عز وجل فيها
بالبركة . . قال « أجل » . فدعا بخيرات الزاد ، فجاء
الناس بما بقى معهم فجمعه ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة ،
ودعا بأوعيتهم فملأها وفضل فضل كثير ، فقال رسول الله
ﷺ عند ذلك :

« أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنى عبد الله ورسوله ،
ومن لقي الله عز وجل بهما غير شاك دخل الجنة » ورواه مسلم
والنسائي جميعا من طريق أبى بكر بن أبى النضر .

● وروى الحافظ أبو يعلى عن أبى هريرة أو عن أبى
سعيد - شك الأعمش - قال - لما كانت غزوة تبوك أصاب
الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله لو آذنت لنا فنحرقنا
نواضحنا فأكلنا وأدهنا ؟ قال « افعلوا » . فجاء عمر
فقال : يا رسول الله ان فعلوا قل الظهر ولكن ادعهم بفضل
أزوادهم ، ثم ادع لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فى
ذلك البركة فأمر رسول الله بنطع ، فبسط ودعا بفضل
أزوادهم . . قال . فجعل الرجل يجيء بكف التمر ، والآخر
بالكسرة ، حتى اجتمع على النطع شىء من ذلك يسير ، فدعا
عليه بالبركة ، ثم قال « خذوا فى أوعيتكم » فأخذوا فى
أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء الا ملاءوه ، وأكلوا
حتى شبعوا وفضلت فضلة . . فقال رسول الله ﷺ « أشهد
أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، لا يلقي الله بها غير شاك
فتحتجب عنه الجنة ، وهكذا رواه مسلم أيضا من طريق
سهل بن عثمان .

(٩) ما ظهر من بركة الطعام والماء فى غزوة خيبر :

روى الحافظ أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع قال : كنا مع
رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر ، فأمرنا أن نجتمع ما فى
أزوادنا - يعنى من التمر - فبسط لنا نطعا نشرنا عليه
أزوادنا . . قال : فتمطيت فتطاولت فحزرت - كربضة
شاة ، ونحن أربع عشرة مائة . قال : فأكلنا : ثم تطاولت
فنظرت فحزرت كربضة شاة ، وقال رسول الله ﷺ
« هل من وضوء ؟ » قال . فجاء رجل بنقطة فى أداوته قال :
فقبضها فجعلها فى قدح ، قال : فتوضأنا كلنا فدغفقتها
دغفقة ونحن أربع عشرة مائة قال : فجاء اناس فقالوا :

يا رسول الله ، ألا من وضوء ؟ فقال « قد فرغ الوضوء ، وقد رواه مسلم من طريق أحمد بن يوسف الأزدي » .

(١٠) ما ظهر من المعجزات في حفر الخندق :

روى محمد بن اسحاق أنه حدث أن ابنة البشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة فاعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : آى بنية ، اذهبى الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغذائهما . قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا التمس أبى وخالى ، فقال « تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ » .

قالت : قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى الى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغذيانه . فقال « هاتيه » . قالت : فصبيتها فى كفى رسول الله ﷺ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لانسان عنده : « اصرخ فى أهل الخندق أن هلم الى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه . وأنه ليسقط من أطراف الثوب . هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه البيهقى ومن طريقه .

● وروى ابن اسحاق قال : حدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحتها برقة أخرى قال : ثم ضرب به الثالثة . فلمعت برقة أخرى فضرب . . قال : قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟

قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : قلت : نعم . . قال « أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمى ، وأما

الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة
فان الله فتح على بها الشرق » .

(١١) بركة تمر جابر وسداد دين أبيه :

روى البخارى عن جابر رضى الله عنه أن أباه توفى وعليه
دين ، فأتيت النبي ﷺ ، فقلت : إن أبى ترك عليه ديناً ،
وليس عندي إلا ما يخرج نخلة ، ولا يبلغ ما يخرج سنين
ما عليه ، فانتطلق معى لكى لا يفحش على الغرماء . فمشى
حول بيد من بيادر التمر ، فدعا ، ثم آخر ثم جلس عليه
فقال « انزعوه » فأوفاهم الذى لهم ، وبقي مثل ما أعطاهم .

وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة عن جابر
بألفاظ كثيرة ، وحاصلها : أنه ببركة رسول الله ﷺ ودعائه
له ومشيه فى خائظه وجلوسه على تمره وفى الله دين أبيه ،
وكان قد قتل بأحد ، وجابر كان لا يرجو وفاءه فى ذلك العام
ولا ما بعده ، ومع هذا فضل له من التمر فوق ما كان يؤمله
ويرجوه ، والله الحمد والمنة .

(١٢) بركته - صلى الله عليه وسلم - فى أداء دين سلمان :

روى أحمد عن سلمان قال : لما قلت : وأين تقع هذه
من الذى على يا رسول الله ؟ أخذها فقلبها على لسانه ثم قال
« خذها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم أربعين
أوقية .

(١٣) بركته - صلى الله عليه وسلم - فى مزود أبى هريرة وتمره :

روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : أتيت النبي ﷺ
يوماً بتمررات ، فقلت ادع الله لى فيهن بالبركة قال : فصفهن
بين يديه ، ثم دعا فقال لى « اجعلن فى مزود وأدخل يدك
ولا تنثره » .

قال : فحملت منه كذا وكذا وسقاً فى سبيل الله ، وناكل
ونطعم ، وكان لا يفارق حقوى فلما قتل عثمان - رضى الله

عنه - انقطع عن حقوى فسقط ورواه الترمذى وقال : حسن
غريب من هذا الوجه .

● وفى رواية للبيهقى عن أبى هريرة - رضى الله
عنه - قال : كان رسول الله ﷺ فى غزاة ، فأصابهم عوز
من الطعام ، فقال « يا أبا هريرة ، عندك شيء ؟ » قال :
قلت : شيء من تمر فى مزود لى . قال « جىء به » قال :
فجئت بالمزود قال « هات نطعا » .

فجئت بالنطع فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ،
فاذا هو واحد وعشرون فجعل يضع كل ثمرة ويسمى حتى
اتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجمعه ، فقال « ادع فلانا
وأصحابه » فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ثم قال « ادع فلانا
وأصحابه » وفضل ثم قال لى « اقعد » .

فقعدت ، فأكل وأكلت . . . وفضل تمر فأدخلته فى
المزود ، وقال لى : « يا أبا هريرة ، واذا أردت شيئا فأدخل
يدك وخذه ، ولا تكفأ فيكفى عليك » قال : فما كنت أريد
تمرا الا أدخلت يدي ، فأخذت منه خمسين وسقا فى سبيل
الله . قال . وكان معلقا خلف رحلى ، فوقع فى زمن عثمان ،
فذهب .

● وروى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : أعطانى
رسول الله ﷺ من تمر فجعلته فى مكيل فعلقناه فى سقف
البيت ، فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره اصابة أهل الشام
حيث أغاروا بالمدينة تفرد به أحمد .

(١٤) حديث العرباض بن سارية وما كان
من بركة تمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى الحافظ ابن عساكر عن العرباض بن سارية قال :
كنت ألزم باب رسول الله ﷺ فى الحضر والسفر فرأينا

ليلة ونحن بتبوك ، أو ذهبنا لحاجة فرجعنا الى رسول الله ﷺ وقد تعشى ومن عنده فقال « أين كنت منذ الليلة » فأخبرته ، وطلع جعيل بن سراقة وعبد الله بن معقل المزني ، فكلنا ثلاثة كلنا جائع ، فدخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة فطلب شيئاً نأكله فلم يجده . فنادى بلالاً « هل من شيء ؟ » فأخذ الجرب ينفضها ، فاجتمع سبع تمرات ، فوضعها في صحيفة ووضع عليهن يده وسمى الله ، وقال « كلوا باسم الله » فأكلنا ، فأحصيت أربعاً وخمسين ثمرة ، كلها أعدها ونواها في يدي الأخرى وصاحباي يصفان ما أصنع ، فأكل كل منهما خمسين ثمرة ، ورفعنا أيدينا ، فاذا التمرات السبع كما هن : فقال « يا بلال ارفعهن في جرابك » .

فلما كان الغد وضعهن في الصحيفة وقال « كلوا باسم الله » . . . فأكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ، ثم رفعنا أيدينا وانهن كما هن سبع ، فقال « لولا أني أستحي من ربي عز وجل لأكلت من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة عن آخرنا » . . . فلما رجع الى المدينة طلع غليم من أهل المدينة فدفعهن الى ذلك الغلام ، فانطلق يلوكنهن .

(١٥) لو لم تكله لأكلت منه ما عشت :

روى البيهقي عن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، أنه استعان رسول الله ﷺ في التزويج ، فأنكحه امرأة ، فالتمس شيئاً فلم يجده . . . فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعاً من شعير ، فدفعه رسول الله ﷺ اليه ، قال فطعمنا منه نصف سنة ، ثم أكلناه فوجدناه كما أدخلناه . . . قال نوفل : فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « لو لم تكله لأكلت منه ما عشت » .

● المسلم يشرب في معي واحد ،
والكافر يشرب في سبعة أمعاء :

روى مالك عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف كافر - فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت ، فشرب حلابها * ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه * * ثم انه أصبح فأسلم ، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة ، فحلبت فشرب حلابها * ثم أمر له بأخرى فلم يستتبها * *

فقال رسول الله ﷺ « المؤمن يشرب في معي واحد ،
والكافر يشرب في سبعة أمعاء » *

(١٦) دعاؤه صلى الله عليه وسلم
حين ضافه ضيف ولم يكن عنده طعام :

روى البيهقي عن واثلة بن الاسقع قال : حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا فكنا اذا أفطرنا اتى كل رجل منا رجل من أهل الصفة فانطلق به فعشاء *

فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صياما ، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد ، فانطلقنا الى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذى كان من أمرنا ، فأرسل الى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء ؟ * * فما بقيت منهن امرأة الا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد * * فقال لهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا ، فدعا وقال « اللهم انى أسألك من فضلك ورحمتك ، فانهما بيديك لا يملكها أحد غيرك ، فلم يكن الا ويستأذن يستأذن ، فاذا بشاة مصلية ورغفا ، فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا ، فأكلنا حتى شبعنا ، فقال لنا رسول الله ﷺ « انا سألتنا الله من فضله ورحمته ، فهذا فضله ، وقد ادخر لنا عنده رحمته » *

(١٧) بركة الطعام في بيت عمر :

روى الامام أحمد عن ابن سبيد الخثعمي قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال النبي ﷺ لعمر « قم فاعطهم » فقال : يا رسول الله ، منا عندي الا ما يقيظني والصبية ، قال وكيع : القیظ في كلام العرب : أربعة أشهر .

قال : قم فاعطهم ، قال : يا رسول الله ، سمعنا وطاعة . قال : فقام عمر وقمنا معه . . . فصعد بنا الى غرفة له . . . فأخرج المفتاح من حجرة ، ففتح الباب .

قال دكين : فاذا في الغرفة من التمر شبيهة بالفصيل البرابض . . قال : شأنكم . قال فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء قال : ثم التفت ، واني لمن آخرهم ، وكانا لم نرأ منه ثمرة . .

حديث الذراع . . وقصة الشاة المسمومة :

روى الامام أحمد عن أبي رافع قول رسول الله ﷺ قال : أهديت له شاة فجعلها في القدر فدخل رسول الله ﷺ فقال « ما هذا يا أبا رافع » ؟ قال : شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر . فقال « ناولني الذراع يا أبا رافع » فناولته الذراع . . ثم قال « ناولني الذراع الآخر » فناولته الذراع الآخر . . ثم قال : « ناولني الذراع الآخر » فقال : يا رسول الله ، انما للشاة ذراعان . . فقال له رسول الله ﷺ « أما انك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت » . . ثم دعا بماء قمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى ثم عاد اليهم فوجد عندهم لحما باردا فاكل ، ثم دخل المسجد فصلى ولم يمس ماء .

● وفى رواية : فقلت : يا رسول الله ، وهل للشاة
الا ذراعان ؟ فقال « لو سكت لناولتنى منها ما دعوت به »
قال : وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع . قلت : ولهذا لما
علمت اليهود - عليهم لعائن الله - فى خيبر سموه فى الذراع
فى تلك الشاة التى احضرتها زينب اليهودية ، فأخبره
الذراع بما فيه من السم .

● وروى الامام احمد عن أبى هريرة قال : لما فتحت
خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم فقال رسول الله
ﷺ « اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود » فجمعوا له .
فقال النبى ﷺ : « انى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى
عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ
« من أبوكم » أبونا فلان . فقال رسول الله ﷺ « كذبتكم ،
أبوكم فلان ، قالوا : صدقت وبررت . فقال « هل أنتم
صادقى عن شىء اذا سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ،
وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت فى أبينا . فقال رسول
الله ﷺ « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم
تخلفونا فيها .

فقال لهم رسول الله ﷺ والله لا تخلفكم فيها أبدا . ثم
قال لهم « هل أنتم صادقى عن شىء اذا سألتكم ؟ » فقالوا :
نعم يا أبا القاسم . فقال « هل جعلتم فى هذه الشاة سما ؟ »
فقالوا : نعم : قال « فما حملكم على ذلك ؟ »

قالوا : أردنا ان كنت كاذبا أن نستريح منك ، وان
كنت نبيا لم تضرك ، وقد رواه البخارى فى الجزية عن
عبد الله بن يوسف ، وفى المغازى أيضا عن قتيبة .

● وفى الصحيحين عن أنس بن مالك : أن امرأة يهودية
أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجئى بها الى
رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك - فقالت أردت لأقتلك .

فقال : « ما كان الله ليعطيك على ذاك » أو قال « على » .

قالوا : ألا نقتلها ؟ قال « لا » قال أنس . فمازلت أعرفها
فى لهوات رسول الله ﷺ .

● وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله أن يهودية من
أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ
رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه
معه ثم قال لهم رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم » وأرسل
رسول الله ﷺ الى المرأة فدعاها فقال لها « أسممت هذه
الشاة ؟ »

قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال « أخبرتنى هذه التي
فى يدي » وهى الذراع . قالت : نعم قال : « فما أردت
بذلك ؟ » قالت : قلت : ان كنت نبيا فلن تضرك ، وان لم
تكن نبيا استرحنا منك .

فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتوفى بعض
أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم النبي ﷺ على
كاهله من أجل الذى أكل من الشاة ، حجه أبو هند ، بالقرن
والشفرة ، وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار .

● وروى أبو داود أيضا عن أبي سلمة أن رسول الله
ﷺ أهدت له يهودية لخير شاة مصلية فذكر نحو حديث
جابر ، قال : فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصارى ،
فأرسل الى اليهودية فقال « ما حملك على الذى صنعت ؟ »
فذكر نحو حديث جابر . فأمر بها رسول الله ﷺ
فقتلت ، ولم يذكر أمر الحجابة .

قال البيهقى : ويحتمل انه لم يقتلها فى الابتداء . ثم
لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها .

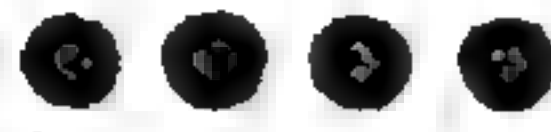
● وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة وكذلك
موسى بن عقبة عن الزهرى قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ
خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية ،
وهى ابنة أخى مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها ، واكثرت

فى الكتف والذراع ، لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بنى سلمة ، فقدمت لهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها وتناول شبر عظيما فانتهش منه ، فلما استترط (ابتلع) رسول الله ﷺ لقمته استترط بشر بن البراء ما بقى فيه ، فقال رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم فان كتفا هذه الشاة يخبرنى أنى نعت فيها » .

فقال بشر بن البراء : والذى أكرمك ، لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما تمنى أن ألفظها إلا أنى أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسفت ما فىك لم أرغب بنفسى عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى .

فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وما طله وجعه حتى كان لا يتحول حتى تجول .
قال جابر :

واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ ، حججه مولى بنى بياض بالقرن والشفرة ولقى رسول الله ﷺ بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال « ما زلت أجد فى الأكلة التى أكلت من الشاة يوم خيبر هذذا ، حتى كان هذا أول انقطاع أبهرى » فتوفى رسول الله ﷺ شهيدا .



رابعا : الاشجار والحيوانات وقصصها مع الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته لها :

سبق أن ذكرنا حديث جابر بن عبد الله فى انقياف الشجرة لرسول الله ﷺ حتى سترته .

● وروى الإمام أحمد عن أنس قال : جاء جبريل الى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس جزيئ قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة . فقال له : مالك : فقال « فعل بى

هو لاء وفعلوا » فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ فقال « نعم » قال : فنظر الى شجرة من وراء الوادى . . فقال : ادع بتلك الشجرة - فدعاها ، فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه . . فقال مرها فلترجع . فأمرها . فرجعت الى مكانها . . فقال رسول الله ﷺ « حسبي » .

وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم ، ولم يروه الا ابن ماجه عن محمد بن طريف عن ابي معاوية .

● وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ كان على الحجون كئيبا لما أذاه المشركون ، فقال « اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبنى بعدها » قال : فأمر فنأدى شجرة من قبل عقبة المدينة فأقبلت تخذ الأرض حتى انتهت اليه . . قال : ثم أمرها فرجعت الى موضعها . . قال : فقال « ما أبالي من كذبنى بعدها من قومي » .

● وروى البيهقي أيضا عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه اياه ، فقال « رب ، أرني ما أطمئن اليه ويذهب غمى هذا الغم » فأوحى الله اليه : ادع اليك أى أغصان هذه الشجرة شئت ، قال : فدعا غصنا ، فانتزع من مكانه ثم خد الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ارجع الى مكانك » .

فرجع الغصن فخذ الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد الله رسول الله ﷺ وطابت نفسه ، وكان قد قال المشركون : أفضلت أباك وأجدادك يا محمد ؟ . . فأنزل الله سبحانه

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تُأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾

(الزمر : ٦٤)

قال البيهقي : وهذا المرسل شهد له ما قبله .

● وروى الامام أحمد عن ابن عباس قال : أتى النبي ﷺ رجل من بنى عامر . فقال : يا رسول الله . أرني الخاتم الذى بين كتفيك ، فاني من أحب الناس ، فقال له رسول الله ﷺ « ألا أريك آية ؟ » قال : بلى .

قال : فنظر الى نخلة ، فقال « ادع ذلك العذق » فدعاه فجاء ينقز بين يديه . . فقال رسول الله ﷺ « ارجع » فرجع الى مكانه .

فقال العامري : يا آل عامر ، ما رأيتم كالיום رجلا أسحر من هذا .

● وروى البيهقي عن ابن عباس قال : جاء اعرابي الى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : « رأيتم ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة . أتشهد اني رسول الله ؟ قال : نعم قال : فدعنا العذق ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض ، فجعل ينقز حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له : « ارجع » . . فرجع حتى عاد الى مكانه . . فقال : أشهد أنك رسول الله . . وآمن .

قلت . ولعله قال أولا : انه سحر ، ثم تبصر لنفسه فأسلم وآمن ، لما هداه الله عز وجل . . والله أعلم .

● وروى الحاكم عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل اعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ « أين تريد ؟ » قال : الى أهلي قال « هل لك الى خير ! » قال : ما هو ؟ قال « تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » .

قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال « هذه الشجرة » .

فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي ، فأقبلت
تخد الأرض خدا . . فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا
فشهدت أنه كما قال . . ثم انها رجعت الى منبتها . . ورجع
الاعرابي الى قومه ؟ فقال : ان يتبعوني أتيتك بهم والا رجعت
اليك وكنت معك .

حنين الجذع شوقا الى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم وشفقة من فراقه :

وقد ورد ذلك من حديث جماعة من الصحابة بطرق
متعددة تفيد القطع عند فرسان هذا الميدان .

● الحديث الأول :

روى الشافعي عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه
قال : كان النبي ﷺ يصلي الى جذع نخلة اذ كان المسجد
عريشا ، وكان يخطب الى ذلك الجذع ، فقال رجل من
أصحابه : يا رسول الله ، هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم
عليه يوم الجمعة فتسمع الناس خطبتك ؟ قال « نعم » .

فصنع له ثلاث درجات هن اللاتي على المنبر ، فلما صنع
المنبر ووضع موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ بدا
للنبي ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه ، فمر اليه ،
فلما جاوز ذلك الجذع الذي كان يخطب اليه ، خار حتى
تصدع وانشق ، فنزل النبي ﷺ لما سمع صوت الجذع ،
فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر . فلما هدم المسجد أخذ ذلك
الجذع أبي بن كعب - رضي الله عنه - فكان عنده حتى بلى
وأكلته الأرضه ، وعاد رفاتا .

وهكذا رواه أحمد بن حنبل ، وعنده : فمسحه بيده
حتى سكن ، ثم رجع الى المنبر ، فكان اذا صلى اليه
والباقي مثله . وقد رواه أيضا ابن ماجه .

الحديث الثاني :

● روى أبو يعلى الموصلى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس ، فجاءه رومي فقال : ألا نصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم ؟ . فصنع له منبر درجتان ويقعد على الثالثة . . فلما قعد نبي الله على المنبر ، خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج لخواره حزناً على رسول الله فنزل اليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه سكت . . ثم قال : «والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله » .

فأمر رسول الله ﷺ فدفن . وقد رواه الترمذى وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

● وروى أبو بكر البزار فى مسنده عن أنس عن النبي ﷺ أنه كان يخطب الى جذع نخلة فلما اتخذ المنبر تحول اليه ، فعن ، فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه ، فسكن . . وقال « لو لم احتضنه لحن الى يوم القيامة » وهكذا رواه ابن مانجه بإسناد على شرط مسلم .

● وروى أحمد عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة ، فلما كثر الناس قال « ابنوا لى منبراً » . . أراد أن يسمعهم . فبنوا له عتبتين ، فتحول من الخشبة الى المنبر ، فأخبر أنس أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله . . قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى اليها ، فاحتضنها ، فسكنت . . تفرد به أحمد .

وقد رواه البغوى عن أنس ، فذكره ، وزاد : فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : عباد الله ، الخشبة تحن الى رسول الله ﷺ شوقاً اليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقاءه . . وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم .

● وروى أبو نعيم عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يخطب الى جذع ، فحن الجذع ، فاحتضنه وقال « لو لم احتضنه لحن الى يوم القيامة » .

الحديث الثالث :

● روى الامام أحمد عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يخطب الى جذع نخلة فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار : يا رسول الله - ان لى غلاما نجارا أفأمره أن يتخذ لك منبرا تخطب عليه ؟ قال « بلى » .

قال : فاتخذ منبرا ، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر ، فأن الجذع الذى كان يقوم عليه كما يئن الصبى ، فقال النبي ﷺ « ان هذا بكى لما فقد من الذكر » .

● وروى البخارى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله - ألا نجعل لك منبرا ؟ قال « ان شئتم » فجعلوا له منبرا . فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبي ﷺ فضمها اليه وهى تئن أنين الصبى الذى يسكن ، قال « كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها » .

● وروى البخارى عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ اذا خطب يقوم الى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت . تفرد به البخارى .

● وروى الامام أحمد عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي ﷺ يخطب الى خشبة ، فلما جعل له منبرا حنت حنين الناقة ، فاتاها فوضع يده عليها فسكنت . تفرد به أحمد .

● وروى الامام أحمد — أيضا — عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ اذا خطب يستند الى جذع نخلة من سوازي المسجد ، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه ، اضطربت السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، فنزل اليها رسول الله ﷺ فالتزمها فسكنت .

الحديث الرابع :

روى ابن أبي شيبة عن أبي حازم قال : أتوا سهل بن سعد فقالوا : من أى شىء منبر رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يستند الى جذع فى المسجد يصلى اليه اذا خطب ، فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه رسول الله ﷺ فوطئه حتى سكن . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين واسناده على شرطهما .

الحديث الخامس :

روى الامام أحمد عن أبي عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ كان يخطب الى جذع قبل أن يتخذ المنبر ، فلما اتخذ المنبر وتحول اليه حن عليه ، فأتاه فاحتضنه فسكن . قال « لو لم احتضنه لحن الى يوم القيامة » وهذا الاسناد على شرط مسلم ولم يروه الا ابن ماجه فى حديث حماد بن سلمة .

الحديث السادس :

روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ يخطب الى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع ، فأتاه فمسح يده عليه . هكذا ذكره البخارى .

● وروى الامام أحمد عن عبد الله بن عمر قال : كان جذع نخلة فى المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره اليه اذا كان يوم الجمعة ، أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس . فقالوا :

ألا نجعل لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامك ؟ قال « لا عليكم أن تفعلوا » فصنعوا له منبراً ثلاث مراق * * فجلس عليه * * قال فنار الجذع كما تخور البقرة جزعا على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن * تفرد به أحمد *

الحديث السابع :

روى عبد بن حميد عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة الى جذع نخلة فقال له الناس : يا رسول الله - انه قد كثر الناس - يعنى المسلمين - وانهم ليحبون أن يروك فلو اتخذت منبراً تقوم عليه ليراك الناس ؟ قال « نعم ، من يجعل لنا هذا المنبر ؟ » *

فقام اليه رجل فقال : أنا ، قال « تجعله ؟ » قال : نعم * * ولم يقل ، ان شاء الله * * قال « ما اسمك ؟ » قال : فلان * * قال « اقعد » فقعد ثم عاد فقال : « من يجعل لنا هذا المنبر ؟ » فقام اليه رجل فقال : أنا * قال : « تجعله ؟ » قال : نعم * * ولم يقل ان شاء الله * قال : « ما اسمك ؟ » قال : فلان * قال « اقعد » فقعد ثم عاد فقال : « من يجعل لنا هذا المنبر ؟ »

فقام اليه رجل فقال : أنا ، قال : « تجعله ؟ » قال : نعم ، ولم يقل : ان شاء الله قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال « اقعد » فقعد ثم عاد فقال « من يجعل لنا هذا المنبر ؟ » فقام اليه رجل فقال أنا ، قال : « تجعله » قال : نعم ، ان شاء الله - قال : « ما اسمك » قال : ابراهيم قال « اجعله » *

فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبي ﷺ فى آخر المسجد ، فلما صعد رسول الله ﷺ المنبر فاستوى عليه ، فاستقبل الناس ، حنت النخلة حتى أسمعتنى وأنا فى آخر المسجد قال : فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فاعتنقها ، فلم يزل حتى سكنت ، ثم عاد الى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال : « ان هذه النخلة انما حنت شوقا الى رسول الله ﷺ لما فارقتها فوالله لو لم أنزل اليها فأعتنقها لما سكنت الى يوم القيامة » *

وهذا اسناد على شرط مسلم ، ولكن في السياق غرابة ، والله تعالى أعلم *

الخلاصة :

فهذه الطرق من الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن وكذا من تأملها وأمعن فيها النظر والتأمل ، مع معرفته بأحوال الرجال ، وبالله المستعان *

وقد روى البيهقي عن عمرو بن سواد قال : قال لي الشافعي : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا ﷺ فقلت له : أعطى عيسى احياء الموتى *

قال : أعطى محمدا الجذع الذي كان يخطب الى جنبه حتى هبىء له المنبر ، فلما هبىء له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك *

تسبيح الحصى فى كفه - عليه الصلاة والسلام - وتسليم الحجر عليه :

● روى البيهقي عن أبي ذر قال : لا أذكر عثمان الا بخير بعد شيء رأيته ، كنت رجلا أتتبع خلوات رسول الله ﷺ ، فرأيت يوم ما جالسا وحده ، فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست اليه ، فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات ، أو قال : سبع حصيات فأخذهن فى كفه فسبعن ، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن

فخرسن ، ثم أخذهن ، فوضعهن فى كف أبى بكر ، فسنبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن ، فوضعهن فى يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبى ﷺ « هذه خلافة النبوة » .

● وروى البيهقى أيضا أن رجلا من بنى سليم كبير السن ، كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة ، ذكر أنه بينما هو قاعد يوما فى المجلس وأبو ذر فى المجلس ، إذ ذكر عثمان ابن عفان . . يقول السلمى : فأنا أظن أن فى نفس أبى ذر على عثمان معتبه لازالة إياه بالربذة . فلما ذكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك وهو يظن أن فى نفسه عليه معتبه ، فلما ذكره قال : لا تقل فى عثمان إلا خيرا ، فأنى أشهد لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا أنساه حتى أموت . . كنت رجلا أتمس خلوات النبى ﷺ لأسمع منه أو لأخذ عنه ، فهجرت يوما من الأيام ، فاذا النبى ﷺ قد خرج من بيته ، فسألت عنه الخادم ، فأخبرنى أنه فى بيته ، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس ، وكان حينئذ أرى أنه فى وحى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال « ما جاء بك ؟ » .

فقلت : جاء بى الله ورسوله . . فأمرنى أن أجلس . . فجلست الى جنبه ، لا أسأله عن شىء ولا يذكره لى فمكثت غير كثير ، فجاء أبو بكر يمشى مسرعا ، فسلم عليه فرد السلام ، ثم قال : « ما جاء بك ؟ » ؟

قال : جاء بى الله ورسوله . . فأشار بيده أن أجلس ، فجلست الى ربوة مقابل النبى ﷺ بينه وبينها الطريق ، حتى إذا استوى أبو بكر جالسا ، فأشار بيده فجلست الى جنبى عن يمينى . . ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس الى جنب أبى بكر على تلك الربوة ، ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال : « ما جاء بك ؟ » ؟

قال : جاء بي الله ورسوله ، فأشار اليه بيده ، فقعده الى الربوة ، ثم أشار بيده فقعده الى جنب عمر ، فتكلم النبي ﷺ بكلمة لم افقه أولها غير أنه قال « قليل ما يتعين » ثم قبض على حصيات سبع أو تسع وقريب من ذلك ، فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل في كف النبي ﷺ ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر كما سبحن في كف النبي ﷺ ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن ، فصرن حصا . . ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن ، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر ، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن .

وقد تقدم ما رواه البخاري عن ابن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

حوائط البيت تؤمن على دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :

وروى البيهقي عن أبي أسيد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ للعباس من عبد المطلب « يا أبا الفضل لا ترم منزلك غدا أنت وبنوك حتى آتيكم ، فإن لي فيكم حاجة » .

فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى . فدخل عليهم ، فقال « السلام عليكم » . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال « كيف أصبحتم » . قالوا أصبحنا بخير والحمد لله ، فكيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله قال « أصبحت بخير أحمد الله » فقال لهم : « تقاربوا تقاربوا » يزحف بعضكم الى بعض » .

حتى اذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال « يا رب ، هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كسترتي إياهم بملاءتي هذه » .

قال « فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت : آمين ، آمين ، آمين » .

● الحجر يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم :

روى الإمام أحمد عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « انى لأعترف حجزا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، انى لا أعرفه الآن » وروى مسلم من طريق أبى بكر ابن أبى شيبه .

● تسليم الجبال والأشجار على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى الترمذى عن على بن أبى طالب قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله .

وذكر ابن اسحاق عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان اذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى الى شعاب مكة وبطلون أوديتها ، فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله - قال : فيلتفت حوله ، عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة تمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يملكث ، ثم جاء جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء فى رمضان .

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) :

روى الواقدى أن مروان بن الحكم سأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتا وقع من السماء الى الأرض مثل وقعة انحصاة فى الطست ، وقبض النبى ﷺ القبضة من التراب فرمى بها ، فانهزمنا . وقال السدى الكبير : قال رسول الله ﷺ لعل يوم بدر : «أعطني حصباء من الأرض» .

فناوله حصباء عليها تراب ، فرمى بها فى وجوه القوم ، فلم يبق مشرك الا دخل فى عينه من ذلك التراب بشيء ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله فى ذلك :

فَلَمْ يَفْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ
 اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(الأنفال ١٧)

● وروى مسلم عن العباس قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي . فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين فطلق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكبار .

قال عباس : وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أي عباس ، ناد أصحاب السمرة »

فقال عباس (وكان رجلا صييتا) : فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟

قال : فوالله ، لكانني عطفتهم حين سمعوا صوتي ، عطفة البقر على أولادها .

فقالوا : يا لبيك ، يا لبيك . قال : فاقتتلوا . والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار . قال : ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج ، يا بنى الحارث بن الخزرج .

فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمبتاول عليها ، الى قتالهم ، فقال ﷺ « هذا حين حمى الوطيس » .

قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا ورب محمد » قال : فذهبت

أنظر فاذا القتال على هيئته فيما أرى ، فوالله ما هو الا أن
رماهم بخصياته ، فمازلت أرى أحدهم كليلا وأمرهم مدبرا .

٢ - الحيوان :

سجود البعير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

روى الامام أحمد عن انس بن مالك قال : كان اهل
بيت من الانصار لهم جمل يُسنتون عليه ، وانه استصعب عليهم
فمنعهم ظهره ، وان الانصار جاءوا الى رسول الله ﷺ
فقالوا : انه كان لنا جمل نسنتى عليه ، وانه استصعب علينا
ومنعنا ظهره .

وقد عطش الزرع والنخل . . فقال رسول الله ﷺ
لأصحابه « قوموا » فقاموا فدخل الحائط والجمل من
ناحيته ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار : يا نبي الله
انه قد صار مثل الكلب الكلب ، وانا نخاف عليك صولته
فقال « ليس علي منه بأس » فلما نظر الجمل الى رسول الله ﷺ
أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ
بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل ، فقال له
أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن
نعقل فنحن أحق أن نسجد لك .

فقال : « لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صح لبشر
أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه
عليها ، والذي نفسى بيده لو كان من قدمه الى مفرق رأسه
قرحة تتفجر بالقريح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت
حقه » .

● حديث جابر - رضى الله عنه :

روى الامام أحمد عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما -
قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفره حتى اذا دفعنا الى
حائط من حيطان بنى النجار ، اذا فيه جمل لا يدخل الحائط

أحدا الا شد عليه - قال فذكروا ذلك للنبي ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا شفره الى الأرض حتى برك بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ « هاتوا خطاما » . . فخطمه ودفعه الى صاحبه ، ثم التفت الى الناس فقال « انه ليس شيء بين السماء والأرض الا يعلم أنى رسول الله ، الا عاصي الجن والانس » .

● حديث ابن عباس - رضى الله عنهما :

روى الحافظ أبو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال : جاء قوم الى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ان لنا بعيرا قد ند في الحائط ، فجاء اليه رسول الله ﷺ فقال « تعال » . . فجاء مطاطئا رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه . . فقال له أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، كأنه علم أنك نبي ! فقال رسول الله ﷺ « ما بين لابتئها أحد الا يعلم أنى نبي الله الا كفره الجن والانس » .

● سجود الفحلين وانقيادهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى الطبراني أيضا عن ابن عباس ان رجلا من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطا فسد عليهما الباب ، ثم جاء الى رسول الله ﷺ فأراد أن يدعو له ، والنبي ﷺ قاعد مع نفر من الأنصار ، فقال : يا نبي الله ، انى جئت فى حاجة ، فان فحلين لى اغتلما ، وانى أدخلتهما حائطا ويسدت عليهما الباب ، فأحب أن تدعولى أن يسخرهما الله لى . فقال لأصحابه : « قوموا معنا » . . فذهب حتى أتى الباب فقال « افتح » . . فأشفق الرجل على النبي ﷺ فقال « افتح » . . ففتح الباب فاذا أحد الفحلين قريبا من الباب . فلما رأى رسول الله ﷺ سجد له ، فقال رسول الله ﷺ « ائت بشيء أشد رأسه وأمكنك منه » .

فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى الى أقصى الحائط الى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجدا ، فقال

للرجل « اثنتى بشيء أشد رأسه » فشد رأسه وأمكنه منه ،
فقال « اذهب فانهما لا يعصيانك » .

فلما رأى اصحاب رسول الله ﷺ ذلك قالوا : يا رسول
الله - هذان فحلان سجدا لك ، أفلا نسجد لك ؟ قال « لا امر
أحدا يسجد لأحد ، ولو أمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة
أن تسجد لزوجها » .

● بعير يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه سوء معاملة صاحبه :

روى الامام أحمد عن عبد الله بن جعفر قال ، أردفنى
رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسر الى حديثا لا أخبر به
أحدا أبدا ، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به فى حاجته
هدف او حائش نخل فدخل يوما حائطا من حيطان الانصار ،
فاذا جمل قد آتاه فجرجر وذرفت عيناه ، وقال بهز وعفان :
فلما رأى رسول الله ﷺ حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله
ﷺ سراته وذفراه (العظم الشاخص خلف الاذن) فسكن
فقال « من صاحب الجمل ؟ » .

فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله ، فقال
« أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكها الله ، انه شكا الى
أنك تجيعه وتدئبه » . وقد رواه مسلم من حديث مهدي بن
ميمون » .

● حديث أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - :

روى الامام أحمد عن عائشة - رضى الله عنها - أن
رسول الله ﷺ كان فى نفر من المهاجرين والأنصار ، فجاء
بعير فسجد له ، فقال أصحابه : يا رسول الله تسجد لك البهائم
والشجر فنحن أحق أن نسجد لك .

« فقال : - اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنت
أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ،

ولو أمرها أن تنقل من جمل أصفر الى جمل أسود ومن جمل أسود الى جمل أبيض ، كان ينبغي لها أن تفعله » .

واسناده على شرط السنن ، وانما روى ابن ماجه « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها : الى آخره » .

● بعير يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صاحبه يريد ذبحه :

وروى الامام احمد عن يعلى بن سباه قال : كنت مع النبي ﷺ في سير له ، فأراد أن يقضى حاجته فأمر وديتين فانضمتا جداهما الى الأخرى ، ثم أمرهما فرجعتا الى منابتهم ، وجاء بعير فضرب بجرانه الى الأرض ثم جرجر حتى أبتل ما حوله ، فقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما يقول البعير ؟ » انه يزعم أن صاحبه يريد نحره » .

فبعث اليه رسول الله ﷺ فقال « أواهبه أنت لى » فقال : يا رسول الله . ما لي مال أحب الى منه . فقال « استوص به معروفا » فقال : لا جرم ولا أكرم مالا لى كرامته يا رسول الله قال : وآتى على قبر يعذب صاحبه ، فقال « انه يعذب فى غير كبير » . فأمر بجريدة فوضعت على قبره ، وقال « عسى أن يخفف عنه مادامت رطبة » .

● وروى الامام احمد عن يعلى بن مرة الثقفى قال : ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ بينما نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جراحه ، فوقف عليه النبي ﷺ فقال « أين صاحب هذا البعير ؟ » فجاء . . فقال « بعنه » . قال : لا ، بل أهبه لك ، فقال لا ، بل بعنه . قال : لا بل نهبه لك ، انه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره . قال « أما اذا ذكرت هذا من أمره فانه شكاً كثرة العمل وقلة العلف ، فأحسنوا اليه » .

قال : ثم سرنا فنزلنا منزلا فقام رسول الله ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيتها ثم رجعت الى مكانها ، فلما

استيقظ ذكرت له ، فقال « هي شجرة استأذنت ربها عز وجل
- أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها » .

قال : ثم سرنا فمررنا بماء ، فأتته امرأة بابن لها به
جنة ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال « أخرج اني رسول الله » .
قال : ثم سرنا ، فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك
الماء ، فأتته امرأة بجزر ولبن ، فأمرها أن ترد الجزر ، وأمر
أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبي ، فقالت والذي
بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك .

قصة الذئب وشهادته للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة :

● حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه :

روى الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : عدا
الذئب على شاة فأخذها ، فطلبها الراعي فانتزعها منه فأقعى
الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقى الله ؟ تنتزع مني رزقا ساقه
الله الى ؟ !!

فقال : يا عجبى ، ذئب مقع يكلمنى كلام الانس !!
فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ! .. محمد
ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق !!

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ،
فزواها الى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ،
فأمر رسول الله ﷺ فنودى : الصلاة جامعة .. ثم خرج فقال
للراعى « أخبرهم » .. فأخبرهم .. فقال رسول الله ﷺ .

« صدق ، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى
يكلم السباع الانس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك
نعله ، ويخبره فخذ بهما أحدث أهله بعده » .

واسناده على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقي ، ولم
يروه إلا الترمذى من قوله « والذي نفسى بيده لا تقوم

الساعة حتى يكلم السباع الانس .. » الى آخر الحديث ..
ثم قال : وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه الا من
حديث القاسم ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثقه
يعقوب واين مهدي .

● وفي رواية للامام أحمد أيضا عن أبي سعيد الخدري :

عن النبي ﷺ قال : بينما أعرابي في بعض نواحي المدينة
في غنم له ، عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه ، فأدركه
الاعرابي فاستنقذها منه وهجهجه ، فعانده الذئب يمشي ثم
أقعى مستنفرا ، مستغفرا بذنبه يخاطبه ، فقال : أخذت
رزقا رزقنيه الله فقال : وأعجبا من ذئب مستغفرا بذنبه
يخاطبني !! فقال : والله انك لتترك أعجب من ذلك ..

قال وما أعجب من ذلك ؟ قال : رسول الله ﷺ في
النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما
يكون بعد ذلك .

قال : فنعم الاعرابي بغنمه حتى ألجأها الى بعض
المدينة ، ثم مشى الى النبي ﷺ حتى ضرب عليه بابه فلما صلى
النبي ﷺ قال « أين صاحب الغنم ؟ » .

فقام الأعرابي ، فقال له النبي ﷺ « حدث الناس
بما سمعت وبما رأيت » فحدث الاعرابي الناس بما رأى من
الذئب وما سمع منه - فقال النبي ﷺ عند ذلك :

صدق آيات تكون قبل الساعة ، والذي نفسي بيده
لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو
سوطه أو عصاه بما حدث أهله بعده .

● حديث أبي هريرة - رضى الله عنه :

روى أحمد عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : جاء
ذئب الى راعي الغنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي حتى
انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى واستدفر ، فقال :

عمدت الى رزق رزقنيه الله - غز وجل - انتزعتني مني !!
فقال الرجل : تا الله ان رأيت كاليوم ذئبا يتكلم * فقال
الذئب : أعجب من هذا رجل في النخلات بين الجرتين يخبركم
بما مضى وما هو كائن بعدكم * * وكان الرجل يهوديا ،
فجاء الى النبي ﷺ فأسلم وخبره فصدقه النبي ﷺ ثم قال
رسول الله ﷺ :

« انها أماره من أمارات بين يدي الساعة ، قد أوشك
الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسنوطه بما
أحدثه أهله بعده * * وهو على شرط السنن ولم يخرجوه *

● حديث أنس - رضى الله عنه :

روى أبو نعيم في دلائل النبوة عن أنس بن مالك قال :
كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فشردت على غنمي ، فجاء
الذئب فأخذ منها شاة ، فاشتد الرعاء خلفه ، فقال : طعمة
أطعمينها الله تنزعونها مني ؟

قال : فبهت القوم * * فقال : ما تعجبون من كلام الذئب ،
وقد نزل الوحي على محمد فمن مصدق ومكذب * قال
أبو نعيم : تفرد به حسين بنى سليمان عن عبد الملك * قلت :
الحسين بن سليمان الرفا هذا ، يقال له الطلخي ، كوفي
أورد له ابن عدى عن عبد الملك بن عمير أحاديث ، ثم قال :
لا يتابع عليها *

● حديث ابن عمر - رضى الله عنهما :

روى البيهقي عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال :
كان راع على عهد رسول الله ﷺ اذا جاء الذئب فأخذ شاة ،
ووثب الراعى حتى انتزعها من فيه ، فقال له الذئب : أما
تتقى الله أن تمنعني طعمة أطعمنيها الله تنتزعها مني ؟
فقال الراعى : العجب من الذئب يتكلم !! فقال الذئب أفلا
أدلك على ما هو أعجب من كلامي ؟ ذلك الرجل في النخل
يخبر الناس بأحاديث الأولين والآخرين أعجب من كلامي !

فانطلق الراعى حتى جاء رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم .
فقال رسول الله ﷺ « حدث به الناس » قال الحافظ بن
عدى : قال لنا أبو بكر بن أبى داود : ولد هذا الراعى يقال
لهم : بنو مكلم الذئب ، ولهم أموال ونعم . . . وهم من خزاعة ،
واسم فكلم الذئب : أهبان . قال : ومحمد بن أشعث
الخزاعى من ولده قال البيهقى : فدل على اشتهاز ذلك ، وهو
مما يقوى الحديث .

قصة الوحش الذى كان فى بيته صلى الله عليه وسلم :

روى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها . قالت كان
لآل رسول الله ﷺ - وحش ، فاذا خرج رسول الله ﷺ . لعب
واشتد وأقبل وأدبر فاذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض
يترمرم - مادام رسول الله ﷺ فى البيت كراهية أن يؤذيه .
واسناده صحيح على شرط الصحيح ولم يخرجوه وهو
حديث مشهور والله أعلم .

قصة الأسد الذى سخره الله لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى عبد الرزاق أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ
الجيش بأرض السروم ، أو أسر فى أرض السروم فانطلق
هاربا يلتمس الجيش ، فاذا هو الأسد ، فقال : يا أبا الحارث ،
انى مولى رسول الله ﷺ كان من أمرى كيت وكيت ، فأقبل
الأسد يبصبصه حتى قام الى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى
اليه ، ثم أقبل يمشى الى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه
الجيش ، رواه البيهقى .

حديث الظبية :

روى أبو نعيم الاصبهاني عن زيد بن أبى الأرقم قال : كنت
مع النبى ﷺ فى بعض سكك المدينة ، فمررنا بنخباء أعرابى ،
فاذا ظبية مشدودة الى النخباء فقالت : يا رسول الله ، ان هذا
الاعرابى صادنى قبيلًا ولى خشفان فى البرية ، وقد تعقد

هذا اللين في أخلاقي ، فلا هو يذبحني فاستريح ولا يدعني
فأذهب الى خشفي في البرية ، فقال لها رسول الله ﷺ « ان
تركك ترجعين ؟ » قالت : نعم ، والا عذبنى الله عذاب
العشار .

فاطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمظ .
فشدها رسول الله ﷺ الى الخباء ، وأقبل الأعرابي ومعه
قربة فقال له رسول الله ﷺ أتبيعها ؟ قال : هي لك يا رسول
الله فاطلقها رسول الله ﷺ .

قال زيد بن أرقم : فأنا والله رأيته تسيح في الأرض
وهي تقول « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ »

حديث الطائر الذي فجع في أفراخه :

روى أبو داود الطيالسي عن عبد الله بن مسعود قال :
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر - فدخل رجل غيظنا فأخرج
بيضة حمرة فجاءت الحمرة ترف على رسول الله ﷺ وأصحابه ،
فقال « أيكم فجع هذه ؟ » فقال رجل من القوم : أنا أخذت
بيضتها . فقال « رده ، رده رحمة بها » .

● وروى البيهقي عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع
رسول الله ﷺ في سفر ، فمزرنا على شجرة فيها فرخا حمرة ،
فأخذناهما ، قال : فجاءت الحمرة الى رسول الله ﷺ وهي
تفرش فقال : « من فجع هذه بفرخيها ؟ » قال قلنا نحن . قال
« ردوهما » فرددناهما الى موضعهما ، فلم ترجع .

خامسا : من كرامات الصحابة :

العصا تضيء لصاحبها الطريق :

روى البخاري عن أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب
النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما
مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع
كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله .

— وروى البيهقي عن أنس أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلا آخر من الأنصار تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان ويبد كل واحد منهما عصية، فأضاعت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاعت للآخر عصاه حتى مشى في ضوئها، حتى أتى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله .

— روى البيهقي عن أبي هريرة قال : كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، وكان يصلي، فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فاذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعا رفيقا، فاذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدا هاهنا وواحدا هاهنا فجثته فقلت يا رسول الله ألا أذهب بهما الى أمهما فبرقت بركة . . فقال « ألحقا بأمكما » . فمازال يمشيان في ضوئها حتى دخلا .

— وروى البيهقي أن أبا عبس كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ثم يرجع الى بنى حارثة، فخرج في ليلة مظلمة مطيرة، فنور له في عصاه حتى دخل دار بنى حارثة قال البيهقي : أبو عبس ممن شهد بدرا قلت : وروينا عن يزيد ابن الأسود، وهو من التابعين، أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين فربما أضاعت له ابهام قدمه في الليلة المظلمة .

قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وما وهبه الله من نور وآيات :

ذكر ابن اسحاق — رحمه الله تعالى — ان الطفيل بن عمرو الدوسي — كان سيدا مطاعا شريفا في دوس وكان قد قدم مكة، فاجتمع به اشراف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه . قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه .

حتى حشوت أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا - فرقا من
أن يبلغنى شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه . . قال
فغدوت الى المسجد ، فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند
الكعبة . . فقمتم منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض
قوله . . فسمعت كلاما حسنا .

قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى ! والله انى لرجل
لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن
أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا
قبلته ، وان كان قبيحا تركته .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ الى بيته دخلت
عليه ، فقلت : يا محمد ، ان قومك قالوا لى كذا وكذا ،
للذى قالوا ، قال : فوالله ما يرحوا لى يخوفوننى أمرى حتى
سددت أذنى بكرسف (قطن) لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله
الا أن يسمعنى قولك ، فسمعت قولا حسنا فأعرض على
أمرى . .

قال : فعرض على رسول الله ﷺ الاسلام ، وتلا على
القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا
أعدل منه . . قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت :

يا نبى الله ، انى امرؤ مطاع فى قومى ، وانى راجع
اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى
عونا عليهم فيما أدعوهم اليه . .

قال : فقال « اللهم اجعل له آية » قال : فخرجت الى
قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع بين عينى
نور مثل المصباح . قال : فقلت : اللهم فى غير وجهى ، فانى
أخشى أن يظنوا أنها مثلة (عقوبة) وقعت فى وجهى لفراق
دينهم .

قال : فتحول فوق فى رأس سوطى . . قال : فجعل
الحاضرون يتراءون ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل

المعلق وأنا أهبط عليهم في الثانية حتى جئتهم فأصبحت فيهم . فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخا كبيرا . فقلت : اليك عنى يا أبت ، فليست منك ولست منى !! قال : ولم يا بنى ؟ قال قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ .

قال : أي بنى ، فدينك دينى .

فقلت : فاذهب واغتسل وطهر ثيابك ثم ائتني أعلمك . مما علمت . قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام ، فأسلم .

قال : ثم أتتني صاحبتي فقلت : اليك عنى ، فليست منك ولست منى . قالت : ولم بأبي أنت وأمي ؟

قال : فقلت : فرق بينى وبينك الاسلام ، وتابعت دين محمد ﷺ .

قالت : فدينى دينك . فقلت : فاذهبنى الى حمى ذى الشرى فتطهري منه . . وكان ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل .

قالت : بأبي أنت وأمي . أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئا ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك .

قال : فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطأوا على . . ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت يا رسول الله انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال « اللهم اهد دوسا ، ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم » .

فلم أزل بأرض دوس أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معى من قومي ، ورسول الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلت المدينة سبعين أو ثمانين بيتا

من دوس ، فلهقنا برسول الله ﷺ بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت :

يا رسول الله ابعثنى الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه .

قال ابن اسحاق : فخرج اليه ، فجعل الطفيل يوقد عليه النار ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا انى حشوت النار فى فؤادكا .

قال : ثم رجع الى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليعة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومنع ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة ، فقال لأصحابه انى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى ، رأيت أن رأسى حلق ، وأنه خرج من فمى طائر وأنه لقيته امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيت حبس غنى !!

قالوا : خيرا . . قال : أما أنا والله فقد أولتها . . قالوا : ماذا !؟

قال : أما حلق رأسى فوضعه . . وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى . . وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر لى فأغيب فيها . . وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى .

فقتل - رحمه الله تعالى - شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبيل منها ، ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيدا رحمه الله - هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا استناد وخبره شاهد فى الحديث الصحيح .

● روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال : ان دوسا قد استعصت . . فقال « اللهم اهد دوسا واثت بهم » .

ورواه البخارى من طريق أبى نعيم عن سفيان الثورى .

من كرامات الأولياء :

وكرامات الأولياء معدودة فى المعجزات . لأن كل ما يثبت لولى فهو معجزة لنبيه .

● بعث الحمار بعد موته :

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب (من عاش بعد الموت) عن الشعبى أن قوما أقبلوا من اليمن متطوعين فى سبيل الله - فنفق حمار رجل منهم ، فأراد أن ينطلق معهم فأبى فقام فتوضأ وصلى ، ثم قال :

اللهم انى جئت من الدفينة مجاهدا فى سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، وانى أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد على منة ، فانى أطلب اليك أن تبعث لى حمارى ثم قام الى الحمار ، فقام الحمار ينفض أذنيه ، فأسرجه وألجمه ، ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه . . فقالوا : ما شأنك ؟ قال : شانى أن الله بعث حمارى .

قال الشعبى : فانا رأيت الحمار بيع أو يباع فى الكناسة ، يعنى الكوفة ، وذكر ابن أبى الدنيا عن مسلم ابن عبد الله بن شريك النخعى أن صاحب الحمار رجل من النخع يقال له . نباتة بن يزيد خرج فى زمن عمر غازيا ، حتى اذا كان يلقي عميرة نفق حماره ، فذكر القصة ، بغير

إنه قال : فباعه وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت
هذا البيت :

ومنا الذى أحيا الاله حماره وقد مات منه كل عضو ومفصل

ما ظهر لحليمه السعدية من معجزات
عند أرضاعه صلى الله عليه وسلم :

ذكر ابن اسحاق عن حليلة بنت الحارث أنها قالت :
قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد نلتمس بها الرضعا فى
سنة شهباء . فقدمت على أتان لى قمرأ كانت أزمت بالركب
ومعى صبي لنا ومشارف لنا والله ما نبض بقطرة ، وما تنام
ليلنا أجمع مع صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ، ما نجد
فى ثديى ما يغنيه ولا فى شارفى ما يغذيه . . وكلنا كنا
نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أزمت
بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا . . فقدمنا مكة
فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ
فتأباه اذا قيل انه يتيم تركناه ، قلنا : ما عسى أن تضع
الينا أمه ؟ انما نرجو المعروف من أبى الولد ، فأما أمه فماذا
عسى أن تضع الينا ؟

فوالله ما بقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا
غيرى . . فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق ، قلت لزوجى
الحارث بن عبد العزى : والله انى لأكره أن أرجع من بين
صواحبى ليس معى رضيع ، لانطلقن الى ذلك اليتيم
فلاخذنه .

فقال : لا عليك أن تفعلى ، فمضى أن يجعل الله لنا فيه
بركة . فذهبت فأخذته فوالله ما أخذته الا انى لم أجد غيره ،
فما هو الا أن أخذته فجئت به رحلى فأقبل على ثديى بما شاء
من لبن ، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، وقام

صاحبي الى مشارفنا تلك ، فاذا بلبننها لحافل فحلب منها
ما شرب وشربت حتى روينا *

فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليلة ،
والله انى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترى ما بتنا به
الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟!

فلم يزل الله - عز وجل - يزيدنا خيرا * * ثم خرجنا
راجعين الى بلادنا فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق
بها حمار حتى أن صواحبى ليقطن :

ويلك يا بنت أبى ذؤيب ، هذه أتانك التى خرجت
عليها معنا ؟

فأقول : والله انها لهى * * فقلن : ان لها لشأنا * * حتى
قدمنا أرض بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب
منها ، فان كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فتحلب
ما شئنا وما حوالينا أحد تبض له شاة بقطرة لبن ، وان
أغنامهم لتروح جياعا ، حتى انهم ليقولون لرعيانهم ، أو لرعاتهم
« ويحكم انظروا حيث سرح غنم بنت أبى ذؤيب فاسرحوا
معهم !! » فيسرحون مع غنمى حيث تسرح فتروح أغنامهم
جياعا ما فيها قطرة لبن ، وتروح أغنامى شباعا لبنا تحلب
ما شئنا * فلم يزل الله يرينا البركة فنعرفها حتى بلغ سنتين
فكان شب شبايا لا تشبه الغلمان * فوالله ما بلغ السنتين
حتى كان غلاما جفرا ، فقدمنا به على أمه ونحن أضن شىء
به مما رأينا فيه من البركة *

فلما رآته أمه قلت لها : دعينا نرجع بابننا هذه السنة
الأخرى فانا نخشى عليه وباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى
قالت : نعم *

فسرحته معنا ، فأقمت به شهرين أو ثلاثة ، فبينما هو
خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاء أخوه ذلك

ليشتم ، فقال : ذاك أخى القرشى جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعناه فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه ليشتم بنجوه ، فنجدته قائما ممتقا لونه . . فاعتنقه أبوه وقال يا بنى ما شأنك ؟

قال « جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني وشقيا بطني ثم استخرجوا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان » . . فرجعنا به . . فقال أبوه :

يا حليلة ، لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب ، فأنطلقى بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت حليلة : فاحتفلناه فلم ترع أمه الا به . . فقدمنا به عليهما فقالت : ما ردكما به يا ظئر (المرضعة لغير ولدها) فقد كنتما عليه حريصين ؟

فقالا : لا والله الا أن الله قد أدى عنا ديننا الذي علينا وقلنا نخشى الائتلاف والاحداث ، نرده الى أهله .

فقالت : ماذا بكما ، فأصدقاني شأنكما . . فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره . . فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله انه لكائن لابنى هذا شأن الا أخبركما خبره ؟

قلت : بلى . .

قالت : حملت به فما حملت حملا قط أخف منه ، فأريت فى النوم حين حملت به كأنه خرج منى نور أضاعت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود ، معتمدا على يديه ، رافعا رأسه الى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روى من طرق أخرى ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل البر والمغازى .

سادسا من عاش بعد الموت :

(١) قيام الشاب بعد موته :

روى ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك قال : عدنا شابا من الأنصار ، فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب ، وقال بعضنا لأمه : احتسبيه . قالت : أو قد مات ؟ قلنا : نعم فمدت يديها الى السماء وقالت : اللهم انى آمنت بك ، وهاجرت الى رسولك . فاذا نزلت بى شدة دعوتك ففرجتها ، فأسألك اللهم أن لا تحمل على هذه المصيبة اليوم .

قالت : فكشف الثوب عن وجهه ، فما يرحنا حتى أكلنا واكل معنا .

(٢) قصة العلاء بن الحضرمي :

وروى البيهقي عن أنس قال : أدركت هذه الأمة ثلاث لو كانت فى بنى اسرائيل لما تقاسمها الأمم . . قلنا ما هن يا أبا حمزة ؟

قال : كنا فى الصفة عند رسول الله ﷺ ، فأتته امرأة مهاجرة ، ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة الى النساء وأضاف ابنها اليها ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة ، فمرض أياما ثم قبض ، فغمضه النبى ﷺ وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال « يا أنس أتت أمه فاعلمها » فاعلمناها . . فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت يهما . ثم قالت : اللهم انى أسلمت لك طوعا ، وخلصت الأوثان زهدا ، وهاجرت اليك رغبة ، اللهم لا تشمت بى عبدة الأوثان ، ولا تحملنى من هذه المصيبة مالا طاعة لى يحملها .

قال فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه ، وعاش حتى قبض الله ﷻ عليه وحتى هلكت أمه .

ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليهم الغلام
ابن الحضرمي .

قال أنس : وكنت في غزاته ، فأتينا مغازينا فوجدنا
القوم قد بدزوا بنا فعفوا آثار الماء ، والحر الشديد فجهدنا
العطش ودواينا وذلك يوم الجمعة ، فلما مالت الشمس
لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده الى السماء ، وما نرى في
السماء شيئا . قال فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا
وأنشأ سحابا ، وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب ، فشربنا
وسقينا ركائنا واستقينا ، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا
خليجا في البحر الى جزيرة ، فوقف على الخليج قال : يا علي ،
يا عظيم ، يا حلیم ، يا كريم ثم قال : أجيروا باسم الله -
قال : فأجزنا ما يبيل الماء حوافر دواينا .

فلم نلبث الا يسيرا فأصبنا العدو عليه فقتلنا وآسرنا
وسبيننا ، ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته فأجزنا ما يبيل
الماء حوافر دواينا .

قال : فلم نلبث الا يسيرا حتى رئي في جنازته قال :
فحفرنا له وغسلناه ودفناه . فأتى رجل بعد فراغنا من
دفنه فقال : من هذا ؟

فقلنا : هذا خير البشر ، هذا ابن الحضرمي . فقال :
ان هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه الى ميل أو ميلين
الى أرض تقبل الموتى .

فقلنا : ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله .
قال : فاجتمعنا على نبشه ، فلما وصلنا الى اللحد اذا صاحبنا
ليس فيه ، واذا اللحد مد البصر نور يتلألاً .

قال : فأعدنا التراب الى اللحد . ثم ارتحلنا .

(٣) قصة يزيد بن خارجة وكلامه بعد الموت :

روى البيهقي عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، توفي زمن عثمان بن عفان ، فسجى بثوبه ، ثم انهم سمعوا جلجلة في صدره ، ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد في الكتاب الأول .

صدق . . صدق أبو بكر الصديق ، الضعيف في نفسه ، القوي في أمر الله في الكتاب الأول .

صدق . . صدق عمر بن الخطاب ، القوي الأمين في الكتاب الأول .

صدق . . صدق عثمان بن عفان على منهاجهم . . مضت أربع وبقيت اثنتان ، أتت الفتن ، وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة . وسيأتيكم عن جيشكم خير . . بشر أريس وما بشر أريس .

قال يحيى بن سعيد : ثم هلك رجل من بنى خطمة فسجى في ثوبه ، فسمع جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال : ان أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق . . صدق .

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه « من عاش بعد الموت » عن اسماعيل بن أبي خالد .

قال : جاء يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقم القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير ، يعنى إلى أمه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم . . سلام عليك . . فاني أحمدك اليك الله الذي لا إله إلا هو ، فانك كتبت إلى لأكتب اليك بشأن زيد بن خارجة .

وانه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه ، وهو يومئذ من أصبح الناس - أو أهل المدينة فتوفى بين صلاة الأولى وصلاة العصر • فأضجعناه لظهره ، وغشيناه ببردين وكسائهم • • فأتاني آت في مقامي ، وأنا أستبح بعد المغرب • • فقال : ان زيدا قد تكلم بعد وفاته •

فانصرفت اليه مسرعاً ، وقد حضره قوم من الأنصار ، وهو يقول ، أو يقال على لسانه الأوسط أجلد الثلاثة ، الذي كان لا يبالي في الله لومة لائم ، كان لا يأمر الناس أن يأكل قوتهم ضعيفهم ، عبد الله أمير المؤمنين ، صدق • • صدق ، كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال : عثمان أمير المؤمنين ، وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة خلت اثنتان وبقي أربع ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً بلا نظام وأبيحت الأحماء ثم ارعوى المؤمنون وقالوا : كتاب الله وقدره • •

أيها الناس ، أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا ، فمن تولى فلا يعهدن دماً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً • الله أكبر ، هذه الجنة وهذه النار • •

ويقول النبيون والصديقون : سلام عليكم • • يا عبد الله ابن رواحة ، هل أحسست لي خارجه وسعدا اللذين قتل يوم أحد ؟

يقول الله تعالى :

كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظِلُّ ۝١٥ نَزَّاعَةً

لِلشَّوَى ۝١٦ لَدَعُوا مِنْ آذِيرَوْتَوَى ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۝١٨

(المعارج ١٥ : ١٨)

ثم خفت صوته ، فسالت الرهط عما سبقني من كلامه ، فقالوا : سمعناه يقول • أنصتوا أنصتوا • فنظر بعضنا الى بعض • فاذا الصوت من تحت الثياب • • قال • فكشفنا عن وجهه • فقال : هذا أحمد رسول الله - سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته • • ثم قال أبو بكر الصديق

الأمين • خليفة رسول الله - كان ضعيفا في جسمه ، قويا في
أمر الله • • صدق • • صدق وكان في الكتاب الأول •

وذكر بشر أريس • كما ذكرنا في رواية ابن المسيب ،
قال البيهقي : والأمر فيها أن النبي ﷺ اتخذ خاتما كان في
يده ، ثم كان في يد أبي بكر من بعده ، ثم كان في يد عمر •
ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بشر أريس • بعدما
مضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت
أسباب الفتن ، كما قيل على لسان زيد بنى خارجه •

قلت : وهي المرادة من قوله : مضت اثنتان وبقي أربع •
أو مضت أربع وبقي اثنتان على اختلاف الرواية • • •
والله أعلم •

وقال البخاري في التاريخ : زيد بن خارجة الخزرجي
الأنصاري شهد بدرا ، توفي زمن عثمان ، وهو الذي تكلم
بعد الموت •

قال البيهقي : وقد روى في التكلم بعد الموت عن جماعة
بأسانيد صحيحة • • والله أعلم •

وقال البخاري في التاريخ زيد بن خارجة الخزرجي
الأنصاري شهد بدرا ، توفي زمن عثمان ، وهو الذي تكلم
بعد الموت •

قال البيهقي : وقد روى في التكلم بعد الموت عن جماعة
أسانيد صحيحة • • والله أعلم •
(٤) قصة رجل من بنى سلمة :

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عبيد الأنصاري
أن رجلا من بنى سلمة تكلم فقال :

محمد رسول الله - أبو بكر الصديق ، عثمان اللين
الرحيم • • قال : ولا أدري أيش قال في عمر •

(٥) قصة رجل من الأنصار :

وروى البيهقي عن عبد الله بن عبيد الأنصاري قال :
بينما هم يثورون القتل يوم صفين أو يوم الجمل ، أذ تكلم
رجل من الأنصار من القتل ، فقال : محمد رسول الله ،
أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد ، عثمان الرحيم - - ثم سكت -

() قصة الربيع بن خراش :

روى هشام بن عمار في كتاب « البعث » عن ربيع بن
خراش العبسي قال : مرض أخى الربيع بن خراش فمرضته
ثم مات ، فذهبتنا نجهزه ، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم
قال : السلام عليكم -

قلنا : وعليك السلام - - قد مت -

قال : بلى ، ولكن لقيت بعدكم ربي ولقيني بروح
وريحان ، ورب غير غضبان ، ثم كساني ثيابا من سندس
أخضر ، واني سألته أن يأذن لي أن أبشركم فأذن لي ، وان
الأمر كما ترون فسدوا وقاربوا ، وبشروا ولا تنفروا - -
فلما قالها كانت كحصاة وقعت في ماء -

سابعا : شفاء المرضى على يديه صلى الله عليه وسلم :

(١) علاج الصبي المصروع :

روى الامام أحمد عن ابن عباس أن امرأة جاءت الى
النبي ﷺ بابن لها - فقالت : ان ابني هذا به جنون يأخذه
عند غداثنا وعشائنا فيخبث علينا -

قال : فمسح النبي ﷺ صدره ودعا له فتع ثعة ، يعنى
سعل ، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود -

(٢) امرأة من أهل الجنة :

وروى الامام أحمد عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى . قال : هذه السوداء ، أتت رسول الله ﷺ فقالت : انى أصرع وأتكشف فاذع الله لي .

قال : « ان شئت صبرت ولك الجنة ، وان شئت دعوت الله لك أن يعافيك . »

قالت : لا ، بل أصبر . فاذع الله ألا أتكشف ولا يتركشف عني . قال فدعا لها . هكذا رواه البخاري ومسلم . روى البخاري عن عطاء انه رأى أم زفر ، تلك المرأة الطويلة السوداء على أستار الكعبة .

(٣) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة أن يذهب الله حماها :

روى البخاري عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف نجدك ؟ ويا بلال كيف نجدك ؟

قالت : فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وكان بلال اذا أقلت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بواد وحولى اذخر وجليل

وهل آردن يوما مياه مجنة

وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال :

« اللهم حبيب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ،

« بارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها فأجعلها
بالجحفة » رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة مختصرا .

وفى رواية للبخارى عن عائشة - رضى الله عنها -
قذكره وزاد بعد شعر بلال : ثم يقول :

اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأميمة
ابن خلف كما أخرجونا الى أرض الوباء فقال رسول الله ﷺ

« اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم
بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وصححها لنا وأنقل حماها
الى الجحفة » .

وروى الامام أحمد عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله
ﷺ اشتكى أصحابه ، واشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى
أبى بكر ، وبلال ، فاستأذنت عائشة النبى ﷺ فى عيادتهم ،
فأذن لها ، فقالت لأبى بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرئ مصيب فى أهله والموت أدنى من شرك نعله

وسألت عامرا فقال :

انى وجدت الموت قبل ذوقه ان الحيان حتفة من فوقه

وسألت بلالا فقال :

يا ليت شعرى هم أبيتن ليلة بواد وحولى اذفر وجليل

فأتى النبى ﷺ فأخبرته بقولهم ، فنظر الى السماء
وقال « اللهم حبب إلينا المدينة كما حبت إلينا مكة أو أشد ،
اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وانقل وباءها الى مهية ،
وهى الجحفة كما زعموا ؟ » .

وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول
الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعنى مكة عام عمرة
القضاء ، فقال المشركون : انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى

يشرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين
الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها الا الإبقاء
عليهم قلت : وعمرة القضاء كانت فى سنة سبع فى ذى
القعدة ، فاما ان يكون تأخر دعائه - عليه السلام - بنقل
الوباء الى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل ،
أو انهم بقوا فى خمارها وما كان أصابهم من ذلك الى تلك
المدة . . والله أعلم .

(٤) دعاؤه - صلى الله عليه وسلم - للرجل الضرير :

روى الامام أحمد عن عثمان بن حيف أن رجلا ضرير
البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافينى .

قال : « ان شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وان
شئت دعوت لك » .

قال : لا ، بل ادع الله لى .

قال : فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلى ركعتين ،
وأن يدعو بهذا الدعاء .

« اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي
الرحمة ، يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه
فتقضى ، وتشفعنى فيه وتشفعه فى » .

قال : فكان يقول هذا مرارا ، ثم قال بعد : أحسب أن
فيها أن تشفعنى فيه . . قال ففعل الرجل فبرأ .

وفى رواية أيضا لأحمد « اللهم شفعه فى » . . ولم يقل
الأخرى ، وكأنها غلط من الراوى . . والله أعلم .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال
الترمذى : حديث صحيح غريب .

وروى البيهقى والحاكم عن عثمان بن ضيف قال :
سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب
بصره ، فقال : يا رسول الله ، ليس لى قائد وقد شق على . .

فقال رسول الله ﷺ « ائت الميضاة فتوضأ ثم صل زكعتين » ،
ثم قل : اللهم انى اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي
الرحمة ، يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فينبجلى بصرى ،
اللهم فشفعه فى وشفعنى فى نفسى » .
قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ولا طال الحديث بنا حتى
دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر قط .

(5) رده - صلى الله عليه وسلم - وعين
قتادة بن النعمان يوم بدر :

روى البيهقى فى الدلائل عن قتادة بن النعمان أنه
أصيب عينه يوم بدر ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا
أن يقطعوها ، فيسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » فدعاه ،
فغمر حدقته براحته فكان لا يدرى أى عينيه أصيبت . وفى
رواية فكانت أحسن عينيه .

ولهذا لما وفد ولده عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن
عبد العزيز ، قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه

ردت بكف المصطفى أيما رد

فعادت كما كانت لأول أمرها

فيا حسنها عينا ويأحسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشدا
قول أمية بن أبى اصيلت فى سيف بن ذى يزن ، فأنشده
عمر فى موضعه حقا :

تلك المكارم لا تعبأ من لبنى شيئا بماء فعادا بعد أبوالا
ثم وصله فأحسن جائزته - رضى الله عنه .

(6) مسحه - صلى الله عليه وسلم - على
رجل عبد الله بن عتيك حين انكسرت :

روى البخارى عن البراء بن عازب قال : بعث رسول الله
ﷺ الى أبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار فأمر عليهم

عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم • قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فاني منطلق متلطف للبواب لعل أن أدخل •

فأقبل حتى دنا من الباب ثم اتضع بثوبه كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم غلق الأغاليق على ، وقال :

فقمتم الى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع ليسمر عنده وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه ، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت على من داخل ، فقلت : ان القوم تدبروا بي لم يخلصوا الى حتى أقتله ، فانتهيت اليه ، فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت ، فقلت : أبا رافع • قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت لأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئا • وصاح ، فخرجت من البيت لأمكث غير بعيد ، ثم دخلت اليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟

فقال : لأمك الويل ، ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف • قال : فأضربه ضربة أثخنه ولم أقتله ، ثم وضعت خبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أنني قتلتة ، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنني قد انتهيت ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته ، فلما صاح الديك فام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز • فانطلقت الى أصحابي

فقلت : النجاة فقد قتل الله أبا رافع . . . فانتهيت إلى النبي
ﷺ فحدثته فقال لي « أبسط رجلك ؟ فبسطت رجلي ،
فمسحها ، فكانها لم أشتكها قط . »

● براءة عين علي - رضي الله عنه -
بعد أن تغل فيها صلى الله عليه وسلم :

روى البيهقي عن بريدة قال : كان رسول الله ﷺ ربما
أخذته الشقيقة ، فلم يخرج إلى الناس وإن أبا بكر أخذ راية
رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها
عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع . .
فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « لأعطينها غدا رجلا
يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عنوة » وليس
ثم على فتناولت لها قریش ورجا كل رجل منهم أن يكون
صاحب ذلك . . فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له
حتى أناخ قريبا وهو أرمد قد عصب عينه بشقة ترد قطري
. . فقال رسول الله ﷺ « مالك ؟ » قال : ربت بعدك .
قال : « أدن مني » .

فتفل في عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه
الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها ،
فأتى مدينة خيبر . . وخرج فرحب صاحب الحصن وعليه
فغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو
يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى قرحب
شاكى سلاحي بطل مجرب

إذا الليث أقبلت تلهب
وأحجمت عن صولة المقلب

فقال على - رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة كليث غابات شديد القسورة

أكيلكم بالصاع كيل السندرة

قال : فاختلفا ضربتين • فبدره على بضربة فقد الحجر

المغفر ورأسه ووقع فى الأضراس وأخذ المدينة •

القسم الثالث

دعواته مستجابة

أولاً : الدعوات :

(١) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة بحفظ العلم :

روى الشيخان عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال :
يقولون : ان ابا هريرة قد أكثر بمعنى (أكثر الحديث عن
رسول الله ﷺ) والله الموعد بمعنى (فيما سبق أن تعمدت
كذبا ، ويحاسب من ظن بى السوء) . . ويقولون : ما بال
المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ؟ وسأخبركم
عن ذلك : ان اخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم ،
وان اخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسنواق
(كناية عن التبايع ، وكانوا يصفقون بالأيدي من المتبايعين
بعضها على بعض) ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء
بطنى فأشهد اذا غابوا ، وأحفظ اذا نسوا ، ولقد قال
رسول الله ﷺ يوما :

« أَيْكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِكَ هَذَا ، ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَسَّ شَيْئًا سَمِعَهُ ؟ » فَبَسْطَتْ بَرْدَةُ عَلَى ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ ، ثُمَّ جَمَعَتْهَا إِلَى صَدْرِي ، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ . . وَلَوْلَا آيَتَانِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا حَدَّثْتُ الْآيَةَ أَبَدًا :

إِنَّ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ ۚ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَاصْلَوْا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

سورة البقرة (١٥٩ - ١٦٠)

(٢) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - :

روى الطبرانى من طريق الشعبى قال : قيل لسعد :
متى أصبت الدعوة ؟ قال يوم بدر ، قال النبى ﷺ اللهم
استجب لسعد .

وروى الترمذى وابن حبان والحاكم من طريق قيس
ابن أبى حازم عن سعد أن النبى ﷺ قال :
« اللهم استجب لسعد اذا دعاك » .

وروى البخارى عن جابر بن سمرة قال : شكوا أهل
الكوفة سعدا الى عمر - رضى الله عنه - ، فعزله ، واستعمل
عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا انه لا يحسن ان يصلى ،
فأرسل اليه فقال : يا أبا اسحاق كنية سعد ، كنى بذلك بأكبر
أولاده ، وهذا تعظيم من عمر له ، وفيه دلالة على أنه لم تقرح
فيه الشكوى عنده . (، ان هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن
تصلى . فقال أبو اسحاق : أما أنا والله فأنى كنت أصلى بهم
صلاة رسول الله ﷺ وحزم عنها بمعنى (أى لا انقص
منها شيئا) ، أصلى صلاة العشاء فأركد بمعنى (أطول فيهما
القراءة ، فى الأولين وأخف فى الآخرين .

قال : ذاك الظن بك يا أبا اسحاق . فأرسل معه رجلا
- أو رجلا - الى الكوفة ، فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع
مسجدا الا سأل عنه ، وهم يثنون معروفا حتى دخل مسجدا
لبنى عبس ، فقال رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى
أبا سعدة ، قال أما اذا نشدتنا فان سعدا كان لا يسير
بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية .

قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم ان كان
عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره ،
وعرضه بالفتن ، وكان بعد اذا سئل يقول : شيخ كبير
مفتون ، أصابتني دعوة سعد .

قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينييه من الكبر وقاسى وهو مريض فَعَوَّضَ له ودعا له أن يكون مجاب الدعوة فقال : « اللهم أجِبْ دعوته ، وسدد ميته » فكان كذلك ، فنعِمَ أمير الجيوش والسرايا كان . . .

وقد دعا على أبي سعدة ، أسامة بن قتادة ، حين شهد فيه بالزور ، بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن ، فكان إذا سئل ذلك الرجل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد .

(٣) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله وجمله :

تبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أنه كان يسير على جمل قد أغيا ، فأراد أن يسيبه . . قال : فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا لي فصار سيرا لم يسر مثله .

وفي رواية : فما زال بين يدي الأبل قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر ، فقال : « كيف ترى جملك ؟ » . فقلت : قد أصابته بركتك يا رسول الله . . ثم ذكر أن رسول الله ﷺ اشتراه منه ، واختلفت الرواة في مقدار ثمنه على روايات كثيرة ، وأنه ماستثنى حملانه إلى المدينة ، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فنقده ثمنه وزاده ، ثم أطلق له الجمل أيضا . . الحديث بطوله .

(٤) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس أبي طلحة :

روى البيهقي اللفظ له ، وهو في صحيح البخاري : عن أنس بن مالك قال : فزع الناس فركب رسول الله ﷺ فرسا لابن طلحة بطيئا ، ثم خرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلف رسول الله ﷺ فقال : « لن تراعوا أنه لبحر » . . قال : فوالله ما سبق بعد ذلك اليوم .

(٥) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجعيل الأشجعي وفرسه :

روى البيهقي عن جعيل الأشجعي قال : غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة

قال : فكنت في أخريات الناس ، فلحقني رسول الله ﷺ
وقال : « سر يا صاحب الفرس » .

فقلت : يا رسول الله ، عجزاء ضعيفة . قال : فرفع
رسول الله ﷺ مخفقه فمضى (ما يضرب به من سوط أو
نحوه) معه فضربها بها وقال : « اللهم بارك له فيها » .

قال : فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس ، ولقد
بعت من بطنها يائتي عشر ألفا .

ورواه النسائي من طريق محمد بن دافع .

(٦) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للناقة وقد أعيها التعب :

روى البيهقي عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول
الله ﷺ ، فقال : اني تزوجت امرأة .

فقال : « هلا نظرت اليها ؟ فان في أعين الأنصار شيئا »

قال : قد نظرت اليها . . قال : « على كم تزوجتها ؟ » .
فذكر شيئا .

قال : « كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عرض هذه
الجبال !! . . ما عندنا اليوم شيء نعطيكم ولكن سأبعثك في
وجه تصيب فيه . . ومعنى ذلك (كراهة اكثار المهر بالنسبة
إلى حال الزوج) .

فبعث بعثا إلى بني عبس وبعث الرجل فيهم ، فاتاه
فقال : يا رسول الله ما أعيتني ناقتي أن تبعث . .

قال : فناوله رسول الله ﷺ يده كالمعتمد عليه للقيام ،
فاتاها ، فضربها برجله . .

قال أبو هريرة : والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق به
القائد ورواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن معن .

(٧) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس بالتفقه في الدين :

● ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ الخلاء ، فوضعت له وضوءا ، فلما خرج قال : « من وضع هذا ؟ » .

قالوا : ابن عباس . قال : « اللهم فقّهه في الدين » .

● وروى البيهقي عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي - أو قال : منكبي ، كما شك سعيد ، ثم قال : « اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل » .

وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة في ابن عمه ، فكان اماما يهتدى بهداه ويقتدى بسناه في علوم الشريعة ، ولا سيما في علم التأويل ، وهو علم التفسير ، فانه انتهت اليه علوم الصحابة قبله ، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منا ، وكان يقول لهم : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود . ببضع وثلاثين سنة ، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة ؟!

وقد روينا عن بعض أصحابه انه قال : خطب الناس ابن عباس في عشية عرفة ، ففسر لهم سورة البقرة ، أو قال : سورة ، ففسرها تفسيرا لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا . . . رضي الله عنه وأرضاه .

(٨) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك بكثرة المال والولد :

ثبت في الصحيح انه - عليه السلام - دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد ، فكان كذلك . . حتى روى الترمذى عن أبى خلدة قال : قلت لابن العالقة : سمع أنس من النبى ﷺ ؟

فقال : خدمه عشر سنين ودعا له ، وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يجىء منه ريح المسك .

وفى الصحيح أنه ولد له لصلبه قريب من مائة أو ما ينيف عليها .

وفى رواية انه قال : « اللهم أطل عمره » فعمر مائة

(٩) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة الأنصارى وزوجته :

وقد دعا ﷺ لأم سليم ولأبى طلحة فى غابر ليلتهما ، فولدت له غلاما سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فجاء من صلبه تسعة ، كلهم قد حفظ القرآن . . ثبت ذلك فى الصحيح .

(١٠) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة :

ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو لأمه فيهدىها الله ، فدعا لها . . فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب ، فلما غرفت قالت : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . .

فجعل أبو هريرة يبكى من الفرح ، ثم ذهب فأعلم بذلك

رسول الله ﷺ وسأل منه أن يدعو لهما أن يحببهما الى عباده المؤمنين . . فدعا لهما ، فحصل ذلك . .

قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة الا وهو يحبنا .
وقد صدق أبو هريرة فى ذلك ، رضى الله عنه وارضاه .

(١١) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للسائب بن يزيد :

ثبت فى صحيح البخارى وغيره أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ، ومسح بيده على رأسه ، فطال عمره ، حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ ، ومتع بحواسه وقواه .

(١٢) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبى زيد الأنصارى :

روى الامام احمد عن أبى زيد الأنصارى قال : قال لى رسول الله ﷺ : ؟ أذن منى » . . قال : فمسح بيده على رأسه ولحيته . . ثم قال : « اللهم جملة ، وأدم جماله » .
قال : فبلغ بضعا ومائة سنة ، وما فى رأسه ولحيته بياض الا نبذ قال السهيلي : اسناده صحيح موصول . . ولقد أورد البيهقى لهذا نظائر كثيرة فى هذا المعنى ، تشفى القلوب ، وتحصل المطلوب .

(١٣) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف :

ثبت فى الصحيحين انه - عليه السلام - دعا لعبد الرحمن ابن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العرس ، فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففتح له فى المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل ، بحيث انه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين الفا .

(١٤) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعروة بن أبي الجعد المازنى :

ثبت فى الحديث عن طريق شبيب بن غرقد أنه سمع
الحى يخبرون عن عروة بن أبى الجعد المازنى أن رسول الله
ﷺ أعطاه دينارا ليشتري له به شاه ، فأشترى به شاتين
وباع احدهما بدينار ، وأتاه بشاه ودينار ، فقال له :
« بارك الله فى صفقة يمينك » وفى رواية : فدعا له بالبركة
فى البيع ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه .

(١٥) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة يوم الخندق :

روى الحاكم والبيهقى فى الدلائل عن عبد العزيز بن
أخى حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدتهم مع رسول الله ﷺ
فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا
وفعلنا . . فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة
الاحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا ،
وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا
ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها ، فى أصوات ريحها
أمثال الصواعق ، وهى ظلمة ما يرى أحدا أصبعه ، فجعل
المنافقون يستأذنون النبى ﷺ ويقولون : ان بيوتنا عبورة
وما هى عبورة ، فما يستأذنه أحد منهم الا أذن له ، ويأذن
لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك اذا استخبلنا رسول
الله ﷺ رجلا . . رجلا حتى أتى على ، وما على جنة من العدو
ولا من البرد الا مرط (كساء من حرير أو صوف أو كتان
يؤتزر به وتتلفع به المرأة) لامراتى ما يجاوز ركبتى . .
قال : فأتانى وأنا جاث على ركبتى . . فقال : « من هذا ؟ »
فقلت : حذيفة . . فقال : « حذيفة ! » فتقاصرت
للأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم ، فقامت

فقال : « انه كائن فى القوم خبر فأتنى بنخبر القوم » . .
قال : وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرا (البرد)
فخرجت فقال رسول الله : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن
خلفه وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته » . .
قال : فوالله ما خلق الله فزعا ولا قسرا فى جوفى الا خرج من
جوفى . فلما وليت . . قال : فخرجت حتى اذا دنوت من
عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، واذا رجل أدهم
ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل
. . الرحيل . .

ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما
من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميه به
ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تحدثن فيهم
شيئا حتى تأتينى » . . فأمسكت ورددت سهمى الى كنانتى ،
ثم انى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس
منى بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل . . الرحيل لكم
لا مقام . . واذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم
شبرا ، فوالله انى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم
وفى سهم الريح تضرب بها ، ثم انى خرجت نحو رسول
الله ﷺ ، فلما انتصف بى الطريق أو نحو من ذلك ،
اذ أنا بنحو عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين ،
فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . . قال : فرجعت الى
رسول الله ﷺ وهو مشتمل فى شملة يصلى ، فوالله ما عدا أن
رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف (ارتعد من البرد) ،
فأوما الى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلى ، فدنوت منه ،
فأسبل على شملته ، وكان رسول الله ﷺ اذا حزه (اشتد
عليه) أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم
يرحلون قال : وأنزل الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذْ جَاءُوكُم
مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَنُظُّوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلْزَالًا شَدِيدًا ١١ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ١٣
وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَبَّوْاْ الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَا إِلَهُكُمُ
تِلْكَ الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا إِيْسَىٰ ١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لََّ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ
الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسَوِّدًا ١٥ قُلْ لَّيِّنَافَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ
مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا فُلِيلًا ١٦ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ
مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْعَوَّيْنَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا فُلِيلًا ١٨ أَشَءَ عَلَيْكُمْ

فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ
 عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْفِ حَادِدِ أَشْجَةٍ
 عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرًا ① يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يُذْهِبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ
 يَوَدُّوهُمُ وَالْوَأْنَهُمْ بَادُونَ فِي الْأَحْزَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا
 فِيكُمْ مَا قُلُوا إِلَّا قَلِيلًا ② لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ③ وَلَمَّا
 رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ④ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
 مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
 تَبْدِيلًا ⑤ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن
 شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ⑥ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَ الْوَخِيرُ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ
 قَوِيًّا عَزِيزًا ⑦

الآيات [٩ - ٢٥] من سورة الأحزاب

(١٦) دعاؤه صلى الله عليه وسلم
 للزوجين المتباغضين بالألفة :

روى البيهقي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج
 وعمر بن الخطاب معه ، فعرضت له امرأة فقالت : يا رسول
 الله ، انى امرأة محرمة ، ومعى زوج لى فى بيتى مثل المرأة
 . . فقال لها رسول الله ﷺ : « ادعى لى زوجك » فدعته
 وكان خرازا (الذى يخرز النعال ونحوها) . . فقال له :
 « ما تقول فى امرأتك يا عبد الله ؟ » فقال الرجل : والذى
 أكرمك ما جف رأسى منها . . فقالت امرأته : جاء مرة

واحدة في الشهر . . فقال لها رسول الله ﷺ : « أتبغضيه ؟ »
قالت : نعم فقال رسول الله ﷺ : « أدنيا راسيكما » فوضع
جبتهما على جبهة زوجها ثم قال : « اللهم ألف بينهما وحبب
أحدهما الى صاحبه » .

ثم مر رسول الله ﷺ بسوق النمط ومعه عمر بن
الخطاب ، فطلعت المرأة تحمل أدما على رأسها ، فلما رأت
رسول الله ﷺ طرحته وأقبلت فقبلت رجله ، فقال : « كيف
أنت وزوجك ؟ » فقالت : والذي أكرمك ما طارق (الحديث
المستفاد من المال ونحوه ، وهو خلاف التالد) ولا تالد أحب
الى منه . . فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنى رسول الله »
فقال عمر : وأنا أشهد أنك رسول الله . . قال أبو عبد الله :
تفرد به على بن أبي الهيثم ، وهو كثير الرواية للمناكير .

(١٧) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للنايغة الجعدى :

روى البيهقي عن النايغة الجعدى قال : أنشدت رسول
الله ﷺ هذا الشعر ، فأعجبه :

يلغنا السماء مجدنا وترائنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » . قلت الجنة . قال :
« كذلك ان شاء الله » . . ثم أنشد :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له

بوادى تحمى صفوه أن يكدرها

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له

حليم اذا ما أورد الأمر أصدرها

فقال النبى ﷺ : « أجدت لا يفضض الله فاك » قال
يعلى : فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب
له سن .

(١٨) دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من تكبر أن يأكل يمينه :

روى مسلم عن سلمه بن الأكوع أن رجلا أكل عند النبي ﷺ بشماله ، فقال له : «كل يمينك» .. قال : لا أستطيع .
قال : لا استطعت ، ما يمنعه إلا الكبر » قال : فما رفعها
إلى فيه .

(١٩) دعاؤه صلى الله عليه وسلم على معاوية :

ثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس قال : كنت ألعب
مع الغلمان ، فجاء رسول الله ﷺ فاخترت منه ، فجاءني
فحظاني حظوة (سهم صغير قدر ذراع يلعب به الصبيان
لتعلم الرمي) أو حظوتين وأرسلني إلى معاوية في حاجة ،
فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فأرسلني
الثانية فأتيته وهو يأكل .. فقلت : أتيته وهو يأكل ..
فقال : « لا أشبع الله بطنه » .

● وروى البيهقي عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع
الغلمان ، فإذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فقلت : ما جاء إلا إلى
.. فذهبت فاخترت على باب .. فجاء فحظاني حظوة
وقال « اذهب فادع لي معاوية » وكان يكتب الوحي .. قال
فذهبت فدعوته له فقيل انه يأكل .. فأتيت رسول الله ﷺ
فقلت : انه يأكل فقال : « اذهب فادعه لي » .. فأتيته
الثانية ، فقيل انه يأكل فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ..
فقال في الثانية : « لا أشبع الله بطنه » قال : فما شبع بعدها
قلت : وقد كان معاوية - رضي الله عنه - لا يشبع بعدها ،
ووافقته هذه الدعوة في أيام أمارته ، فيقال : انه كان يأكل
في اليوم سبع مرات طعاما بلحم .. وكان يقول : والله
لا أشبع وإنما أعيا (أو مرض) .

(٢٠) دعاؤه صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر السبعة من المشركين :

روى الشيخان عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يصلي
عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وإذا قال بغضهم

لبعض : أيكم يجيء بسلى جزور (الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم ، كالمشيمة للأدميات * * والجزور يطلق على الذكر والأنثى ، وجمعه جزر ، وهو بمعنى المجزور من الابل ، أى المنحور) بنى فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به ، فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضعته على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر لا اغير شيئا ، لو كان لي منعه !! (أى لو كانت لي قوة) * .

قال : فجعلوا يضحكون واقبل بعضهم على بعض * * .
ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة ، فطرحته عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : « اللهم عليك بقريش » * * ثلاث مرات * فشق عليهم اذ دعا عليهم * * .
وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمي : « اللهم عليك بأبى جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة » والوليد بن عتبة وأمّية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط * وعد السابع فلم يحفظه * * قال : فوالذى نفسى بيده ، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى فى القليب (البئر قبل أن يطوى) ، قليب بدر * .

(١) أخبره صلى الله عليه وسلم
بأن الأرض لا تقبل ذلك المرتد اذا مات :

روى الامام أحمد عن أنس بن مالك قال : كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب * * .
قال : فرفعوه ، وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن الله حتفه فيهم فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه ثم عادوا فحفروا له وواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، فتركوه منبوذا * ورواه مسلم من حديث محمد بن رافع * .

● وروى الامام أحمد أيضا عن أنس أن رجلا كان يكتب للنبي ﷺ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان

الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران عزفينا ، يعنى عظما ، وكان رسول الله ﷺ يملئ عليه « غفورا رحيمًا » فيكتب : عليما حكيما فيقول له النبي ﷺ : اكتب كذا وكذا « اكتب كيف شئت » وعلى عليه (عليما حكيما) فيقول : اكتب سميما بضيرا فيقول اكتب كيف شئت قال : فارتد ذلك الرجل عن الاسلام فلحق بالمشركين وقال : أنا أعلمكم واني كنت لا اكتب الا ما شئت * فمات ذلك الرجل ، فقال النبي ﷺ « ان الأرض لا تقبله » *

قال أنس : فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذا * فقال أبو طلحة : ما شأن هذا الرجل ؟

قالوا : قد دفناه مرارا فلم تقبله الأرض *

● وروى البخاري عن أنس قال : كان رجل نصرانيا فأسلم ، وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا * فكان يقول : لا يدرى محمد الا ما كتبت له *

فأماته الله فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فآلقوه ، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فآلقوه خارج القبر * فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فآلقوه *

ثانيا : المسائل التي سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب عنها :

بما يطابق الحق الموافق لما تشهد به الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله « بشارتهم به ﷺ » أخباره ﷺ عن : الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف :

روى محمد بن اسحاق عن ابن عباس قال : بعثت قريش
النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبي معيط ، الى اخبار يهود
بالمدينة ، فقالوا لهما : سلاهم عن محمد صفا لهم صفته ،
واخبراهم بقوله ، فانهم اهل الكتاب الاول ، وعندهم علم
ليس عندنا من علم الأنبياء * فخرجوا حتى قدما المدينة ،
فسألا اخبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره
وأخبراهم ببعض قوله وقال لهم : انكم اهل التوراة ، وقد
جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا * .

فقلت لهم اخبار يهود : سلوه عن ثلاث يأمركم بهن ،
فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فهو رجل
متقول أقروا فيه رأيكم :

● سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ، وما كان من
أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب * .

● وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها
وما كان نبؤه ؟

● وسلوه عن الروح ما هي ؟

فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وان لم يخبركم
فانه رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم * .

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا :
يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ،
قد أخبرنا اخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها
فأخبرناهم بها * . فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد
أخبرنا * . فسألوه عما أمروهم به * . فقال لهم رسول الله
ﷺ « أخبركم غدا بما سألتكم عنه » * . ولم يستثن (أى لم
يقل ان شاء الله فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس
عشرة ليلة لا يحدث له في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى
أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس
عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه * .

حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة * * ثم جاءه جبريل - عليه السلام - من الله - عز وجل - بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقال تعالى :

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

(الاسراء ٨٥)

ونزل قوله تعالى :

(أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)

(الكهف ٩)

ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليمة الاستثناء تحقيقا لا تعليقا في قوله تعالى :

(ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وأذكر ربك اذا نسيت)

(الكهف ٢٣ ، ٢٤)

ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر * * ثم ذى القرنين ، ثم قال تعالى :

(ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا)

(الكهف)

وقال في سورة الاسراء :

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)

(الاسراء ٨٥)

.. أى خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، فقال لها
كونى ، فكانت .. وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ،
وتصوير حقيقته فى نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة الى
قدرة الله تعالى وحكمته .. ولهذا قال تعالى :

(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

(الاسراء ٨٥)

.. وقد ثبت فى الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول
الله ﷺ بالمدينة فتلا عليهم هذه الآية .. فاما انها نزلت
مرة ثانية أو ذكرها جوابا وان كان نزولها متقدما ، ومن
قال انها نزلت بالمدينة واستثنائها من سورة الاسراء ففى
قوله نظر .. والله أعلم ..

وهذا الاخبار — بما سأل عنه قریش — هو الواقع فى
الواقع ، وانما يوافقه من الكتب التى بأيدى أهل الكتاب
ما كان منها حقا ، وأما ما كان محرفا مبدلا فذاك مردود ،
فان الله سبحانه بعث محمدا بالحق ، وأنزل عليه الكتاب
ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الاخبار والأحكام .. قال
الله تعالى بعد ذكر التوراة والانجيل :

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ

المائدة : ٤٨

اجاباته ﷺ عن أسئلة أخبار اليهود التى تتعلق
بالآخرة :

روى البخارى عن أنس قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم
النبي ﷺ المدينة ، فأتاه فقال : انى سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي .. قال :

— ما أول أشرط الساعة ؟

— وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

— ومن أى شىء ينزع الولد الى أبيه ؟ ومن أى شىء
ينزع الى أخواله ؟

فقال رسول الله ﷺ : « خبرنى بهن أنفا جبريل » .
فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

فقال رسول الله ﷺ : (أما أول أشرط الساعة فنار
حتى تحشر الناس من المشرق الى المغرب . وأما أول طعام
يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت . . وأما الشبه فى
الولد ، فإن الرجل اذا غشى المرأة (١) فسبقها ماؤه كان الشبه
له ، واذا سبق ماؤها كان الشبه لها) . .

قال : أشهد أنك رسول الله . . ثم قال : يا رسول الله ،
ان اليهود قوم بهت ، ان علموا باسلامى قبل أن تسألهم
بهتوني عندك . .

فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله
ﷺ : « أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ »

قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخبرنا وابن أخبرنا .
قال رسول الله ﷺ : « أفرايتم ان أسلم عبد الله ؟ ! »
قالوا : أعاده الله من ذلك . . فخرج عبدالله اليهم فقام عبدالله
اليهم فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا
رسول الله .

فقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه .

● وروى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال :
كنت نائما عند رسول الله ﷺ فجاء جبريل لي عالم ، فى أخبار
اليهود فقال : السلام عليك يا محمد . . فدفعته دفعة كاد
يصرع منها ، فقال :

(١) غشى الرجل المرأة وتغشى بمعنى جامع امرأته لقوله تعالى : « فلما تغاشاها
حملت حملا خفيا » .

لم تدفعنى ؟ فقلت ، ألا تقول : يا رسول الله ؟
فقال اليهودى : انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله
• • فقال رسول الله ﷺ :

« ان اسمى محمد الذى سماني به أهلى » • • فقال
اليهودى : جئت أسألك • •
فقال رسول الله : « أينفعك شيء ان حدثتك ؟ » قال :
أسمع بأذنى • •

فنتكت يعنى [خط خطا فى الأرض بعود ، وهذا يفعله
من يفكر فى أمر] رسول الله ﷺ بعود معه ، فقال « سل »
فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات ؟

فقال ﷺ : « هم فى الظلمة دون الجسر » بمعنى
الصراط ، • فقال : فمن أول الناس أجازة ؟ بمعنى
(الجواز والعبور) •

قال : « فقراء المهاجرين » • قال اليهودى : فما تخصصهم
بمعنى (ما يهدى الرجل ويخص به ويلاطف) حين يدخلون
الجنة ؟

قال : « زيادة كبد النون » بمعنى الحوت •
قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثور
الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شرابهم ؟

قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلا » • قال : صدقت ،
قال : جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض
الا نبي أو رجل أو رجلان • •

قال : « ينفعك ان حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذنى • •
قال : جئت أسألك عن الولد • •

قال : « ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر » فاذا
اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة • • أذكرا بمعنى (أى

كان الولد ذكرا) باذن الله ، واذا علا مبني المرأة مبني الرجل
أنشى باذن الله » *

قال اليهودي : لقد صدقت ، وانه لنبي ، ثم انصرف
فذهب . فقال رسول الله ﷺ : « لقد سألتني هذا عن الذي
سألتني عنه ، ومالي علم بشيء منه ، حتى أتاني الله به » *

● وروى الامام أحمد عن أبي عباس قال : حضرت
عصاية من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم
حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبي *

قال : سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما
أخذ يعقوب - عليه السلام - على بيعة ما لئن حدثتكم شيئا
فعرفتموه لتتابعني على الاسلام .. قالوا : فذلك لك ..

قال : « فسلوني عما شئتم » .. قالوا : أخبرنا عن
أربع خلال نسألك عنهن :

- أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل
أن تنزل التوراة ؟

- وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ، كيف يكون
الذكر منه ؟

- وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم ؟ ومن وليه من
الملائكة ؟

قال : « فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم
لتتابعني » *

قال : فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق ..

قال : « فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل
تعلمون أن اسرائيل يعقوب - عليه السلام - مرض مرضا
شديدا وطال سقمه ، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله تعالى من
سقمه ليحرم من أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه ، وكان
أحب الطعام اليه لحم الابل ، وأحب الشراب اليه ألبانها ؟ » *

... قالوا : اللهم نعم *

قال : « اللهم اشهد عليهم ، فأنشدكم بالذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل آييتض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه باذن الله ، ان علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا باذن الله ، وان علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى باذن الله » قالوا :

اللهم نعم * *

قال : « اللهم اشهد عليهم ، فأنشدكم بالذى أنزل التوراة هل تعلمون أن هذا النبی الامی تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ » *

قالوا : اللهم نعم * * قال : « اللهم اشهد » *

قالوا : وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نجتمعك أو نفارقك * *

قال : « فان وليي جبريل - عليه السلام - ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه » *

قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليك سواء من الملائكة لتبعناك وصدقناك *

قال : « فما يمنعكم من أن تصدقوه ؟ » قالوا : انه عدونا

فال : فعند ذلك قال الله - عز وجل :

(فبأعوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)

البقرة ٩٠

(قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله)

البقرة ٩٧

سؤاله صلى الله عليه وسلم عن آيات موسى التسع :

روى الامام أحمد عن صفوان بن عسال المرادى قال :
قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا الى هذا النبى حتى نسأله عن
هذه الآية :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّاهُ بَنِي إِسْرَءِيلَ
إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَاسُوسَ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

الاسراء (١٠١)

فقال : لا تقل له نبى ، فانه لو سمعك لصارت له أربع
أعين . .

فسألاه ، فقال النبى ﷺ : « لا تشركوا بالله شيئا ،
ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
الا بالحق ، ولا تسجروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا
ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة . . أو
قال : لا تفروا من الزحف - وأنتم يا يهود عليكم خاصة
أن لا تعتدوا » قال يزيد : تعدوا فى السبت .

قال : فقبلا يده ورجله ، وقال : نشهد أنك نبى .

قال : « فما يمنعكما أن تتبععاني ؟ »

قالا : ان داود - عليه السلام - دعا أن لا يزال من
ذريته نبى ، وانا نخشى ان أسلمنا أن تقتلنا يهود .

وقد رواه الترمذى والنسائى والحاكم . . وقال
الترمذى : حسن صحيح .

قلت : وفى رجاله من تكلم فيه . . وكأنه اشتبه على
الراوى التسع الآيات بالعشر الكلمات وذلك أن الوصايا التى
أوحاها الله الى موسى ، وكلمه بها ليلة الطور بعدما خرجوا
من ديار مصر ، وشعب بنى اسرائيل حول الطور حضور ،

وهارون ومن معه من العلماء وقوف على الطور حضور ،
حينئذ كلم الله موسى تكليماً أمراً له بهذه العشر كلمات ، وقد
فسرت في هذا الحديث ٠٠ أما التسع الآيات فتلك دلائل
وخوارق وعادات أيد بها موسى - عليه السلام - وأظهرها
الله على يديه بديار مصر ، وهي : العصا ، واليد ، والطوفان ،
والجراد ، والقمل ، والضفادع والدم والجرب ، ونقص
الثمرات .

وقد بسطت القول على ذلك في التفسير بما فيه الكفاية ،
والله أعلم .

● اعتراف اليهود برسالته صلى الله عليه وسلم وتحريف التوراة :

روى أبو داود عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال :
زنى رجل من اليهود وامراً ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا
بنا الى هذا النبي ، فانه نبي بعث بالتخفيف ، فان أفتانا
بفتيا دون الرجم قبلناها واحتجبتنا بها عند الله وقلنا :
فتيا نبي من أنبيائك ٠٠

قال : فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في
أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما ترى في رجل وامراً
زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم ، فقام على
الباب فقال :

« أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون
في التوراة من زنى اذا أحسن ؟ »

قالوا : يحمم بمعنى يسود وجهه بالفحم ويجه ويجلد ،
والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما
ويطاف بهما ٠٠ قال : وسكت شاب منهم . فلما رآه النبي
ﷺ سكت اللفظ بمعنى أى ألح في سؤاله وألزمه إياه به
النشدة ، فقال : اللهم اذ نشدتنا فأننا نجد في التوراة
الرجم ٠ قال النبي ﷺ فما أول ما ارتخصتم أمر الله .

قال : زنى ذو قرابة مع ملك من ملوكنا فأخر عند
الرجم ، ثم زنى رجل فى أسرة من الناس فأراد رجمه فجال
قومه دونه ، وقالوا : لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك
فترجمه ، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم ، فقال النبى
ﷺ : « فانى أحكم بما فى التوراة » فأمر بهما فرجما ..
قال الزهرى : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم :

إِنَّا أَنْزَلْنَا

التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا
وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

المائدة ٤٤

كان النبى ﷺ منهم .

وروى حماد بن سلمة عن أنس أن غلاما يهوديا كان
يخدم النبى ﷺ فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، فوجد
أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله ﷺ :
« يا يهودى ، أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل
تجدون فى التوراة نعتى وصفتى ومخرجى ؟ » .

قال : لا . .

فقال الفتى : بلى ، والله يا رسول الله ، انا نجد فى
التوراة نعتك وصفتك ومخرجك ، وأنى أشهد أن لا إله الا
الله وأنت رسول الله .

فقال النبى ﷺ لأصحابه : « أقيموا هذا من عند رأسه ،
ولوا أخاكم » . .

ورواه البيهقى من هذا الوجه بهذا اللفظ .

وروى أنه ﷺ وقف على مدراس وهو الموضع الذى يدرس فيه كتاب الله وفن مدارس اليهود فقال - « يا معشر اليهود أسلموا ، فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله اليكم » -

فقالوا : قد بلغت يا ابا القاسم - فقال « ذلك آريد »

★ بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم ★

فالذى يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن حيث المعنى أن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ، ولكن أكثرهم يكتُمون ذلك ويخفونه . - قال الله تعالى :

الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

الأعراف (١٥٧)

وقال تعالى :

أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ
مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥٨﴾

الأنعام ١١٤

وقال تعالى :

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ
وَإِنْ قَرِيبًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾

البقرة ١٤٦

وقال تعالى :

وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَامٌ
فَلَنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

ال عمران ٢٠

وقال تعالى :

هَذَا بَلَاءٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوهُ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

ابراهيم ٥٢

وقال تعالى :

قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً
قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ
بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَشَهِدُونَ أَنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ لِّمَنَّا هُوَ إِلَهٌ
وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

الأنعام (١٩)

وقال تعالى :

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هود (١٧)

وقال تعالى :

لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

يس (٧٠)

فكل من بلغه القرآن فهو نذير له ، قال — عليه الصلاة والسلام — « والذي نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة ، يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » رواه مسلم .

وفى الصحيحين : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وترا بها طهورا وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه ويبعث الى الناس عامة » .

وفيهما : « بعثت الى الأسود والأحمر » .

قيل : الى العرب والعجم ، وقيل الى الانس والجن . .
والصحيح أعم من ذلك .

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تنهت النبوة الى آخر أنبياء بنى اسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بنى اسرائيل ، وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ①

سورة الصف آية ٦

فاخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن ذكره موجود في الكتب المتقدمة ، فيما جاء به من القرآن ، وفيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق ، يدل على صدقه في ذلك قطعا ، لأنه لو لم يكن واثقا بما أخبر به من ذلك (من أشد) لكان ذلك من أشد المنفرات عنه ، ولا يقدم على ذلك عاقل * * والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه ، بل هو أعقلهم في نفس الأمر *

ثم انه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب ، وعمت دولة أمته في أقطار الآفاق عموما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها * * فلو لم يكن محمد ﷺ نبيا ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنفروا أمهم منه أشد التنفير ، فانهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم ، ونهو أمهم عن اتباعهم

والاقتدار بهم ، نصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ،
حتى أتى نوح - أول الرسل - قومه *

ومعلوم انه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من
محمد ﷺ ولا التنفير منه ، ولا الاخبار عنه بشيء خلاف
مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه
والنهي عن مخالفته ، والخروج من طاعته * *

قال الله تعالى :

وَلَا تَأْخُذْكَ أَشْأُ الْيَتِيمِ لِلْغِنَىٰ عَنْ آبَائِهِ الْيَتِيمَ الَّذِي يَصْرِفُ
وَحِكْمَةً تَرْجَاءُ كَرِهُوا رُسُلَهُ مُصِيقًا إِلَيْكُمْ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُ
وَلْيَنْصَرِفْ إِلَيْكُمْ وَأُولَٰئِكَ أَثَرُ النَّارِ الَّتِي يُنْفِثُ فِيهَا
الْوَحْشَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَنْجَلُ وَالْأَنْجَلُ وَالْأَنْجَلُ
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

آل عمران : ٨١ ، ٨٢

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : ما بعث الله نبيا
الا اخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد
وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه * رواه البخارى *

● البشارة بمحمد صلى الله عليه
وسلم في الكتب المتقدمة :

وقد وجدت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة وهي
أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر * * ونحن نورد
ها هنا شيئا مما وجد في كتبهم التي يعترفون بصحتها
ويتدبرونها بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديما وحديثا ،
ممن آمن منهم وأطلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم *

★ ففي السفر الأول من التوراة بأيديهم في قصة
ابراهيم الخليل — عليه السلام — ما مضمونه وتعريبه :

« ان الله أوحى الى ابراهيم — عليه السلام — ، بعدما
سلمه من نار النمرود أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها
لولدك ، فلما قص ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك
لولدها منه ، وحرصت على ابعاد هاجر وولدها ، حتى ذهب
بهما الخليل الى بركة الحجاز وجبال فاران ، وظن ابراهيم
— عليه السلام — أن هذه البشارة تكون لولده اسحاق ، حتى
أوحى الله اليه ما مضمونه : أما ولدك اسحاق فانه
يرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك اسماعيل فاني باركته
وعظمته ، وكثرت ذريته ، وجعلت من ذريته ماذا (الحسن
الخلق) ، يعنى محمد ﷺ ، وجعلت في ذريته اثني عشر
اماما ، وتكون له أمة عظيمة » .

وكذلك بشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت ،
فعمطشت وحزنت على ولدها ، وجاء الملك فأنبع زمزم ،
وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد ، فانه سيولد له منه عظيم ، له
ذرية عدد نجوم السماء ، ومعلوم انه لم يولد من ذرية
اسماعيل ، بل من ذرية آدم أعظم قدرا ولا أوسع جاها ،
ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصبا ، من محمد ﷺ ، وهو
الذي استولت دولة أمته على المشارق والمغارب ، وحكموا
على سائر الأمم .

★ وهكذا في قصة اسماعيل من السفر الأول : ان ولد
اسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده ،
وبجميع مساكن اخوته يسكن ، وهذا لم يكن لأحد يصدق
على الطائفة الا لمحمد ﷺ .

★ وأيضا في السفر الرابع في قصة موسى ، أن الله
أوحى الى موسى — عليه السلام — : أن قل لبني اسرائيل :

سأقيم لهم نبيا من أقاربهم مثلك يا موسى وأجعل وحيي
بفيه وإياه تسمعون *

★ وفي السفر الخامس ، وهو سفر الميعاد ان موسى
— عليه السلام — خطب بئى اسرائيل فى آخر عمره ، وذلك
فى السنة التاسعة والثلاثين من سنى التيه ، وذكرهم بايام
الله وإياديه عليهم ، واحسانه اليهم ، وقال لهم فيما قال :
واعلموا أن الله سيبعث لكم نبيا من أقاربكم مثل ما أرسلنى
اليكم ، يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم
الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزي
فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة *

★ وأيضا فى آخر السفر الخامس ، وهو آخر التوراة
التي بأيديهم : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير ،
واستعلن من جبال فاران ، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه
نور وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب *

أى جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء ، وهو الجبل
الذى كلم الله موسى — عليه السلام — عنده ، وأشرق من
ساعير ، وهى جبال بيت المقدس ، المحلة التى كان بها عيسى
ابن مريم — عليه السلام — واستعلن أى ظهر وعلا أمره ،
من جبال فاران ، وهى جبال الحجاز بلا خوف ، ولم يكن
ذلك الا على لسان محمد ﷺ . فذكر الله تعالى هذه الأماكن
الثلاثة على الترتيب الوقوعى : ذكر محله موسى ، ثم عيسى ،
ثم بلد محمد ﷺ *

ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولا ،
ثم الأفضل منه ، ثم الأفضل منه على قاعدة القسم . . قال
تعالى : (والتين والزيتون) والمراد بها محله بيت المقدس ،
حيث كان عيسى — عليه السلام — ، (وطور سنين) وهى
الجبل الذى كلم الله — عليه موسى (وهذا البلد الأمين) وهو
البلد الذى ابتعث منه محمد ﷺ . . قاله غير واحد من
المفسرين فى تفسير هذه الآيات الكريمات *

★ وفى زبور داود - عليه السلام - صفة هذه الأمة
بالجهاد والعبادة ، وفيه مثل ضربه لمحمد ﷺ بأنه ختام
النبوة المبنية ، كما ورد به الحديث فى الصحيحين .

« انما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثلى رجل بنى دارا
فأكملها الا موضع لبنة ، فجعل الناس يطيفون بها ويقولون :
هلا وضعت هذه اللبنة ؟ » ومصدق ذلك أيضا فى قوله
تعالى :

(ولكن رسول الله وخاتم النبيين)

الأحزاب : ٤٠

★ وفى الزبور صفة محمد ﷺ بأنه ستنبسط نبوته
ودعوته ، وتنفذ كلمته من البر الى البحر وتأتيه الملوك من
سائر الأقطار طائعين بالقرايين والهدايا ، وأنه يخلص
المضطرب ، ويكشف الضر عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذى
لا ناصر له ، ويصلى عليه فى كل وقت ، ويبارك الله عليه
فى كل يوم ، ويدوم ذكره الى الأبد ، وهذا انما ينطبق على
محمد ﷺ .

★ وفى صحف شعيا فى كلام طويل فيه معاتبة لبنى
اسرائيل ، وفيه : فانى أبعث اليكم والى الأمم أميا ، ليس
بفظ ولا غليظ القلب ، ولا صخاب فى الأسواق ، أسدده
لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم اجعل السكينة
لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى فى ضميره ، والحكمة
معقوله ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريفته ،
والهدى ملته ، والاسلام دينه ، والقرآن كتابه . . أحمد
اسمه ، أهدى به من الضلالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع
به بعد الفرقة ، وهو المؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل

أمتة خير أمة أخرجت للناس ، قرايبينهم ودمائهم ، أناجيلهم
فى صدورهم : وهيانا بالليل ، ليوثا بالنهار :

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم »

الجمعة ٤

★ وفى الفصل الخامس - أو العاشر - من كلام شعيا :
يدوس الأمم كدوس البیادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب ،
وينهزمون قدامه .

★ وفى الفصل السادس والعشرين منه : ليفرح أرض
البادية العطشى ، ويعطى أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال
الله بمهجته .

● وفى صحف الیاس - علیه السلام - :

انه خرج مع جماعة من اصحابه سائحا ، فلما رأى
العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا الى هؤلاء ، فانهم
هم الذين يملكون حصونكم العظيمة ، فقالوا : يا نبى الله ،
فما الذى يكون معبودهم ، فقال يعظمون رب العزة فوق كل
رابية عالية .

● ومن صحف حزقيال :

ان عبدى خيرتى ، أنزل عليه وحى ، يظهر فى الأمم
عدلى ، اخترته واصطفيته لنفسى ، وأرسلته الى الأمم بأحكام
صادقة .

● ومن كتاب النبوات :

ان نبيا من الأنبياء نزل بالمدينة ، فاستضافه بنو قريظة
والنضير ، فلما رأهم بكى ، فقالوا له : ما الذى يبكيك
يا نبى الله ؟ قال : نبى يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ،
ويسبى حريمكم . قال : فأراد اليهود قتله ، فهرب منهم .

● ومن كلام حزقيال - عليه السلام - :

يقول الله : من قبل أن صورتك في الاحشاء ، قدستك ، وجعلتك نبيا ، وأرسلتك الى سائر الأمم *

● وفي صحف شعيا أيضا :

مثل مضروب لملكه شرفها الله : افرحي يا عاقر بهذا الولد الذي يهبه لك ربك ، فان ببركته تتسع لك الأماكن ، وتثبت أوتادك في الأرض ، وتعلو أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم .. وولدك هذا يرث جميع الأمم ، ويملك سائر المدن والأقاليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، فما بقى يلحقكم ضيم من عدو أبدا ، وجميع أيام ترملك تنسيها .. وهذا كله انما حصل على يدى محمد ﷺ وانما المراد بهذه العاقر : مكة ، ثم صارت كما ذكر في هذا الكلام لا محالة ، ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ويتأوله على بيت المقدس ، فهذا لا يناسبه من كل وجه ، والله أعلم ..

● وفي صحف أرميا :

كوكب ظهر من الجنوب ، أشعته صواعق ، سهامه خوارق ، دكت له الجبال * وهذا المراد به محمد ﷺ *

● وفي الانجيل :

يقول عيسى - عليه السلام : « انى مرتق الى جنات العلا ، ومرسل اليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شيء ، ولم يقل شيئا من تلقاء نفسه » * والمراد بالفارقليط : محمد ﷺ وقد قال عيسى - عليه السلام - ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (وهذا باب متسع ، ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لظال هذا الفصل جدا ، وقد أشرنا الى نبذ من ذلك يهتدى بها من نور الله بصيرته وهداه الى صراطه

المستقيم . . وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علماءهم وأخبارهم ، وهم مع ذلك يتكاثمونها ويخفونها .

● روى البيهقي عن العليان بن عاصم قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذ شخص يبصره إلى رجل فدعاه ، فأقبل رجل من اليهود مجتمع (بلغ أشده) ؟ عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يا رسول الله . . فجعل رسول الله ﷺ يقول : « أتشهد أنني رسول الله » .

فجعل لا يقول شيئا إلا قال : يا رسول الله . فيقول : « أتشهد أنني رسول الله ؟ » فيأبى . . فقال رسول الله ﷺ : « أتقرأ التوراة » .

قال : نعم . . قال : « والانجيل ؟ » قال : نعم ، والفرقان وزب محمد لو شئت لقرأته . قال : « فأنت شاك بالذي أنزل التوراة والانجيل ، وأشياء حلفه بها أتجدني فيهما ؟ » .

قال : نجد مثل نعتك ، يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرنا إذا أنت لست به .

قال : « من أين ؟ » قال : نجد من أمتك سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وانما أنتم قليل :

قال : فهل رسول الله ﷺ وكبير ، وهل وكبير ثم قال : « والذي نفس محمد بيده ، انني لأنا هو ، وإن من أمتي لأكثر من سبعين ألفا وسبعين وسبعين » .

● جوابه صلى الله عليه وسلم عما في نفس سائله من أسئلة قبل أن يتكلم بها :

روى الإمام أحمد عن وابصة الأسدي قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والاثم إلا سألته عنه ، وحوله عصابة (الجماعة من الناس ، وأيضا من الخيل

أو الطير) من المسلمين يستفتونه. فجعلت إخطاهم ، فقالوا : إليك يا وابصة عن رسول الله . . . فقلت : دعوني فادنوا منه ، فانه أحب الناس الى أن أدنو منه . . . قال : « دعوا وابصة ، ادن يا وابصة » مرتين أو ثلاثا قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه . . . فقال : « يا وابصة ، أخبرك أم تسألني ؟ » فقلت : لا ، بل أخبرني . . . فقال : « جئت تسأل عن البر والاثم » . فقلت : نعم . . . فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدرى ، ويقول : « يا وابصة ، استفت قلبك واستفت نفسك - ثلاث مرات - البر ما اطمأنت اليه النفس ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » .

ثالثا : اخباره - صلى الله عليه وسلم - بما يقع في المستقبل ووقوع ذلك كما أخبره :

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها ولكن نحن نشير الى طرق منها وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله المستعان ، وعليه منتزع من القرآن ومن الأحاديث :

١- ما جاء في القرآن الكريم :

فقال تعالى في سورة المزمل ، وهى من أوائل ما نزل بمكة :

عَلَّمَ
أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاَقْرءُوا مَا نَزَّلَ
مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
وَمَا تُقَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ
أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

المزمل آية : ٢٠

ومعلوم أن الجهاد لم يشرع الا بالمدينة بعد الهجرة *
 - وقال تعالى في سورة القمر وهي مكية :

سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلَوْنَ
 الذُّبُرُ ٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ ٤٦

القمر ٤٥ ، ٤٦

ووقع هذا يوم بدر ، وقد تلاها رسول الله ﷺ
 وهو خارج من العريش ، ورماهم بقبضة من الحصباء ،
 فكان النصر والظفر ، وهذا مصداق ذاك *

- وقال تعالى :

لَبَّيْكَ يَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢
 سَيَصْلَىٰ نَارًا إِذَا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَأَمْرًا لَهُ رَحْمَاءُ الْحَطَبِ ٤ فِي
 جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن نَّسْكِمِ ٥

سورة المسد ١ - ٥

فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، الملقب بأبي
 لهب - سيدخل النار هو وامراته ، فقدر الله - عز وجل -
 أنهما ماتا على شركهما ولم يسلما ، حتى ولو ظاهرا * وهذا
 من دلائل النبوة الباهرة *

- وقال تعالى :

قُلْ لِّمَنِ جُمُعَتُ الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
 الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨

سورة الاسراء آية (٨٨)

وقال في سورة البقرة :

وَلَا تَكُونُوا

فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا لِلنَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

سورة البقرة الآية ٢٣ ، ٢٤

فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاقدوا وتناصروا
وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته
وبلاغته ، وحلاوته واحكام احكامه ، وبيان حاله وحرامه ،
وغير ذلك من وجوه الاعجاز ، لما استطاعوا ذلك ، ولما قدروا
عليه ، ولا على عشر سور منه ، بل ولا سورة . . وأخبر أنهم
لن يفعلوا ذلك أبدا . . ولن تنفى التأييد في المستقبل ،
ومثل هذا التحدى وهذا القطع ، وهذا الاخبار الجازم ،
لا يصدر الا عن واثق بما يخبر به ، عالم بما يقوله ، قاطع
أن أحدا لا يمكنه أن يعارض ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه
عز وجل .

— وقال تعالى :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَيَسْخَرَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسَّخَرْنَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

سورة النور الآية ٥٥

وهكذا وقع سوا بسواء ، مكى الله هذا الدين وأظهره ،
وأعلاه ونشره فى سائر الآفاق وأنقذه وأمضاه .

وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ،
ولا شك فى دخوله فيها ، ولكن لا تختص به ، بل تهمة كما
تهم غيره ، كما ثبت فى الصحيح :

« اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا هلك كسرى
فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى
سبيل الله » وقد كان ذلك فى زمن الخلفاء الثلاثة : أبى بكر ،
وعمر ، وعثمان - رضى الله عنهم - وأرضاهم .

- وقال تعالى :

هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ①

سورة الصف آية ٩

وهكذا وقع وعم هذا الدين ، وغلب وعلا على سائر
الأديان فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلت كلمته فى زمن
الصحابة ومن بعدهم ، وذلت لهم سائر البلاد ، ودان لهم
جميع أهلها على اختلاف أصنافهم ، وصار الناس : اما مؤمن
داخل فى الدين ، واما مهادن باذل الطاعة والمال ، واما
محارب خائف وجل من سطوة الاسلام وأهله .

وقد ثبت فى الحديث : « ان الله زوى لى مشارق الأرض
ومغاربها ، وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها » .

— وقال تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَايَةً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَانْبَغَوْا
أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾

سورة الفتح آية ١٦

وسواء كان هؤلاء هوازن ، أو أصحاب مسيلمة ، أو
الروم ، فقد وقع ذلك •

— وقال تعالى :

وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
فَجَعَلَ لَكُم مَّا فِي هَٰذِهِ وَمَا تُنَازِلُ النَّاسَ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَهُدًى لَّكُمْ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

سورة الفتح ٢٠ - ٢١

وسواء كانت هذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فتحت
واخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء •

.. وقال تعالى :

لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ أَتَىٰ أَمْرًا إِن شَاءَ
اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

سورة الفتح : (٢٧)

قائد الأمم - ٣٥٣

فكان هذا الوعد فى سنة الحديبية سنة ست ٠٠ ووقع
 انجازه فى سنة سبع عام عمره القضاء ٠٠٠ وكان عمر
 - رضى الله عنه - قد سأل الرسول ﷺ يا رسول الله ألم تكن
 تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرتكم
 أنك تأتية عامك هذا ؟ » قال : لا ٠٠ « فانك تأتية وتطوف
 به » ٠

.. وقال تعالى :

وَلِذَٰ

يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَقْدٌ وَأَنَّا غَيْرُ ذَا الشَّوْكَةِ
 تَكُونُ لَكُمْ ٤٧

سورة الأنفال : ٧

وهذا الوعد كان فى وقعة بدر لما خرج رسول الله ﷺ
 من المدينة ليأخذ غير قريش ، فبلغ قريشا خروجه الى غيرهم
 فنفروا فى قريب من ألفا مقاتل ، فلما تحقق اما العير أو
 النفير فود كثير من الصحابة ، ممن كان معه أن يكون الوعد
 للغير ، لما فيه من الأموال وقلة الرجال ، وكرهوا لقاء النفير
 لما فيه من العدد والعدد ، فأجاب الله لهم وأنجز لهم وعدد فى
 النفير ، فافرغ بهم بأسه الذى لا يرد فقتل من سرااتهم سبعون
 وأسر سبعون ، وفادوا أنفسهم بأموال جزيلة ، فجمع لهم
 بين خيرى الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى :

وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَيِّطَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَبِقَدَرٍ ۝ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ⑦

الأنفال : ٧

— وقال تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ
إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَنَّكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

الأنفال : ٧٠

وهكذا وقع ، فان الله عوض من أسلم منهم بخيرى الدنيا
والآخرة ، ومن ذلك ما رواه البخارى أن العباس جاء الى
رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ، أعطني ، فانى فاديت نفسى ، وفاديت
عقيلا . . فقال له : « خذ » . . فأخذ فى ثوب مقداراً لم
يمكنه أن ينقله ، ثم وضع منه مرة بعد مرة حتى أمكنه أن
يحملة على كاهله ، وانطلق به ، وهذا من تصديق الآية
الكريمة .

— وقال تعالى :

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

التوبة : ٢٨

وهكذا وقع . . عوضهم الله عما كان يفتدو اليهم مع
حجاج المشركين بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب ، وضرب
الجزية عليهم ، وسلب أموال من قتل منهم على كفره ، كما
وقع يكفار أهل الشام والروم ، ومجوس الفرس بالعراق
وغیرها من البلدان التى انتشر الاسلام على أرجائها ، وحكم
على مدائنهم وقيافها . . قال الله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ①

الصف : ٩

ـ وقال تعالى :

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ
فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ ②

التوبة : ٩٥

وهكذا وقع لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ،
كان قد تخلف عنه طائفة من المنافقين ، فجعلوا يحلفون بالله
لقد كانوا معذورين في تخلفهم * * وهم في ذلك كاذبون ،
فأمر رسول الله ﷺ أن يجرى أحوالهم على ظاهرها ولا يفضحهم
عند الناس وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر
رجلا * * فكان حذيفة بن اليمان من يعرفهم بتعريفه إياه ﷺ

ـ وقال تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ③
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَتَمُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ④

فصلت : ٥٢ ، ٥٣

وكذلك وقع ، أظهر الله من آياته ودلائله في أنفس
البشر ، وفي الآفاق بما أوقعه من الناس بأعداء النبوة ،

ومخالفى الشرع ، ممن كذب به من أهل الكتابين ، والمجوس
والمشركين ، حاول ذوو البصائر والنهى على أن محمدا رسول
الله حقا ، وأن ما جاء به من الوحي عن الله صدق . . وقد
أوقع له فى صدور أعدائه وقلوبهم رعبا ومهابة وخوفا ،
كما ثبت فى الصحيحين أنه قال :

« نصرت بالرعب مسيرة بعهد »

وقيل : كان اذا أعزم على غزو قوم أرعبوا قبل مجيئه
اليهم ووروده عليهم يشهد . . صلوات الله وسلامه عليه
دائما الى يوم الدين .

٢ - ما جاء فى الأحاديث الشريفة بما يقع فى المستقبل
فوقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم :

وأما الأحاديث الدالة على اخباره بما وقع كما أخبر
. . فمنها :

(١) قصة الصحيفة :

وفيهما تعاقدت بطون قريش تماثلوا على بنى هاشم
وبنى المطلب أن لا يؤدوهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ،
حتى يسلموا اليهم رسول الله ﷺ ، فدخلت بنو هاشم وبنو
المطلب ما بمسلمهم وكافرهم ، شعب أبى طالب أنفى لذلك ،
ممتنعين منه أبدا ، ما بقوا دائما ، ما تناسلوا وتعاقبوا . .
وفى ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللاحية التى يقول فيها :

كذبتهم دبيب الله نبزى محمدا

ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وما تدك قوم لا أبالك سييدا

يحوظ - الذمار - غير ذرب مواكل

• وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

وكانت قريش قد علقت صحيفة الزعامة في سقف الكعبة ، فسلط الله عليها الأرضة بمعنى (دوبيه بيضاء تشبه النملة تظهر في أيام الربيع •) فأكلت ما فيها أسماء الله لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور • وقيل : انها أكلت ما فيها الا أسماء الله - عز وجل • • فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عمه أبا طالب ، فجاء أبو طالب الى قريش فقال : ان ابن أخى قد أخبرنى بخبر عن صحيفتكم ، فان الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها الا ما فيها من أسماء الله • • أو كما قال : فأحضروها ، فان كان كما قال ، الا أسلمته

اليكم • • فأنزلوها ففتحوها ، فاذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ فعند ذلك نقضوا حكمها ، ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ، ورجعوا الى ما كانوا عليه قبل ذلك • • والله الحمد •

٢ - اتمام الدين وتمكين المسلمين فى الأرض :

روى البخارى عن خباب بن الارت - رضى الله عنه - قال : شكونا الى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا :

ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟

فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر

حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله
والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » . .

● رؤيا الهجرة واحد والفتح :

روى الشيخان عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال :

« رايت فى المنام انى اهاجر من مكة الى ارض بها
نخل ، فذهب وهلى بمعنى (وهمى واعتقضى ، الى انها
اليمامة او هجر (مدينة بالبحرين) فاذا هى يثرب . .
ورأيت فى رؤياى هذه انى هزرت سيفاً فانقطع صدره ،
فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرتة أخرى
فعاد أحسن ما كان ، فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع
المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقراً ، والله خير ، فاذا هم
النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ما جاء الله به من الخير
بعد ، وثواب الصدق الذى اتانا بعد يوم بدر » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل أمية بن خلف :

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق
سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف بن أبى صفوان ،
وكان أمية اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد
فقال أمية لسعد .

ألا أنتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت
فطفت . .

فبينما سعد يطوف اذا أبو جهل ، فقال : من هذا الذى
يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد :

فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة أمامنا وقد أويتم محمدا
وأصحابه ؟

فقال : نعم . . فتلاحيا فيها بينهما فقال أمية لسعد : لا ترفع
صوتك على أبى الحكم ، فانه سيد أهل الوادى . .

ثم قال سعد : والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام . . قال :

فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه . . فغضب سعد فقال : دعنا عنك ، فاني سمعت محمدا ﷺ يزعم انه قاتلك .

قال : ايأى ؟ قال : نعم . . قال : والله ما يكذب محمد اذا حدث . . فرجع الى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي ؟

قالت : وما قال ؟ . . قال : زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلي .

قالت : فوالله ما يكذب محمد . . قال : فلما خرجوا الى بدر وجاء الصريخ ، قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟

قال : فأراد أن لا يخرج . . فقال له أبو جهل : انك من أشرف الوادي ، فسر يوما أو يومين . فسار معهم فقتله الله .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل أبي بن خلف :

عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال : « بل أنا أقتله ان شاء الله » .

فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوت ان نجا محمد . . فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوه أبي بن خلف من فرجة بين سابقه الدرع والبيضة ، فطعنه فيها بالحربة ، فوقع الى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور . . فقالوا له : ما أجرك ، انما هو خدش ؟!

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « أنا أقتل أبيا » .
ثم قال : والذي نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل
ذى المجاز لما اتوا أجمعون .

فمات الى النار ، فسحقا لأصحاب السعير .

قال الواقدي : وكان ابن عمر يقول :

مات أبى بن خلف ببطن رابغ ، فأنى لأسير ببطن رابغ
بعد هوى من الليل ، اذا أنا بنار تأججت ، فهبتها ، واذا برجل
يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش ، فاذا رجل يقول :
لا تسقه ، فانه قتيل رسول الله ﷺ هذا أبى بن خلف .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله
ﷺ : « أشد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى
سبيل الله » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع القتلى يوم بدر :

روى مسلم من حديث أنس بن مالك ، عن عمر بن
الخطاب قال : ان رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر
بالأمس يقول : « هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله » .

قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق ، ما أخطأوا الحدود
التي حدها رسول ﷺ .

قال : فجعلوا فى يثر بعضهم على بعض . فانطلق
رسول الله ﷺ حتى انتهى اليهم ، فقال : « يا فلان ابن فلان ،
ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ؟
فانى وجدت ما وعدنى الله حقا » .

قال عمر : يا رسول الله ، كيف تكلم أجسادا لا أرواح
فيها ؟

قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم
لا يستطيعون أن يردوا على شيئا » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم عن رجل فى صفوف المسلمين بانه من أهل النار :

روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفى اصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاة بمعنى انه لا يدع أحدا على الطريق . الا اتباعها يضربها بسيفه . فقالوا : ما أجزأنا اليوم أحدكما أجزأ فلان . بمعنى ما أغنى وكفى أحد غناؤه وكفايته .

فقال رسول الله ﷺ : « أما أنه من أهل النار » .

فقال رجل من القوم : أنا صاحبه بمعنى أصحبه فى الخفاء وألزمه لأنظر السبب الذى به يصير إلى النار .

قال : فخرج معه ، كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال : فجرح الرجل جرحا شديدا ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بمعنى طرفه الأسفل ، أما طرفه الأعلى فبمقبضه بين ثديه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه . فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله .

قال : « وما ذاك ؟ »

قال : الرجل الذى ذكرت أنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت فى طلبه حتى جرح جرحا شديدا ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم عن قبر أبى رغال :

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه الى الطائف ، فمررنا بقبر فقال :

« ان هذا قبر أبى رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة ، التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ، ان أنتم نبشتم عنه وجدتموه معه » فابتدره الناس فاستخرجوا منه النار .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بفناء ملك كسرى وقيصر :

روى الشيخان عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده ، لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » .

وقد وقع مصداق ذلك بعده فى أيام الخلفاء الثلاثة : أبى بكر - عمر ، وعثمان . . استوثقت هذه الممالك فتحت على أيدي المسلمين ، وأنفقت أموال قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، فى سبيل الله .

وفى هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين ، وهى أن ملك فارس قد انقطع فعلا فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها ، فلا يملكوها بعد ذلك ، والله الحمد المنة . . وفيه دلالة على صحة خلافة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان . . والشهادة لهم بالعدل ، حيث أنفقت الأموال المغنومة فى زمانهم فى سبيل الله على الوجه المرضي الممدوح .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بعموم الأمن ربوع البلاد :

روى البخارى عن عبدى بن حاتم قال : بينما أنا عند
النبي ﷺ اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا
اليه قطع السبيل . . فقال : « يا عدى ، هل رأيت الحيرة ؟ »

قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . .

قال : « فان طالت بك حياة لترين الظعينة بمعنى المرأة
فى الهودج ترتحل من الحيرة بكسر الحاء بلد من ملوك العرب
حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله » .

قلت فيما بينى وبين نفسى : فأين دعار طيىء وهو الشاطر
الخبيث المفسد قد شعروا البلاد بمعنى أوقدوا فيها نار
الفتنة ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » .

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : « كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين
الرجل يخرج ملء كفه ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه
فلا يجد أحدا يقبله منه وذلك لعدم وجود الفقراء فى ذلك
الزمان . وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه
ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟
فيقول : بلى . . فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ . .
فيقول : بلى . .

فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وينظر عن يساره
فلا يرى الا جهنم » . .

قال عدى : سمعت النبي ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو
بشق تمر ، فمن لم يجد شق تمر فبكلمة طيبة » .

قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى
تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز

كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي
أبو القاسم عليه السلام « يخرج ملء كفه » وروى الامام أحمد عن
خباب قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل الكعبة متوسدا
بردة له فقلنا يا رسول الله ، ادع الله لنا واستنصره ، قال :
فاحمر لونه أو تغير ، فقال :

« لقد كان من قبلكم تحفر له حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع
على رأسه ، فيشق ، ما يصرفه عن دينه ، ويمشط عن دينه ،
الحديد ما دون عظم من لحم أو عصب ، ما يصرفه عن دينه ،
وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء الى
حضر موت ما يخشى الا الله - تبارك وتعالى - والذئب على
غنمه ، ولكنكم تعجلون » وهكذا رواه البخارى .

اخباره صلى الله عليه وسلم بفتح البلاد وانتشار الاسلام :

روى البخارى فى كتاب « علامات النبوة » عن عتبة عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على
الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال :

« انى فرطكم اى متقدم عليكم وانا شهيد عليكم ، انى
والله لأنظر الى حوضى الآن ، انى قد أعطيت مفاتيح خزائن
الأرض ، وانى والله ما أخاف بعدى أن تشركوا ، ولكنى
أخاف أن تنافسوا فيها » .

ففى هذا الحديث فيما نحن بصدده أشياء منها :

— انه أخبر الحاضرين أنه فرطهم ، أى المتقدم عليهم
فى الموت ، وهكذا ومع ، فان هذا كان فى مرض موته عليه
السلام .

— ثم أخبر أنه شهيد عليهم وان تقدم وفاته عليهم .

— وأخبر أنه أعطى مفاتيح خزائن الأرض ، أى فتحت
له البلاد كما جاء فى حديث أبى هريرة . .

قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تفتحنها
كفرا كفرا ، أى بلدا بلدا .

— وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده ، وهكذا وقع
ولله الخير والمنة ، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا فى الدنيا ،
وقد وقع هذا فى زمان على معاوية — رضى الله عنها — ثم من
بعدهما * * وهلم جرا الى وقتنا هذا .

● بشارته صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بأنه من أهل
الجنة .

روى البخارى عن أنس أن النبى ﷺ افتقد ثابت بن
قيس ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أعلم لك علمه * *
فأتاه فوجده جالسا فى بنيه ، منكسا رأسه ، فقال له :
ما شأنك ؟

فقال : شر ، كان يرفع صوته أى كنت أرفع صوتى
فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار .

فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا * *

فقال موسى : فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ،
فقال : « اذهب اليه فقل له : انك لست من أهل النار ، ولكن
من أهل الجنة » .

وقد قتل ثابت بن قيس بن شماس شهيدا يوم القيامة
حيث حفر لقدميه فى الأرض الا أنصاف ساقيه ، وهو حامل
لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن ، فلم يزل ثابتا حتى قتل
هناك .

● بشارته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سلام بأنه من
أهل الجنة

ثبت فى الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام
أنه يموت على الاسلام ، ويكون من أهل الجنة وقد مات

— رضى الله عنه — على أكمل أحواله وأجملها ، وكان الناس يشهدون له بالجنة فى حياته لاخبار الصادق عنه بأنه يموت على الاسلام ، وكذلك وقع .

● بشارته صلى الله عليه وسلم للعشرة أصحاب الشجرة بأنهم من أهل الجنة :

ثبت فى الصحيح الاخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة . . بل ثبت أيضا الاخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة ، وقيل : وخمسمائة . .

ولم ينقل أن أحدا من هؤلاء — رضى الله عنه — عاش الا حميدا ، ومات على السداد والاستقامة والتوقيت ، والله الحمد والمنة . . هذا من أعلام النبوات ودلالات الرسالة .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بما كان يدور بينهم دون أن يطلعوه عليه :

روى الامام أحمد عن قيس بن أبى شهم قال : مرت بى جارية بالمدينة ، فأخذت بكشعها ما بين الخصرة والضلع قال : وأصبح الرسول ﷺ يبائع الناس ، فأتيناه فلم يبايعنى ، فقال : « وصاحب الحبيزة الآن بمعنى الجذب ؟ »

قال : قلت : والله لا أعود . . قال : فبايعنى .

وروى البخارى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نتقى الكلام والانبساط الى نساءنا على عهد النبى ﷺ هيبة أن ينزل فينا شيء ، فلما توفى النبى ﷺ تكلمنا وانبسطنا .

وروى أبو داود عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصى الحافر : « أوسع من قبل رجله ، أوسع من قبل رأسه » .

فلما رجع استقبله داعي امرأة ، فجاء وجيء بالطعام ، فوضع يده ثم وضع للقوم فأكلوا فنظر ، آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فمه ، ثم قال : « أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها » . .

فأرسلت المرأة فقالت : يا رسول الله ، انى أرسلت الى البقيع يشتري لى شاة ، فلم أجد ، فأرسلت الى جار لى قد اشتري شاة أن أرسل الى بها بثمانها فلم يوجد ، فأرسلت الى امرأته فأرسلت الى بها . . فقال رسول الله ﷺ « ألعميةه الاسارى » .

ثالثا : « الاخبار بالغيوب المستقبلية » :

ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة بن اليمان قال : قام رسول الله ﷺ فينا مقاما ما ترك فيه شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله ، وقد كنت أرى الشيء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل اذا غاب عنه فرآه فعرفه .

وفى صحيح مسلم عن أبى يزيد عمرو بن أخطب قال : أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان ، وبما هو كائن الى يوم القيامة وفى الحديث الآخر .

حتى تدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بشأن عمر بن الخطاب :

ثبت فى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « انه قد كان فى الأمم محدثون أى ملهمون فإن يكن فى أمتى فعمر بن الخطاب .

وروى البيهقى عن طارق بن شهاب قال : كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسان ملك . وفى سيرة عمر - رضى الله عنه - الكثير من المغيبات والمكاشفات التى تثبت هذا . .

ومن ذلك قصة سارية بن زنييم : ذكر السواقدي عن نافع مولى ابن عمر أن عمر قال على المنبر : يا سارية بن زنييم الجبل ، فلم يدر الناس ما يقول ، حتى قدم سارية بن زنييم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين • كنا محاصري العدو ، فكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد ، نحن في خفض من الأرض وهم في حصن عال ، فسمعت صائحا ينادي بكذا وكذا : يا سارية بن زنييم الجبل فعلوت بأصحابي الجبل ، فما كان الا ساعة حتى فتح الله علينا •

● اخباره صلى الله عليه وسلم بأويس القرني :

روى مسلم عن أسيد بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد بمعنى جماعة أهل اليمن ، سألهم : أفياكم أويس بن عامر ؟ • حتى أتى على أويس ، فقال : أنت أويس بن عامر ؟

قال : نعم • قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم •

قال : فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم ؟

قال : نعم • قال : ألك والدة ؟

قال : نعم •

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي عليكم أويس ابن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ، ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لي • • فاستغفر له •

فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة • • قال :

الا أكتب لك الى عاملها ؟ قال : أكون في غبراء الناس بمعنى

ضعافهم وأخلاقهم الذين لا يؤبه بهم ، أحب الي •

فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم ، فوافق
عمر ، فسأله عن أويس ، قال : تركته رث البيت قليلا
المتاع .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتى عليكم أويس
ابن عامر مع امداد أهل اليمن ، من مراد ثم من قرن ، كان
به برص فبرأ منه ، الا موضع درهم ، له والدته هو بها بر ، لو
أقسم على الله لأبره ، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل » .

فأتى أويسا فقال استغفر لى قال : أنت أحدث عهدا
بسفر صالح فاستغفر لى . قال استغفر لى : قال : أنت أحدث
عهدا بسفر صالح فاستغفر لى . قال : لقيت عمر ؟

قال : نعم ، فاستغفر له . ففطخ له الناس ، فانطلق
هائما على وجهه .

قال أسيد : وكسوته بردة ، فكان كلما رآه انسان قال :
من أين لأويس هذه البردة ؟!

● أخباره صلى الله عليه وسلم بشهادة أم ورقة بنت نوفل :

روى أبو داود عن أم ورقة بنت نوفل أن النبي ﷺ
لما غزا بدرا قالت : قلت له : يا رسول الله ، ائذن لى فى
الغزو معك ، أمرض مرضاكم ، لعل الله أن يرزقنى شهادة .
قال : « قرى فى بيتك ، فان الله تعالى يرزقك الشهادة » .

فكانت تسمى الشهيدة ، وكانت قد قرأت القرآن ،
فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ فى دارها مؤذنا فأذن لها . .
وكانت دبرت غلاما لها وجارية ، فقاما اليها بالليل فغماها
بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا . . فأصبح عمر - رضى الله
عنه - فقام فى الناس فقال : من كان عنده من هذين علم ،
أو من رآهما فيلجىء بهما . . فأمر بهما فصلبا ، فكانا أول
مصلوب بالمدينة .

وقد رواه البيهقي ، وفيه : وكان رسول الله ﷺ يزورها
ويسمونها الشهيدة ، فذكر الحديث ، وفي آخره ، فقال عمر :
صدق رسول الله ﷺ ، كان يقول :

« انطلقوا بنا نزور الشهيدة » *

● أخباره صلى الله عليه وسلم بآيات ست بين يدي الساعة :

روى البخارى عن عوف بن مالك قال : أتيت رسول الله
ﷺ فى غزوة تبوك ، وهو فى قبة من آدم ، فقال : « أعد
ستا بين يدي الساعة » : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم
فوثائه (هو الموت الكثير الوقوع) يأخذ فيكم كقصاص (داء
يأخذ الدواب) الغنم ، ثم استفاضة المال (كثرته) حتى
يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت
من العرب الا دخلته ثم هدته تكون بينكم وبين بنى الأصفر
(هم الروم) فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت
كل غاية اثنا عشر ألفا *

وقد حدث الموتان فى أيام عشر ، وهو طاعون عمواس
سنة ثمانى عشرة ، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة ،
منهم معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان ،
وشرحبيل بن حسنه ، وأبو جندل ، وسهل بن عمر وأبوه ،
والفضل بن العباس عبد المطلب ، رضى الله عنهم أجمعين *

● عمر بن الخطاب سد منيع أمام الفتن :

ثبت فى الصحيحين عن حذيفة قال : كنا جلوسا عند
عمر فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة ؟
قلت : أنا * قال : هات ، انك لجرىء * فقلت : ذكر فتنة
الرجل فى أهله ، وماله ، ونفسه ، وولده ، وجاره ، تكفرها
الصيام والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن
المنكر *

فقال عمر : ليس هذا أعنى ، انما أعنى التى تمسج
موج البحر •

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان بينك وبينها بابا مغلقا •
قال : ويحك ، أيفتح الباب أم يكسر ؟ قلت : بل يكسر •
قال : اذن لا يغلق أبدا •

قلت : أجل • فقلنا لحذيفة : أفكان عمر يعلم من
الباب ؟ قال : نعم ، وانى حدثته حديثا ليس بالأغاليط •
قال فهبنا أن نسأل حذيفة : من الباب ؟ فقلنا لمسروق
فسأله ، فقال : من الباب ؟ قال : عمر وهكذا وقع من بعد
مقتل عمر ، وقعت الفتن فى الناس ، وتأكد ظهورها بمقتل
عثمان - رضى الله عنهما - •

وعن عروة بن قيس قال : خطبنا خالد بن الوليد فقال :
ان أمير المؤمنين عمر بعثنى الى الشام ، فحين ألقى بوانييه
(أى خيره وما فيه من السعة والنعمة) وصار بثنيه وعسلا
أراد أن يؤثر بها غيرى ويبعثنى الى الهند !!

فقال الرجل من تحته : اصبر أيها الأمير ، فان الفتن
قد ظهرت • فقال خالد : أما وابن الخطاب حى فلا ، وانما
ذاك بعده •

● بشارته صلى الله عليه وسلم لعمر بالشهادة :

روى الامام أحمد أن رسول الله ﷺ أبصر على عمر
ثوبا أبيض فقال : « أجديد ثوبك أم غسيل » قال : لا أدرى
ما رد عليه •

فقال : « البس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا » •

وأظنه قال : « ويرزقك الله قرعة عين فى الدنيا
والآخرة » • وهكذا رواه النسائي وابن ماجه •

وقد وقع ما أخبر به ﷺ فقد قتل عمر - رضي الله عنه - شهيدا وهو قائم يصلي الفجر في محرابه من المسجد النبوي ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام •

● اشارته صلى الله عليه وسلم الى ما سيصيب عثمان - رضي الله عنه :

ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال : توضأت في بيتي ، ثم خرجت فقلت : لاكونن اليوم مع رسول الله ﷺ فجيئت المسجد ، فسألت عنه فقالوا : خرج وتوجه ههنا ، فخرجت في أثره حتى جئت بئر اريس ، وبابها من جريد ، فجلست عند الباب ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ ، فقممت اليه ، فاذا هو قد جلس على بئر اريس ، وتوسط قفها (حافة البئر) وكشف عن ساقيه ، ودلاهما في البئر ، قال فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن • فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » •

قال : فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ، ورسول الله يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ، ودلى رجله في البئر ، كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست ، وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقني ، فقلت : ان يرد الله بفلان - يريد أخاه - خيرا يأت فيه • • فاذا انسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟

فقال : عمر بن الخطاب • فقلت : على رسلك ؟ ثم جئت الى رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، وقلت : هذا عمر يستأذن •

فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فجيئت عمر فقلت : ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة •

قال : فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ، ودلى رجله فى البئر . . ثم رجعت فجلست فقلت : أن يرد الله بفلان خيرا - يعنى أخاه - يأت به فجاء انسان فحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان .

فقلت : على رسلك ، وجئت النبی ﷺ فأخبرته فقال : « ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه » قال : فجلت فقلت : ادخل ، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك . . قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وجاههم من الشق الآخر . قال سعيد بن المسيب (راوى الحديث عن أبى موسى) فأولتها قبورهم . وهذا البلاء الذى أصابه هو ما اتفق وقوعه على يدى من انكر عليه من رعاى أهل الأمصار بلا علم ، فحاصروه فى داره حتى ال الحال بعد ذلك كله الى اضطهاده وقتله - رضى الله عنه - وجعل جنات الفردوس منقلبه ومثواه .

- وروى الامام أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادعوا الى بعض أصحابي » قلت : أبو بكر ؟ قال : « لا » . . قلت : عمر ؟ قال : لا . قلت : ابن عمك على ؟ قال : « لا » قلت : عثمان ؟ قال : « نعم » .

فلما جاء عثمان قال : « تنحى » ، فجعل يساره ولون عثمان يتغير . قال أبو سهل (راوى الحديث عن عائشة) : فلما كان يوم الدار وحضر فيها ، قلت : يا أمير المؤمنين ، ألا تقاتل ؟ قال : لا ، ان رسول الله ﷺ عهد الى عهدا وانى صابر نفسى عليه .

- وروى البيهقى عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« سيكون فيكم اثنا عشر خليفة ، أبو بكر الصديق لا يلبث خلفى الا قليلا وصاحب رضى العرب ، يعيش حميدا

ويموت شهيدا » • فقال رجل : ومن هو يا رسول الله : قال :
« عمر بن الخطاب » •

ثم التفت الى عثمان فقال : « وأنت يسألك الناس أن
تخلع قميصا كسأكه الله والذي بعثني بالحق لئن خلعتنه
لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » •

● أخبره صلى الله عليه وسلم بالكيفية التي
يموت عليها أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - :

روى الامام أحمد عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر
الوفاة بكيت فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : ومالي لا أبكي وأنت
تموت بفلاة من الأرض ، ولا يد لي بدفنك ، وليس عندي
توب يسمعك فأكفنك فيه : قال : فلا تبكي ، وأبشري ، فأنى
سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصاة
من المؤمنين » وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في
قرية أو جماعة ، واني أنا الذي أموت بفلاة ، والله ما كذب
ولا كذبت • والحديث مشهود في موته - رضي الله عنه -
بالربذة سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان • •
وكان في النفر الذين قدموا عليه عبد الله بن مسعود ، وهو
الذي صلى عليه ، ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليال ومات
- رضي الله عنه - •

● أخبره صلى الله عليه وسلم
بموت أبي الدرداء على الايمان :

روى البيهقي عن أبي الدرداء قال : قلت : يا رسول
الله ، بلغني أنك تقول : « ليرتدن أقوام بعد ايمانهم » قال :
أجل ، ولست منهم • قال : فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل
عثمان •

وفى رواية عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :
« أنى فرطكم على الحوض ، أنتظر من يرد على منكم ،
فلا ألفين أنازع أحدكم فأقول : انه من أمتى ، فيقال : هل
تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ » .

قال أبو الدرداء : فتخوفت أن أكون منهم ، فاتيت
رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : « انك لست منهم » .
وتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان ، وقبل أن تقع
الفتن .

● أخباره صلى الله عليه وسلم عن الفتن الواقعة في
آخر أيام عثمان وفي خلافة علي - رضى الله عنهما - :

★ ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ
أشرف على اطم (القصر أو الحصن) من اطام المدينة ثم قال :
« هل ترون ما أرى ؟ انى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم
كمواقع القطر » .

★ وروى أحمد ومسلم عن حذيفة بن اليمان قال :
والله ، انى لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بينى وبين
الساعة ، وما بى الا أن يكون رسول الله ﷺ أسر الى فى ذلك
شيئا ، لم يحدثه غيرى . . . ولكن رسول الله ﷺ قال وهو
يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ﷺ وهو يعد
الفتن : « منهن ثلاث لم يكدن يذرن شيئا . . . ومنهن فتنة
كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار » .

قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى .

قال البيهقى : مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل
عثمان ، وقبل الفتنتين الأخريين فى أيام علي .

قلت : وقال العجلي وغير واحد من علماء التاريخ :
كانت وفاة حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوما ، وهو الذى

قال : لو كان قتل عثمان هدنيا لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه ضلالة فاحتلبت به الأمة دما .

وقال : لو أن أحدا ارتقص لما صنعتهم بعثمان لكان جديرا أن يرقص .

★ وعن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول :

« لا إله إلا الله ، نويل للعرب من شر قد اقترب » فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه . . . وعقد سفيان (أحد الرواه) بيده عشرة » .

قلت يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » .

★ وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

« ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعد به » .

★ روى الامام أحمد عن مسلم بن أبي بكره عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال :

« انها ستكون فتن ، ثم تكون فتن ، ألا فالماشي فيها خير من الساعي اليها ، والقاعد فيها خير من القائم فيها ، ألا والمضطجع فيها خير من القاعد ، ألا فان نزلت فمن كان له غنم فليلق بغنمه ، ألا ومن كانت له أرض فليلق بأرضه ، ألا ومن كانت له ابل فليلق بابله » .

فقال رجل من القوم : يا نبي الله جعلني الله فداك ،
أرأيت من ليست له غنم ولا أرض ولا ابل ، كيف يصنع ؟

قال : « لياخذ سيفه ثم يعمد به الى صخرة ، ثم ليدق على
حده بحجر ، ثم ليفج ان استطاع النجاة ، اللهم هل بلغت
— قالها ثلاثا — » .

اذ قال رجل : « يا رسول الله ، جعلني الله فداك ، أرأيت
ان اخذ بيدي مكرها ، حتى ينطلق بي الى أحد الصفيين أو
الفتتين ، فيحذفني رجل بسيفه فيقتلني ، ماذا يكون من
شأني ؟ قال : « يبوء باثمك واثمه ويكون من أصحاب
النار » .

وهذا اخبار عن اقبال الفتى ، وقد وردت أحاديث كثيرة
فى معنى هذا .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بخروج
عائشة على على — رضى الله عنهما — :

★ وروى الامام أحمد عن عائشة — رضى الله عنها —
أنها لما أقبلت ، يعنى من مسيرها الى وقعة الجمل ، وبلغت مياه
بنى عامر ليلا ، نبعت الكلاب ، فقالت : أى ماء هذا ؟ قالوا :
ماء الحوآب .

فقالت : ما أظننى الا راجعة .

فقال بعض من كان معها : بل تقدمين ، فيراك المسلمون
فيصلح الله — عز وجل — ذات بينهم . قالت : ان رسول الله ﷺ
قال لنا ذات يوم : « كيف باحداكن تنبح عليها كلاب
الحوآب !! ؟ » .

وفى رواية أخرى عن أحمد أيضا أن عائشة لما أتت على
الحوآب فسمعت نباح الكلاب قالت : ما أظننى الا راجعة ،

ان رسول الله ﷺ قال لنا : «أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب؟»
فقال لها : ترجعين ؟! عسى الله - عز وجل - أن يصلح بك
بين الناس .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بفتال طلحة والزبير لعلى - رضى الله عنهم - أجمعين :

★ وروى الطبرانى عن ابن عباس قال : لما بلغ
أصحاب على ، حين ساروا الى البصرة ، ان أهل البصرة قد
اجتمعوا لطلحة والزبير ، شق عليهم ووقع في قلوبهم ،
فقال على : والذي لا اله غيره ، ليظهرنه على أهل البصرة ،
ويقتلن طلحة والزبير وليخرجن إليهم من الكوفة ستة آلاف
 وخمسمائة وخمسون رجلا ، او خمسة آلاف خمسمائة
 وخمسون رجلا .

قال ابن عباس : فوقع ذلك في نفسى ، فلما أتى
الكوفة ، خرجت فقلت : لانظرن ، فان كان كما يقول ، فهو
أمر سمعه ، والا فهو خديعة الحرب . . فلقيت رجلا من
الجيش ، فسألته ، فوالله ما عثم (ابطأ وتأخر) ان قال ما قال
على ، قال ابن عباس : وهو ما كان رسول الله ﷺ يخبره .

★ وروى أحمد عن أبى وائل قال : لما بعث على عمارا
والحسن الى الكوفة ليستنفراهم ، خطب عمار فقال : انى
لا أعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله - عز
وجل - ابتلاكم لتتبعوه أو اياها .

وهذا كله وقع فى أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة
- رضى الله عنها - على ما كان من خروجها ، وكذلك الزبير
ابن العوام أيضا تذكر وهو واقف فى المعركة أن قتاله فى
هذا الموطن ليس بصواب ، فرجع عن ذلك : روى عن
عبد الرزاق عن قتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ
عليها ، فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى ،

وذلك أن النبي ﷺ لقيهما في سقيفه بنى ساعده فقال
« أتجبه يا زبير » فقال : وما يمنعني ؟ قال : « فكيف بك اذا
قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون انما ولي لذلك .

وهذا مرسل من هذا الوجه . . . وقد أسنده البيهقي من
وجه آخر ، فروى أنه لما دنا علي وأصحابه من طلحة الزبير ،
ودنت الصفوف بعضها من بعضها ، خرج علي وهو على بغلة
رسول الله ﷺ فنادى : ادعوا لي الزبير بن العوام . . . فأتى
علي ، فدعى له الزبير ، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ،
فقال علي : يا زبير ، ناشدتك بالله ، أتذكر يوم مر بك
رسول الله ﷺ فكان كذا وكذا فقال : « يا زبير ، أتجبه
علي ؟ » فقلت : ألا أحب ابن خالي ابن عمي وعلى ديني ؟
فقال : « يا علي ، أتجبه ؟ » .

فقلت : يا رسول الله ، ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني ؟
فقال : « يا زبير ، أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له » .

فقال الزبير : بلى ، والله لقد نسيته منذ سمعته من
رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك .

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه
عبد الله بن الزبير فقال : مالك ؟ فقال : ذكرني على حديث
سمعته من رسول الله ﷺ سمعته وهو يقول : « لتقاتلنه
وأنت ظالم له » . . . فلا أقاتله .

فقال : وللمقاتل جئت ؟ ! انما جئت تصلح بين الناس
ويصلح الله هذا الأمر . قال : قد حلفت أن لا أقاتله قال :
فأعتق غلامك خير ، وقف حتى تصلح بين الناس .

فأطلق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس ذهب علي
فرسه .

★ وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه -
قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقتل
فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما
واحدة » *

وهاتان الفئتان هما : أصحاب الجمل ، أصحاب صفين ،
فانهما جميعا يدعون الى الاسلام ، وانما يتنازعون في شيء
من أمور الملك ، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة
والرعايا وكان ترك القتال أولى من فعله ، كما هو مذهب
جمهور الصحابة رضوان الله عليهم *

● اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل عمار :

قال صفوان بن عمرو : كان أهل الشام ستين ألفا ،
فقتل منهم عشرون ألفا وكان أهل العراق مائة وعشرين
ألفا ، فقتل منهم أربعون ألفا ، وكان على وأصحابه أدنى
الطائفتين الى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية
كانوا باغين عليهم * * كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة
أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » *

وفي رواية من حديث أم سلمة : « يقتل عمارا الفئة
الباغية » وفي رواية :

« وقاتله في النار » *

وروى الامام أحمد عن أبي البختري قال : قال عمار
يوم صفين : ائتوني بشربة لبن ، فان رسول الله ﷺ قال :
« آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن » فأتى بشربة لبن *
فشربها ثم تقدم فقتل *

وروى البيهقي عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » *

ومعلوم أن عمارا كان فى جيش على يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام ، وكان الذى تولى قتله رجل يقال له أبو الفادية ، رجل من أفناد (أى من أضخمهم وأكفرهم بالنعمة) الناس ، وقيل انه صحابى ، وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره فى أسماء الصحابة ، وهو أبو الفادية مسلم . . وقد أخطأ من قال : كان قاتل عمار بدريا .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وبيان أوصافهم وما سيكون من أمرهم :

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بنى تميم فقال : يا رسول الله أعدل .

فقال ﷺ « ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل » .

فقال عمر : يا رسول الله ، ائذن لى فيه ، فأضرب عنقه .

فقال : « دعه فان له أصحابا يحضر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرؤن القرآن ، لا يجاوز تراقيهم يمرقون مع الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر نصله « حديد السهم » فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى رصافه « مدخل النصل من السهم » فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نضيه وقدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى الفرث « ريش السهم فلا يوجد فيه شيء قد سق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى عضويه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة » القطعة من اللحم « تدردر » أى تضطرب وتذهب وتتجىء ويخرجون على حين فرقه من الناس » .

قال أبو سعيد : فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ أشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فاتى به حتى نظرت اليه على تعنت النبى ﷺ الذى نعتة .

وروى مسلم عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « تمرق مارقه عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » .

وروى مسلم أيضا عن بشير بن عمرو قال : سألت سهل ابن حنيف : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج؟

فقال سمعته يقول : وأشار بيده نحو المشرق وفى رواية نحو العراق : « يخرج قوم يقرءون القرآن بالسنتهم لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية محلقة رءوسهم » .

★ وفى الصحيحين عن على - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتى فى آخر الزمان قوم ، حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام » أى صفار الأسنان ، ضعاف العقول « يقولون من خير قول البرية » أى هو القرآن ، كقولهم : « لا حكم الا لله » يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم « أى أنهم مؤمنون باللسان لا بالقلب » فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ولكم أجر من قتلهم يوم القيامة .

★ وروى مسلم عن زيد بن وهب الجهنى انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على - رضى الله عنه - الذين ساروا الى الخوارج ، فقال على - رضى الله عنه - أيها الناس انى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن ، ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ،

ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرءون القرآن ، يحسبون
انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقبهم ، يمرقون من
الاسلام كما يمرق السهم من الرمية .

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان
نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له
عضو ، وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلقة الشدي عليه
شعرات بيض فتذهبون الى معاوية وأهل الشام وتتركون
هؤلاء يخلفونكم في ذرائعكم فأموالكم ، والله ، انى لأرجو
أن يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا
في سرح « أى الماشية السائمة » الناس ، فسيروا على اسم الله .

قال سلمة بن كهيل : فأنزلى زيد بن وهب منزلا حتى
قال : مررنا على فنظره فلما التقينا ، وعلى الخوارج يومئذ
عبد الله بن وهب الراسبي ، فقال لهم : القوا البرماح وسلوا
سيوفكم من جفونها « أى أخرجوها من غمادها » فانى أخاف
أن يناشدوكم « أى سألتك بالله وأقسمت عليك » كفا
ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم « أى
رموا بها عن بعد منهم » وسلوا السيوف .

قال : وقتل بعضهم على بعضا ، وما أصيب من الناس
يومئذ الا رجلا ، فقال على - رضى الله عنه - التمسوا فيهم
المحذج « أى ناقض اليد » فالتمسوه فلم يجدوه . . . فقام
على - رضى الله عنه - بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم
على بعض . . . قال : آخروهم فوجدوه مما يلى الأرض فكبر
ثم قال : صدق الله ، وبلغ رسوله قال : فقام اليه عبيدة
السلماني فقال : يا أمير المؤمنين ، الله الذى لا اله الا هو ،
لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟

فقال : أى ، والذى لا اله الا هو . . . حتى استخلفه
ثلاثا وهو يحلف .

وفى رواية المسلم أيضا عن عبيدة أن عليا ذكر
الخوارج ، فقال فيهم رجل مخرج مودن أو مشيرون اليد

« أي صغير اليد مجتمعيًا » لولا أن تبطروا « أي التجبر والشدة » لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ قال : قلت : أنت سمعته من محمد ﷺ ؟ قال : أي ، ورب الكعبة ، أي ورب الكعبة .

★ وروى البيهقي عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله . قال : « لا » ، فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : « لا ولكن خاصف النعل » يعني عليا .

الخلاصة :

الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ووقوع ذلك في زمان على معلوم بالضرورة لأهل العلم قاطبة .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل علي - رضي الله عنه وكيفية حدوث ذلك :

★ روى الإمام أحمد بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلي ، حين ولي غزوة العشرة : « يا أبا تراب (لما يرى عليه من التراب) ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه (يعني قرنه) حتى يبيل هذه (يعني لحيته) » .

★ وروى أحمد بن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري ، وكان أبوه من أهل بدر قال : خرجت مع أبي طالب من مرض أصاب به ثقل منه قال : فقال له أبي : ما يقيمك بمنزلك هذا ؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينه ، تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك فقال

على أن رسول الله ﷺ عهد إلى أن لا أموت حتى أومر ثم تخضب هذه (يعنى لحيته) من دم هذه (يعنى هامته) •

قال : فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين •

وقد طعن علي - رضى الله عنه - علي يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي ، وهو خارج لصلاة الصبح عند السدة (أى باب الدار) وبقي علي يومين من طعنته ، وحبس ابن ملجم فلما مات علي قتل ابن ملجم قودا ، وقيل : حدا والله أعلم •

● أخباره - صلى الله عليه وسلم - بما سيكون من أمر الحسن بعد مقتل والده :

روى البخارى عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال : أخرج النبى ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به المنبر فقال : « ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى ﷺ سواء فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب فى جيوش أهل العراق وسار إليه معاوية فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصرى فمال الحسن بن علي إلى الصلح وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية ، وذلك سنة أربعين ، فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة فسمى ذلك عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالاسلام فمن كفرهم أو واحدا منهم لمجرد ما وقع ، فقد أخطأ وخالف النص النبوى المحمدى الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى •

● أخباره - صلى الله عليه وسلم - بخلافة معاوية :

● روى نعيم بن حماد « الفتن والملاحم » عن علي بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع الغرم ، ضخم البلغم ، يأكل ولا يشبع وهو عرى » •

وفى رواية : « لا تذهب الأيام والليالي حتى تجتمع هذه الأمة على معاوية » .

● وروى البيهقي عن معاوية قال : والله ما حملنى على الخلافة الا قول رسول الله ﷺ لى : « معاوية ، ان ملكت يا معاوية فأحسن » .

وفى رواية أيضا للبيهقى : أن معاوية أخذ الادارة فتبع رسول الله ﷺ فنظر اليه فقال : « يا معاوية ، ان وليت أمرا فاتق الله وأعدل » .

قال معاوية : فما زلت أظن انى مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ .

★ وروى أبو داود عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » ثم يقول أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها .

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - بغزو البحر الى قبرص أو قتال الروم .

● روى الشيخان عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان (هي أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك) فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت « أى زوجها له » فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلئ رأسه « أى تفتش شعر رأسه لتستخرج هوامه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك .. قالت : فقلت وما يضحك يا رسول الله ؟

قال : « ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا (رأى مثل الملوك) على الأسيرة » . قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت : وما يضحك يا رسول الله ؟

قال : « ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله
كما قال في الأول » . .

قالت : فقلت : يا رسول الله أدع لي الله أن يجعلني منهم
قال : « أنت من الأولين » فركبت البحر من زمان معاوية بن
أبي سفيان فصرعت علي دابتها حين خرجت من البحر
فهلكت .

● وروى البخاري عن أم حرام أنها سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا
(أي فعلوا فعلا وجبت لهم به الجنة) » .

قالت : يا رسول الله أنا فيهم ؟
قال : « أنت فيهم » . . ثم قال النبي ﷺ : « أول جيش
من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » .

فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : « لا » . . تفرد
به البخاري دون أصحاب الكتب الستة .

وفيه من دلائل النبوة ثلاث :

أحداها : الاخبار عن الغزوة الأولى في البحر وقد
كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان حين
غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان وكانت
معهم أم حرام بنت ملحان هذه في صحبة زوجها عبادة بن
الصامت، أحد النقباء ليلة العقبة فتوفيت فأرجعهم من الغزو
بالشام وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين .

والغزوة الثانية : غزوة قسطنطينية مع أول جيش
غزاها وكان أميرها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وذلك
في سنة ثنتين وخمسين كان معهم أبو أيوب ، خالد بن

زيد الأنصارى فمات هناك - رضى الله عنه وأرضاه - ولم تكن هذه المرأة معهم ، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك فى الغزوة الأولى فهذا الحديث فيه ثلاث آيات عن دلائل النبوة : الأخبار عن الغزوتين والأخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين وكذلك وضع صلوات الله وسلامه عليه .

★ أخباره - صلى الله عليه وسلم - عن غزو الهند :

روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : حدثنى خليلي الصادق المصدوق : رسول الله ﷺ أنه قال :

« يكون فى هذه الأمة بعث الى السند والهند » فان أنا أدركته فاستشهدت فذلك . وان أنا فذكر كلمة - رجعت - فأنا (أبو هريرة المحدث) قد أعتقت من النار ، وقد غزا المسلمون الهند فى أيام معاوية سنة أربع وأربعين . . وقد غزا الملك محمود وقد صاحب غزوته فى حدود أربعمائة ، بلاد الهند قد دخل فيها وقتل وأسر وسبى وغنم ، ودخل السومينات وكسر الند الأعظم الذى يعبدونه واستلب سيوفه وقلائده ثم رجع سالما مؤيدا منصورا .

★ أخباره - صلى الله عليه وسلم - بقتال الترك :

روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين حمر الوجوه . دلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة وتجدون من خير الناس أشرهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام وليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب اليه من أن يكون له مثل أهله وما له » .

.. ★ وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة - رضى الله عنه ما عن النبى ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتلى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم
حمر الوجوه ، فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان
المطرقة نعالهم الشعر » - تابعه غيره عن عبد الرازق ، وقد
ذكر عن الامام أنه قال : أخطأ عبد الرازق في قوله :
(خوزا) بالخاء وانما هي بالجيم (جوز وكرمان) وهما
بلدان معروفان بالشرق ، والله أعلم .

★ وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة - رضى الله
عنه - قال : صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين لم اكن فى
سنى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن سمعته يقول :
وقال هكذا بيده !

« بين يدى الساعة تقاتلون قوما نعالهم الشعر وهو هذا
البارز » قال سفيان مرة : وهم أهل البارز .

ورواه منسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ
« تقاتلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر كأن وجوههم
المجان المطرقة حمر الوجوه صغار الأعين » .

قلت : وأما قول سفيان بن عيينة : انهم هم أهل البارز
فالمشهور فى الرواية تقديم الراء على الزين ولعله تصحيف
اشتبه على القائل البارز وهو السوق بلغتهم والله أعلم .

★ وروى الامام أحمد عن عمرو بن ثعلب قال سمعت
رسول الله ﷺ يقول :

« ان من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما نعالهم الشعر
أو ينتعلون الشعر وان من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما
عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة والمقصود أن
قتال الترك وقع فى آخر أيام الصحابة قاتلوا القان الأعظم
فكسروه كسرة عظيمة .

★ بشارته - صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن سلام بموته على الاسلام :

روى مسلم عن خرشه بن الحر مال : كنت جالسا في حلقة
في مسجد المدينة وفيها شيخ حسن الهيئة ، وهو عبد الله بن
سلام . . . فجعل يحدثهم حديثا حسنا ، فلما قام قال القوم :

من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فليتنظر الى
هذا .

قال : فقلت : والله لأتبعته فلأعلمن مكان بيته . .
فتبعته فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ثم دخل منزله
فاستأذنت عليه فأذن ، فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟

فقلت له : سمعت القوم لك لما قمت : من سره أن ينظر
الى رجل من أهل الجنة فليتنظر الى هذا . . فأعجبني أن أكون
معك قال : الله أعلم بأهل الجنة وسأحدثك لم هم قالوا ذاك ؟ .
انى بينما أنا نائم اذ أتانى رجل فقال لى : قم ، فأخذ بيدي
فانطلقت معه فاذا أنا بجواد « أى الطريقة البينة المسلوكة »
عن شمالي فأخذت لأخذ فيها ، فقال لى : لا تأخذ فيها فانها
طرق أصحاب الشمال . . قال فاذا جواد منهج (أى الطريق
المستقيم) على يميني ، فقال لى : خذ ههنا . . فأتى بى جبلا
فقال لى : اصعد . . قال : فجعلت اذا أردت أن أصعد خرت
على ابتي حتى فعلت ذلك مرارا .

قال ثم انطلق بى حتى أتى بى عمودا ، رأسه فى السماء
وأسفله فى الأرض فى أعلاه حلقة فقال لى : اصعد فوق
هذا .

فقلت : كيف أصعد هذا ورأسه فى السماء ؟!

قال : فأخذ بيدي فزجل بى (أى رمى بى) ، فاذا أنا
متعلق بالحلقة ، ثم ضرب العمود فخر وبقيت متعلقا بالحلقة
حتى أصبحت فأتيت النبى ﷺ فقصصتها عليه فقال : « اما

الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال ،
وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين ،
وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله ، وأما العمود فهو
عمود الاسلام وأما العروة فهي عروة الاسلام ولن تزال
متمسكا بها حتى تموت » .

قال البيهقي : وهذه معجزة ثانية ، حيث أخبر انه
لا ينال الشهادة وهكذا وقع فانه مات سنة ثلاث وأربعين
فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

★ إخباره - صلى الله عليه وسلم -
عن موت ميمونة بنت الحارث بسرف :

روى البخارى فى التاريخ عن يزيد بن الأصم قال :
نقلت ميمونة بمكة ، وليس عندها من بنى أختها احد . .
فقالت : من مكة فانى لا أموت بها ان رسول الله ﷺ أخبرنى
أنى لا أموت بمكة .

فحملوها حتى أتوا بها الى سرف ، الشجرة التي بها
رسول الله ﷺ تحتها فى موضع القبّة . فماتت رضى الله عنها .
قلت : وكان موتها سنة احدى وخمسين على الصحيح .

★ إخباره - صلى الله عليه وسلم -
بمقتل حجر بن عدى وأصحابه :

روى يعقوب بن سفيان فى تاريخه عن عبد الله بن رزين
الغافقى قال : سمعت على بن أبى طالب يقول يا أهل العراق
سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء « موضع على بعد اثنى عشر
ميلا فى دمشق » مثلهم كمثل أصحاب الأخدود . . . فقتل حجر
ابن عدى وأصحابه .

.. وروى أبو نعيم أن زياد بن سمية ذكر على بن أبي طالب على المنبر فقبض حجر على الحصباء ، ثم أرسلها وحصبت من حوله زيادا . . . فكتب الى معاوية يقول : ان حجر حصبنى وأنا على المنبر . . . فكتب اليه معاوية أن يحمل حجرا فلما قرب دمشق بعث من يتلقاهم فالتقى معهم بعذراء فقتلهم .

قال البيهقي : لا يقول على مثل هذا الا أن يكون سمعه من رسول الله ﷺ وروى أن معاوية دخل على عائشة فقالت ما حملك على قتل أهل البذراء حجرا وأصحابه ؟

فقال : يا أم المؤمنين ، انى رأيت قتلهم اصلاحا للأمة وان بقاءهم فساد .

فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيقتل بعذراء ناش ، يفضب الله لهم وأهل السماء » .

وروى يعقوب بن سفيان عن تاريخه أيضا عن عائشة رضى الله عنها - قالت : يا معاوية ، قتلت حجرا وأصحابه وفعلت الذى فعلت أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك ؟

قال : لا ، انى فى بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الايمان قيد الفتك » (أى يأتى الرجل صاحبه وهو غافل فيقتله أو يجرحه) لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك ؟

قالت : صالح ، قال فدعيني وحجرا حتى نلتقى عند ربنا - عز وجل - .

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - عن موت سمرة بن جندب :

روى يعقوب بن سفيان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعشرة من أصحابه « أخرجكم موتا فى النار » . . . فيهم سمرة بن جندب .

قال أبو نضرة : فكان سمرة آخرهم موثا وروى من طريق آخر عن أنس بن حكيم قال : كنت أمر بالمدينة فالتقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألني عن سمرة فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال :

انا كنا عشرة في بيت وان رسول الله ﷺ قام علينا ونظر في وجوهنا وأخذ بيضاووني الباب وقال « آخركم موثا فتن النار » .

قلت : وذكر غيره أن سمرة بن جندب - رضى الله عنه - « أصابه كرار (أى بحة وصوت في الصدر) شديد وكان يوقد له على قدر مملوءة ماء حارا فيجلس فوقها ليتدفأ ببخارها فسقط يوما فيها فمات - رضى الله عنه - وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبى هريرة بسنة وقد كان شديدا على الخوارج مكثرا للقتل فيهم ويقول : هم شر قتلى تحت أديم السماء . . وكان الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة يثنون عليه رضى الله عنهم . »

★ ستكون بعدى أثره :

● روى البخارى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : « ستكون بعدى أثره » (أى الأنانية وحب الذات) قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟

.. قال : « تؤدون الحق الذى عليكم وتسالون الله الذى لكم »

● وروى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يهلك الناس هذا الحى من قريش » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو أن الناس اعتزلوهم » .

● وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة قال سمعت الصادق المصدوق يقول « هلاك أمتي على يدي غلمة من قریش » .

فقال مروان : غلمة !؟ قال أبو هريرة : ان شئت ان أسميتهم : بنى فلان وبنى فلان : تفرد به البخاري .

وروى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هلاك أمتي على يدي غلمة من قریش » .
قال مروان (وهو معنا فى الحلقة قل ان يلى شيئا) :
فلعنة الله عليهم غلمة .

قال : أما والله لو أشاء أن أقول بنو فلان وبنو فلان لقلت .

قال : فكنت أخرج مع أبي وجدى الى بنى مروان بعدما ملكوا فاذا هم يبايعون الصبيان ، ومنهم من يبايع له وهو فى خرقة .

قال لنا عيسى : أصحابكم هؤلاء ان يكونوا الذى سمعت أبا هريرة يذكر ان هذه الملوك يشبه بعضها بعضا .

● وروى يعقوب بن سفيان عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يزال هذا الأمر معتدلا قائما بالقسط حتى يتسلمه رجل من بنى أمية » .

● وروى البيهقي عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان أول من يبدل سنتي رجل من بنى أمية » وهذا متقطع بين أبي العالية وأبي ذر وقد رجحه البيهقي

بحديث أبي عبيدة المتقدم وقال : ويشبه أن يكون هذا الرجل هو : يزيد بن معاوية والله أعلم قلت : الناس في يزيد بن معاوية أقسام :

— فمنهم من يحبه ويتولاه وهم طائفة من أهل الشام من النواصب .

— وأما الروافض فيشنعون عليه ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه ويتهمة كثير منهم بالزندقة ، ولم يكن كذلك .

— وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبونه ، لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقا كما تقوله الرافضة ، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة ، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة . . فمن أنكرها : قتل الحسين بن علي بكر بلاء ولكن لم يكن ذلك من علم منه ولعله لم يرضى به ولم يسوؤه وذلك من الأمور المنكرة جدا ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية .

★ اخباره — صلى الله عليه وسلم —
بمقتل الحسين بن علي — رضى الله عنهما :

روى الامام أحمد عن أنس قال : استأذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له ، فقال لأم سلمة : « احفظي علينا الباب ولا يدخل علينا أحد » .

فجاء الحسين بن علي فوثب حتى دخل فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ فقال له الملك أتعبه ؟ فقال النبي ﷺ : نعم ؟

قال : فان أمتك تقتله وان شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه . . قال : فضرب بيده فأراه ترايا أحمر . . فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرتة في طرف ثوبها قال : فكنا نسمع يقتل بكر بلاء .

وفيه عماره بن زاذان هو الصيدلاني أبو سلمه البصري
وقد اختلفوا فيه .

قال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتمين
وضعه أحمد مرة ووثقه أخرى .

— وروى البيهقي عن أم سلمه أن رسول الله ﷺ
اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فترقد ثم
استيقظ وهو حائر دون ما رأيت منه في المرة الأولى ثم
اضطجع واستيقظ وفي يده تربة حمراء وهو يقلبها فقلت :
ما هذه التربة يا رسول الله ؟

فقال : « أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق
— الحسين — فقلت : يا جبريل أرني تربة الأرض التي يقتل
بها فهذه تربتها » .

★ اخباره — صلى الله عليه وسلم —
عن وقعة الحرة التي كانت في زمن يزيد :

روى يعقوب بن سفيان في تاريخه عن أيوب بن بشير
المقافري أن رسول الله ﷺ خرج في سفر من أسفاره ، فلما
مر بحرة زهرة وقف فاسترجع ، فساد ذلك من معه وظنوا أن
ذلك من أمر سفرهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ،
ما الذي رأيت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما إن ذلك ليس من
أمر سفركم هذا » قالوا : فما هو يا رسول الله ؟

قال « يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد اصحابي » .
وهذا مرسل .

وزوى يعقوب بن سفيان عن عكرمة عن ابن عباس
قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة :

« ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا
الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا »

الاجزاء : ١٤

قال : اعطوها يعنى ادخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة .

وهذا اسناده صحيح الى ابن عباس وتفسير الصحابي
فى حكم المرفوع عند كثير من العلماء .
سبب هذه الواقعة :

وكان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا
على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم
وأطلق لأميرهم وهو عبد الله بن حنظلة بن عامر ، قريبا من
مائة ألف درهم فلما رجعوا ذكروا لأهلهم عن يزيد ما كان
يقع منه من القبائح فى شربة الخمر وما يتبع ذلك من
الفواحش الذى كان من أكبرهم ترك الصلاة عن وقتها بسبب
السكر فاجتمعوا على خلعه فخلعوه عن المنبر النبوى فلما بلغه
ذلك بعث اليهم سرية يقدمها رجل يقال له : مسلم بن عقبة -
وانما يسميه السلف : مسرف بن عقبة فلما ورد المدينة
استباحها ثلاث أيام فقتل فى غضون هذه الأيام بشرا كثيرا
حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها .

وزعم بعض علماء السلف انه قتل فى غضون ذلك
ألف بكر « أى عتراء » والله أعلم . . وذكر عبد الله بن
وهب عن الامام مالك : قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من
حملة القرآن . . حسبت انه قال : وكان فيهم ثلاثة من
أصحاب رسول الله ﷺ وذلك فى خلافة يزيد . وذكر يعقوب بن
سفيان أنه قتل يوم الحرة عبد الله بن يزيد المازنى ومعتل
ابن سليمان الاشجعي ومعاذ بن الحارث القارى وقتل
عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر .

وقال يعقوب : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث
بقيين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، ثم انبعث مسرف بن
عقبة الى مكة قاصدا عبد الله بن الزبير ليقتله بها لأنه فر
من بيعة يزيد فمات يزيد بن معاوية فى غضون ذلك واستفحل

أمر عبد الله بن الزبير في الخلافة بالحجاز ثم أخذ العراق
ومصر .

وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد وكان رجلاً
صالحاً ، فلم تطل مدته ، مكث أربعين يوماً وقيل عشرين
يوماً ، ثم مات رحمه الله فوثب مروان بن الحكم على الشام
فأخذها فبقي تسعة أشهر ثم مات .

وقام بعده ابنه عبد الملك ، فنازعه فيها عمرو بن سعيد
ابن الأشدق ، وكان نائباً على المدينة من زمن معاوية وأيام
يزيد ومروان . فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر
من بعد ابنه عبد الملك فضاق به ذرعاً ، ولم يزل به حتى
أخذه بعدما استفحل أمره بدمشق ، فقتله في سنة تسع
وستين . ويقال : في سنة سبعين ، واستمرت أيام عبد الملك
ابن مروان حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، قتله
الحجاج بن يوسف الثقفي عن أمره بمكة بعد محاصرة
طويلة اقتضت أن نصب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن
الزبير لجأ إلى الحرم فلم يزل به حتى قتله ثم عهد في الأمر إلى
بنيه الأربعة بعده الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ثم هشام
ابن عبد الملك .

وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول
الله ﷺ : « تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن أمارة الصبيان » .
.. وقال : « لا تذهب الدنيا حتى يظهر اللعك ابن اللعك » .

قال الاسود : يعنى : اللثيم ابن اللثيم .

وقد روى الترمذي عن أبي هريرة قال : « قال رسول
الله ﷺ : « عمر أمتي من ستين سنة إلى سبعين سنة » . ثم
قال : حسن غريب .

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم -
بما سيكون من أمر قيس بن حرسه :

وروى البيهقي عن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي
قال : اصطحب قيس بن خرشة وكعب حتى إذا بلغا صنفين
(موضع بشاطيء الفرات) وقف كعب ثم نظرا ساعة ثم
قال : ليهرق بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهرق
ببقعة من الأرض مثله * فغضب قيس ، وقال : وما يدريك
يا أبا اسحاق ما هذا ؟ فان هذا من الغيب الذي استأثر الله
به ! فقال كعب : ما من الأرض سيرا إلا مكتوب في التوراة
الذي أنزل الله على موسى ويكون عليه ما يخرج منه الى يوم
القيامة *

ف قيل لمحمد بن يزيد : ومن قيس بن خرشة ؟

قال : ان قيس بن خرشة قدم على النبي ﷺ فقال :
أبايعك على ما جاء من الله وعلى أن أقول الحق *

فقال النبي ﷺ : « يا قيس ، عسى أن يمد بك الدهر أن
يليك بعدى من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم » *

قال قيس : والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت لك به
فقال رسول الله ﷺ « اذا لا يضرك بشر » *

فبلغ قيس الى أيام عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان
وكان قيس يعيب زياد وابنه عبيد الله بن زياد فبلغ ذلك
عبيد الله ، فأرسل اليه : انت الذي تفتري على الله وعلى
رسوله ؟

قال : لا ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفتري على الله
وعلى رسوله من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ؟

قال : ومن ذاك ؟ قال : أنت ، وأهلك والذي أمركما *
قال قيس : وما الذي افتريت على رسول الله ﷺ ؟ قال : نزع

انه لن يضرك بشر !! قال : نعم ، قال : لتعلمن اليوم انك قد كذبت ، اتتوني بصاحب العذاب وبالعذاب • قال محمد بن يزيد : فمال قيس عند ذلك فمات •

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - بذهاب
بصر عبد الله بن عباس في آخر عمره :

روى البيهقي عن العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله الى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد عنده رجلا فرجع ولم يكلمه الرجل الذي معه ، فلقي رسول الله ﷺ العباس بعد ذلك فقال العباس : أرسلت اليك ابني فوجد عندك رجلا فلم يستطع أن يكلمك ، فرجع •

فقال رسول الله ﷺ : وراه ؟ قال : نعم • •

قال : « أتدرى من ذلك الرجل ؟ » ذاك الرجل جبريل - عليه السلام - ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما •
وقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عمى - رضى الله عنه - •

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - بكذاب ثقيف ومبيرها :

● ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وعن مسلم عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال : « ان بين يدي الساعة ثلاثين كذابا دجالا كلهم يزعم أنه نبي » •

● وروى البيهقي عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا منهم : مسيلمة والعنيس والمختار وشر قبائل العرب : بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف » •

وفيه محمد بن الحسن الأسدي له افرادات وحدث عنه

الثقات من الناس . . وقال البيهقي : لحديثه في المختار
شواهد صحيحة . .

ثم روى عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت للحجاج بن
يوسف الثقفي : أم ان رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف
كذابا ومبيرا (أى مهلكا) فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير
فلا أخالك (أى ما أظنك) الا اياه .

● وروى البيهقي عن أبي المحيا عن أمه قالت : لما قتل
الحجاج عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبي
بكر فقال : يا أمى أن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك
من حاجة ؟

فقالت : لست لك بأم ولكنى أم المصلوب على رأس
الثنية ومالى من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك بما سمعت
من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « يخرج من ثقيف كذاب
ومبير » . . فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت .
فقال الحجاج مبير المنافقين !! وقد تواتر خبر المختار بن أبي
عبيد الكذاب الذى كان نائبا على العراق وكان يزعم أنه نبي
وان جبريل كان يأتيه بالوحى وقد خيل لابن عمر وقد كان
زوج أخت المختار وصفيه . ان المختار يزعم أن الوحى يأتيه
قال صدق . . قال الله تعالى :

وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْعِلُ الظَّالِمُونَ

الأنعام ٢١

● وروى أبو داود الطيالسى عن رفاعة بن شداد قال :
كنت الصق شىء بالمختار الكذاب ، فدخلت عليه ذات يوم
فقال : دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي . .

قال فأهويت الى قائم السيف لأضربه حتى ذكرت حديثا
حدثني عمرو بن الحمق الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال :

« اذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة » . . فكففت عنه .

— وروى البيهقي عن أبي عذبة قال : جاء رجل الى عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — فأخبره ان أهل العراق قد حصبوا (أى رموه وأبعدوه وخرجوا عليه) أميرهم غضبان فصلى لنا الصلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله فلما سلم أقبل على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟

فقام رجل ثم قام آخر ثم قمت أنا ثالثا أو رابعا . . فقال يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق فان الشيطان قد ألبس عليهم بالعلوم الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وزاد الدارمى فى روايته وما ألد الحجاج يومئذ . فى رواية للدرايمى أيضا قال أبو اليمان : علم عمر — رضى الله عنه — ان الحجاج خارج لا محالة فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة التى لا بد . قلت : فان كان هذا نقله عمر عن رسول الله ﷺ فلقد تقدم له شاهد عن غيره ، وان كان تحديث ، فكرامة الولي معجزة لنبيه .

وزوى البيهقي عن عمر بن عبد العزيز قال : لو جاءت كل أمة بخبيثتها ، وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وعن عاصم بن أبى النجود قال : ما بقيت لله حرمة الا وقد ارتكبها الحجاج بمعنى غير صاف ولا خالص وعن ابن طاوس أن أباه لما تحقق موت الحجاج تلا قوله تعالى : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » قلت : وقد توفى الحجاج سنة خمس وتسعين .

« اشارته صلى الله عليه وسلم عن أمته يأتون من بعده
يهتدى الناس بهديهم » *

★ اشارته صلى الله عليه وسلم بخلافة عمر بن عبدالعزيز :

ثبت فى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال : كان
الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن
الشر مخافة أن يدركنى . . فقلت : يا رسول الله ، انا كنا
فى جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير
شر ؟

قال : « نعم » فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال :
« نعم ، وفيه دخن » (أى كدر) قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم
يستنون بغير سنتى ، ويهدون بغير هدى ، تعرف منهم
وتنكر »

فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ، دعاة
على أبواب جهنم (أى يدعون الناس الى الضلالة ويصدونهم
عن الهدى بأنواع من التلبيس) من أجابهم اليها قذفوه فيها »
فقلت يا رسول الله : صفهم لنا *

قال : نعم ، قوم من جلدتنا ، (أى من أنفسنا وعشيرتنا)
ويتكلمون بالسنتنا (أى بلسان عربى) *

قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على
« تلزم جماعة المسلمين وامامهم » *

فقلت : فان لم تكن لهم جماعة ولا امام ؟

قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تقضى على
أصل شجرة (كناية عن مكابدة المشقة ، لاستمرار اللزوم ،
كقوله فى الحديث الآخر : « عضوا عليها بالنواجذ » حتى
يدركك الموت وأنت على ذلك ، حمل البيهقى وغيره هذا الخبر
الثانى على أيام عمر بن عبد العزيز *

وروى البيهقي عن العباس بن الوليد بن مرثد عن أبيه
قال : سئل الأوزاعي عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول
الله ﷺ عن الشر الذي يكون بعد ذلك الخير ، فقال الأوزاعي :
هي الردة التي كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وفى مسألة حذيفة : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال :
« نعم ، وفيه ، دخن » .

قال الأوزاعي : فالخير : الجماعة ، وفى ولائهم من
تعرف سيرته ، وفيهم من تنكر سيرته .

قال : فلم يأذن رسول الله ﷺ فى قتالهم ما صلوا الصلاة
وروى البيهقي أيضا من طريق أبي داود الطيالسي عن
حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« انكم فى النبوة ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها لكم
إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » .

قال : فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان ،
فكتبت اليه أذكره الحديث وكتبت اليه : انى أرجو أن
تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية . . قال : فأخذ يزيد الكتاب
فأدخله على عمر ، فسر به وأعجبه وروى نعيم بن حماد عن
عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله ﷺ وعنده عمر
وعثمان وعلى ، فقال لى : « اذن » .

فدنوت حتى قمت بين يديه ، فرفع بصره الى وقال :
« أما انك ستلى أمر هذه الأمة وستعدل عليهم » وقد جاء فى
الحديث : « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة
من يجدد لها دينها » . . وقد قال كثير من الأئمة . انه عمر
ابن عبد العزيز ، فانه تولى سنة احدى ومائة .

★ وروى البيهقي عن ابن عمر قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : ان من ولدى رجلا بوجهة شين العيب يلي ، فيملا الأرض عدلا . قال نافع : ولا أحسبه الا عمر بن عبد العزيز .

★ وروى البيهقي أيضا عن ابن عمر أنه كان يقول : ليت شعري ، من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟

وقد كان هذا الأمر مشهورا قبل ولايته وميلاده بالكلية أنه يلي رجل من بني أمية يقال له : أشبح بنى مروان .

وكانت أمه أزرى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان نائبا لأخيه عبد الملك على مصر ، وكان يكرم عبد الله بن عمر ، ويبعث اليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلها .

وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوما الى اصطبل أبيه وهو صغير ، فرمحه فرس فشجه في جبينه ، فجعل أبوه يسأل عنه الدم ويقول : اما لئن كنت أشبح بنى مروان ، انك اذا لسعيد . وكان الناس يقولون : الأشبح والناقص أعدلا بنى أمية . . فالأشبح هو عمر بن عبد العزيز ، والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذي يقول فيه الشاعر :

رأيت اليزيد بن الوليد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله

قلت : وقد ولي عمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك سنتين ونصفا ، فملا الأرض عدلا ، وفاض المال حتى كان الرجل يهمه (أى يحزنه) لمن يعطى صدقته .

وروى البيهقي عن عمر بن عبد العزيز ، أنه بينما كان يمشي الى مكة بفلاة من الأرض ، اذ رأى حية ميتة ، فقال : على بمحفار ، فقالوا : نكفيك أصلحك الله . . قال : لا . .

ثم أخذه ثم لفه فى خرقة ودفنه ، فاذا هاتف يهتف : رحمة الله عليك يا سرق •

فقال له عمر بن عبد العزيز : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن ، وهذا يا سرق ولم يبت ممن بايع رسول الله ﷺ غيرى وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « تموت يا سرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتى » •

وقد رواه هذا من وجه آخر ، وفيه أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله ﷺ وفيه أنه عمر بن عبد العزيز حلفه ، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز ، وقد رجعه البيهقى وحسنه • • فالله أعلم • •

★ اشارته - صلى الله عليه وسلم - الى محمد بن كعب القرظى • (وعلمه بتفسير القرآن وحفظه) :

روى البيهقى عن أبى بردة الظفرى عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج فى أحد الكاهنين رجل قد درس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده »

وفى رواية له أيضا عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون فى أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره » قال : وكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظى •

قال أبو ثابت : الكاهنان : قريظة والنضير • وقد قال عون بن عبد الله : ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب •

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - بانتهاء قرنه بعد مائة سنة من ليلة اخباره :

ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قام

فقال : « أرأيتمكم ليلتكم هذه ؟ فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » *

قال ابن عمر : فوهل الناس أى غلطوا فى مقالة رسول الله ﷺ تلك ، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث ، عن مائة سنة ، وانما قال رسول الله ﷺ « لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » * يريد بذلك أن ينحزم أى ينقضى وينقطع ذلك القرن *

وروى مسلم عن جابر عن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل ان يموت بشهر : « تسألون عن الساعة ؟ وانما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة » *

وفى رواية : « ما من نفس منفوسة اليوم تأتى عليها مائة سنة ، وهى حية يومئذ » وهذا الحديث وامثاله مما يحتج به من ذهب من الأئمة الى أن الخضر ليس بموجود الآن * * وهو نص على أن جميع الأحياء فى الأرض يموتون الى تمام مائة سنة من اخباره - عليه السلام - وكذا وقع ، فما نعلم تأخر أحد من الصحابة الى ما يجاوز هذه المدة ، وكذا جميع الناس ، ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم فى كل مائة سنة ، وليس فى الحديث تعرض لهذا ، والله أعلم *

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - بعمر عبد الله بن بسر :

روى البيهقى عن ابراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسى فقال : « هذا الغلام يعيش قرنا » * قال فعاش مائة سنة *

وفى رواية : وكان فى وجهه ثؤلول ، فقال : « لا يموت هذا حتى يذهب الثؤلول من وجهه » * فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه *

قاله الواقدي وغير واحد : توفي عبد الله بن بسر
بجمعي سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين ، وهو آخر من
بقي من الصحابة بالشام *

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - عن
الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قريش :

وليسوا بالاثني عشرة الذين يدعون امامتهم الرافضة ،
فان هؤلاء الذين يزعمون لم يل امور الناس منهم الا على
ابن ابي طالب وابنه الحسن ، واخرهم - في زعمهم - المهدي
المنتظر في زعمهم بسر داب سامراء ، وليس له وجود ولا عين
ولا اثر *

بل هؤلاء من الأئمة الاثني عشر المخبر عنهم في
الحديث * الأئمة الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ،
وعلي ، رضي الله عنهم * * ومنهم عمر بن عبد العزيز
بلا خلاف بين الأئمة ، على كلا القولين لأهل السنة في تفسير
الاثني عشر ، كما سنذكره بعد ايراد الحديث *

ثبت في صحيح البخاري من حديث شعبة ، ومسلم من
حديث سفيان بن عيينة ، كلاهما عن جابر بن سمرة قال :
« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون واثننا عشر خليفة » ثم
قال كلمة لم أسمعها ، فقلت لأن : ما قال : قال : « كلهم من
قريش » *

وروى أبو نعيم بن حماد في كتاب « الفتن والملاحم »
عن عبد الله بن مسعود فقال : قال رسول الله ﷺ : « يكون
بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى » *

وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمر ، وحذيفة ،
وابن عباس ، وكعب الأحماس ، وغيرهم *

وروى أبو داود عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال هذا الأمر قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم تجتمع عليهم الأمة » * سمعت كلاما من النبي ﷺ لم أفهمه ، فقلت لأبي : ما يقول ؟

قال : يقول : « كلهم من قريش » *

وروى أبو داود عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال هذه الأمة مستقيما أمرها ، ظاهرة على عبودها » حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » *

قال : فلما رجع الى منزله أتته قريش ، فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهرج » قال البيهقي : ففي الرواية الأولى بيان العدد ، وفي الرواية الثانية بيان المراد بالعدد ، وفي الثالثة بيان وقوع الهرج ، وهو القتل بعدهم : وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة كما أخبر في هذه الرواية ، ثم ظهر ملك العباسية ، وانما يزيدون على العدد المذكور في الخبر اذا تركت الصفة المذكورة فيه ، أو عد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه ، وقد قال النبي ﷺ « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان »

وفي صحيح البخاري عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « ان هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » *

قال البيهقي : أي أقاموا معاملة وان قصرُوا في أعمالهم * ثم ساق أحاديث بقية ما ذكره في هذا والله أعلم *

فهذا الذي سلكه البيهقي ، وقد وافقه عليه الجماعة ، من أن المراد بالخلفاء الاثنى عشر المذكورين في هذا الحديث ، هم المتتابعون الى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ،

الفاسق ، وقد ورد فيه حديث بالذم والوعيد ، وهو حديث مشكوك وفيه نظر .

وبيان ذلك : أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير تفرضه ، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، خلافتهم محققة بنص حديث سفيينة الخلافة ثلاثون عاما .

ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع ، لأن عليا أوصى إليه ، بإيعة أهل العراق ، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطالح هو ومعاوية ، كما دل عليه حديث أبي بكر ، في صحيح البخاري ، ثم معاوية ثم ابنه يزيد بن معاوية . . ثم ابنه معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه . . . ثم ابنه الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن هشام بن عبد الملك . . فهو لاء خمسة عشر . . ثم الوليد بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز . . ثم يزيد بن عبد الملك . . ابن يزيد بن عبد الملك . . ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك . .

فإذا اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك ، صاروا ستة عشر ، وعلى أغلب تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز . . فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يدخل في الاثنى عشر يزيد بن عبد الملك ويزج منهم عمر بن عبد العزيز الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه . . وعدوه من الخلفاء الراشدين ، واجمع الناس قاطبة على عدله ، وإن أيامه كانت من أعدل الأيام ، حتى الرافضة يعترفون بذلك . فان قال : أنا لا أعتبر في هذا إلا من اجتمعت الأمة عليه ، لزمه على هذا القول أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعها .

وعد حينئذ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد ، ولم يعتد بأيام مروان ولا ابن الزبير ، لأن الأمة لم تجتمع على واحد منها .

فعلى هذا القول فى مسلكه هذا عاد للخلفاء : أبو بكر،
وعمر ، وعثمان ، ثم معاوية ، ثم عبد الملك ، ثم الوليد ،
ثم سليمان ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد ، ثم هشام . .
فهؤلاء عشرة . . ثم من بعدهم : الوليد بن يزيد بن عبد الملك
النفاسق . .

ولكن هذا لا يمكن أن يسلك ، لأنه يلزم منه اخراج
على وابنه الحسن من هؤلاء الاثنى عشر ، وهو خلاف ما نص
عليه أئمة السنة ، بل والشيعة ، ثم هو خلاف ما دل عليه
نصا حديث شعبة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخلافة
بغدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا » .

وقد ذكر شعبة تفصيل هذه الثلاثين سنة ، مخرجها من
خلافة الأربعة ، وقد بينا دخول خلافة الحسن ، وكانت نحوا
من ستة أشهر فيها أيضا . . ثم صار الملك الى معاوية لما سلم
الأمر اليه الحسن بن علي . . وهذا الحديث فيه المنع من تسمية
معاوية خليفة ، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين
سنة ، لا مطلقا ، بل انقطع تتابعها ، ولا يخفى وجود خلفاء
راشدين بعد ذلك . كما دل عليه حديث جابر بن سمرة .

— وروى نعيم بن حماد عن حذيفة بن اليمان قال :
يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكا من بنى أمية ، قيل له خلفاء ؟
. . قال : لا ، بل ملوك .

— وروى البيهقى عن أبي عمر قال : كان أبو الجلد
جارا لى ، فسمعتة يقول : يحلف عليه : ان هذه الأمة لن
تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة ، كلهم يعمل بالهدى
ودين الحق ، منهم رجلان من أهل البيت : أحدهما يعيش
أربعين سنة ، والآخر ثلاثين سنة .

ثم شرع البيهقى فى رد ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل
به الرد ، وهذا عجيب منه ، وقد وافق أبا الجلد طائفة من

العلماء ، ولعمل قوله أرجح كما ذكرنا ، وقد كان ينظر فى الكتب المتقدمة . . وفى التوراة التى بيد أهل الكتاب ما معناه : ان الله تعالى بشرا ابراهيم باسما عيل ، وانه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما . . قال شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية : وهؤلاء المبشر بهم فى حديث جابر بن سمرة . . وقرر أنهم يكونون مفرقين فى الأمة ، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا .

وغلط كثير ممن تشرف بالاسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو اليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم .

وقد روى نعيم بن حماد عن كعب قال : ان الله وهب لاسماعيل من صلبه اثنى عشر قيما ، أفضلهم : أبو بكر وعمر وعثمان .

وروى أيضا عن يحيى بن عمرو الشيبانى قال : ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين : المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

« اشارته صلى الله عليه وسلم » الى مالك بن أنس إمام دار الهجرة : .

روى الترمذى من حديث ابن عيينة عن أبى هريرة : « يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة » .

قال الترمذى : هذا حديث حسن .

وقد روى عنه انه قال : هو مالك بن أنس . . وكذا قال ابن عبد الرزاق . قلت : وقد توفى مالك . رحمه الله . سنة تسع وسبعين ومائة .

أشارته صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن إدريس الشافعي :

روى أبو داود الطيالسي عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا قريشاً ، فإن عالمها يملأ الأرض علماً » . .
اللهم انك أذقت أولها وبالا ، فأذق آخرها نوالاً . .

وقد رواه الحاكم من طريق أبي هريرة . . وقال
الحافظ أبو نعيم الإصبهاني : هو الشافعي قلت : وقد توفي
الشافعي - رحمه الله - في سنة أربع ومائتين .

★ أخبره - صلى الله عليه وسلم -
بظهور النار التي كانت بأرض الحجاز :

وقد ظهرت هذه النار التي كانت بأرض الحجاز حتى
أضاعت لها أعناق الإبل ببصرى وقد وقع هذا في سنة أربع
 وخمسين وستمائة .

- روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول
الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض
الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى » .

وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر
وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال الشيخ الإمام الحافظ ، شيخ الحديث وإمام المؤرخين
في زمانه ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، الملقب
بأبي شامة ، في تاريخه : أنها ظهرت يوم الجمعة في خامس
جمادى الآخر ، سنة أربع وخمسين وستمائة ، وانها
استمرت شهراً لا يزيد عنه .

وذكر كتباً متواترة عن أهل المدينة في كيفية ظهورها
شرق المدينة من ناحية وادي الشطنى ، تلقاء أحد ، وأنهما
ملأت تلك الأودية ، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجاز :

وذكر أن المدينة زلزلت بسببها ، وأنهم سمعوا أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام وكان ذلك مستهل الشهر يوم الاثنين ، فلم تزل ليلا ونهارا حتى ظهرت يوم الجمعة ، فانبجست «انفجرت» تلك الأرض عند وادى الشظلى عن نار عظيمة جدا ، صارت طوله أربعة فراسخ بمعنى مقياس قديم من مقاييس الطول ، وعمقه قامة ونصف ، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآتك « الرصاص الأسود » ثم يصير كالفتح الأسود . . وذكر أن ضوءها يمتد الى تيماء بحيث كتب الناس على ضوءها فى الليل ، وكأن فى بيت كل منهم مصباحا ، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله . قلت : وأما بصرى ، فأخبرنى قاضى القضاة صدر الدين غلى ابن أبى قاسم التيمى الحنفى قال :

أخبرنى والدى * وهو الشيخ صفى الدين ، أحد مدرسى بصرى - أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة ، من كان بحاضرة بلد بصرى ، انهم رأوا صفحات أعناق ابلهم فى ضوء تلك النار التى ظهرت من أرض الحجاز . وقد ذكر الشيخ شهاب الدين ، أن أهل المدينة لجئوا فى هذه الأيام الى المسجد النبوى وتابوا الى الله من ذنوب كانوا عليها ، واستغفروا مما سلف منهم ، واعتقوا الغلمان وتصدقوا على فقرائهم ومجاريحهم ، وقد قال قائلهم فى ذلك :

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا
فقد أحاطت بنا يا رب بأساء

نشكو اليك خطوبنا لا نطيق لها
حملا ونحن بها حقا أحقاء

زلازل تخشع الصم الصلاد لها
وكيف تقوى على الزلازل صمماء

أقام سبعا يرجع الأرض فأنصرعت
 عن منظر منه عين الشمس حسرا
 بحر من النار تجرى فوقه سفن
 من الهضاب لها في الأرض أرسام
 يرى لها شر كالقصر طائشة
 كأنها ديمة تنصت هطلاء
 تنشق منها قلوب الصخر ان زفرت
 رعبا وترعد مثل الشهب أضواء
 منها تكاشف في الجو الدخان الى
 أن عادت الشمس منه وهي دهماء
 قد أثرت سعة في البدر لفحتها
 قليلة التم بعد النور ليلاء
 فيالها آية من معجزات رسول
 الله يعقلها القوم الألباء
 ومما قيل في هذه النار، مع غرق بغداد في هذه السنة :
 سبجان من أصبحت مشيئة
 جارية في الوري بمقدار
 أغرق بغداد بالمياه كما
 أحرق أرض الحجاز بالنار

★ اخباره - صلى الله عليه وسلم - بما
 سيكون من نساء كاسيات عاريات :

روى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : سمعت رسول
 الله ﷺ يقول : « ان طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوما
 يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته ، في أيديهم مثل
 أذناب البقر » .

ورواه مسلم من طريق زهير بن حرب .

وروى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرهم : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت بمعنى ارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إليه ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وهذان الصنفان وهما : الجلادون الذين يسمون بالرجالة وهو خلاف الفارس والجاندارية ، كثيرون في زماننا هذا ومن قبله وقبل قبله بدهر .

والكاسيات العاريات، أى عليهن لبس لا يوارى سواتهن، بل هو زيادة فى العورة ، وإبراء للزينة ، مائلات فى مشيتهن، مميلات غيرهن اليهن . . . وقد عم البلاء بهن فى زماننا هذا ومن قبله أيضا . . . وهذا من أكبر دلالات النبوة إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به ﷺ . . .

أخباره صلى الله عليه وسلم بما سيكون من قتال المسلمين بعضهم بعضا :

روى الامام أحمد عن طلحة بن عمرو البصرى ، أنه قدم المدينة على رسول الله ﷺ فبينما هو يصلى اذا آتاه رجل فقال : يا رسول الله ، أحرق بطوننا التمر ، وتخرقت عنا الخنف بمعنى (جمع خنيف) وهو نوع غليظ من أردأ الكتان، أردأ ثيابا تعمل منه كانوا يلبسونها .

قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« لقد رأيتنى وصاحبى وما لنا طعم غير البرير بمعنى (التمر الأراك) حتى أتينا اخواننا من الأنصار فأسرنا من

طعامهم ، وكان طعامهم التمر ، والذي لا اله الا هو لو قدرت لكم على الخبز والتمر لا طعمتكموه ، وسيأتى عليكم زمان ، لو من أدركه منكم ، يلبسون مثل أستار الكعبة ، ويفدى ويراح عليكم بالجفان (جمع جفنة ، وهى القصعة) .

قالوا يا رسول الله ، أنحن يومئذ خير أم اليوم ؟ قال : « بل أنتم اليوم خير ، أنتم اليوم اخوان ، وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض » .

وروى سفيان الثورى أن رسول الله ﷺ قال : « اذا مشيت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم ما سلط الله بعضهم على بعض » وقد أسنده البيهقى من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبى ﷺ المطيطاء : المشى فى تبخر وعجب .

رابعاً : فى معجزات الأنبياء :

★ موازنة الأنبياء فى فضائلهم بفضائل محمد ﷺ ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتى محمد ﷺ .
● لماذا هذه المقارنة ؟

ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهى معجزة لخاتمهم محمد ﷺ ، وذلك أن كلا منهم بشر بمبعثه ، أمر بمتابعته ، كما قال تعالى :

وَلَا تَأْخُذْكَ أَشْيَاءُ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَاكَ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكَ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ
قَالَ أَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لِصِرَاطٍ قَالَ أَوْفَرْنَا قَالَ
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

آل عمران : ٨٢

وقد ذكر البخارى وغيره عن ابن عباس - رضى الله
عنهما - أنه قال : ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه
العهد والميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به وليتبعنه
ولينصرنه .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات
للأنبياء ، لأن الولي انما نال ذلك بركة متابعتة لنبيه ،
وثواب ايمانه .

وقد روى البيهقى فى (دلائل النبوة) ، عن عمر بن
سواد قال : قال الشافعى : مثل ما أعطى الله نبيا ما أعطى
محمدا ﷺ . . . فقلت : أعطى عيسى احياء الموتى . .

قال : أعطى محمدا ﷺ الجذع الذى كان يخطب الى
جنبه حين بنى المنبر ، حين الجذع حتى سمع صوته . . فهذا
أكبر من ذلك . . هذا لفظة - رضى الله عنه - والمراد من
ما نذكره فى هذا الكلام البينة على ما أعطى الله
أنبياءه - عليهم السلام - من الآيات البينات والخوارق
القاطعات ، والحجج الواضحات ، وأن الله جمع لعبده ورسوله
سيد الأنبياء وخاتمهم ، من جميع أنواع المحاسن والآيات ،
مع ما خصه الله به بما لم يؤت أحدا قبله . . وقد وقفت على
فصل مليح فى هذا المعنى ، فى كتاب «دلائل النبوة» للمحافظ
ابن نعيم ، عقد فيه فصلا فى هذا المعنى . . وكذا ذكر ذلك
الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتابه «دلائل النبوة»
وهو كتاب جليل حافل ، اشتمل على فرائد نفيسة . . وكذا
الصرصرى الشاعر يوزد فى بعض قصائده أشياء من ذلك
كما سيأتى . . . وها أنا أذكر بعون الله مجامع ما ذكرنا من
هذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة وأقصر إشارة وبالله
المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز
الحكيم .

فى معجزات نوح - عليه السلام - :

قال تعالى :

قَدَّعَارِبَهُ وَأَنَّى مَغْلُوبٌ
فَأَنصُرْ ① فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ② وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا
فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ③ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُسُرَ ④
تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ

من سورة الصمر ١٠ - ١٥

قال شيخنا العلامة أبو المعالى محمد بن على الأنصارى
الزملكاني ، ومن حظه فقلت : وبيان أن كل معجزة لنبي
فلنينا أمثالها اذا تم يستدعى كلاما طويلا ، وتفصيلا
لا يسعه سجيلات عديدة ولكن ننبه البعض على البعض ،
فلتذكر جلائل معجزات الأنبياء - عليهم السلام - :

فمنها نجاة نوح فى السفينة بالمؤمنين ، ولا شك أن تحمل
الماء الناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه فى السفينة ،
وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفى قصة العلاء بن
زيادة صاحب رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك .

قصة العلاء بن الحضرمى :

روى البيهقى عن أنس بن مالك : قال : أدركت فى
هذه الأمة ثلاثا ، لو كانت فى بنى اسرائيل لما تقاسمها الأمم
• • • وفيه : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليهم
العلاء ابن الحضرمى ، قال أنس : وكنت فى غزاته ، فأتينا
مغازينا ، فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعضوا بمعنى (أى
زالوا وأمحووا) آثار المال والحر شديد ، فجهدنا العظش
ودوابنا ، وذلك اليوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغربها
صلى بنا ركعتين ، ثم مد يده الى السماء وما نرى شيئا قال :

فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا وأنشأ سحابا ، وأفرغت حتى ملأت الغدران والشعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا وأسقينا .

قال : ثم أتينا عدونا وقد جاوز خليجا في البحر الى الجزيرة ، فوقف على الخليج .

وقال : يا علي يا عظيم ، يا حلیم يا كريم . ثم قال : أجزوا باسم الله .

قال : فأجزنا ما يبيل الماء حوافر دوابنا ، فلم نلبث الا يسيرا ، فأصبحنا والعدو عليه ، فقتلنا وأسرنا وسبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته ، فأجزنا الماء ما يبيل الماء حوافر دوابنا .

ثم ذكر موت العلاء ودفنهم اياه في أرض لا تقبل الموتى ، ثم انهم حضروا عليه لينقلوه منها الى غيرها ، فلم يجدوه ، واذا اللحد يتلأأ نورا ، فأعادوا عليه التراب ثم ارتحلوا .

● قصة أبي مسلم الخولاني :

روى البيهقي عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء الى دجلة ، وهي ترمى الخشب من مدها ، فمشى على الماء والتفت الى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ، قال البيهقي : هذا اسناد صحيح .

قلت : وقد ذكر الحافظ الكبير ، أبو القاسم بن عساكر ، في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني ، هذه القصة بأبسط من هذه : عن محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني أنه كان اذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال : أجزوا باسم الله .

قال : ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء ، فما يبلغ من الدواب الا الى الركب ، أو في بعض ذلك ، أو قريبا من ذلك .

قال : واذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم شيء ؟ . .
من ذهب له شيء ، فأنا ضامن . .

قال : فألقى رجل مخلاة عمدا ، فلما جاوزوا قال
الرجل : مخلاتي وقعت في النهر . قال له : اتبعني . . فاذا
المخلاة قد تعلق ببيض اعواد النهر . . فقال : خذها .

وقد أورد الحافظ بن كثير طرقا لهذه القصة ثم قال :
فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي معجزات لرسول الله ﷺ
كما تقدم تقريره ، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعتهم - وهي
مشابهة لمعجزة نوح - عليه السلام - في سيره فوق الماء
بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها ، ومعجزة موسى - عليه
السلام - في فلق البحر . . وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك ،
من جهة سيرهم على متن الماء من غير حائل .

والمقصود ان ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمي ،
وأبي مسلم الخولاني ، ومن معهم ، فلم يفقد منهم أحد ، ولم
يفقدوا شيئا من أمتعتهم ، هذا وهم أولياء ، فما الظن لو
كان الاحتياج الى ذلك بحضرة رسول الله ﷺ سيد الأنبياء
وخاتمهم ، وأعلامهم منزلة ليلة الاسراء ، وإمامهم ليلتئذ بيت
المقدس ، الذي هو محل ولايتهم ، وداريبياتهم ، وخطيبهم
يوم القيامة ، وأعلامهم منزلة في الجنة ، وأول شافع في
الحشر ؟؟ وسندكر من المعجزات الموسوية ما ورد من المعجزات
المحمدية مما هو أظهر وأبهر منها ، ونحن الآن فيما يتعلق
بمعجزات نوح - عليه السلام - ولم يذكر شيئا سوى
ما تقدم .

وأما الحافظ أبو نعيم ، فإنه قال في آخر كتابه
« دلائل النبوة » :

الفصل الثالث والثلاثون في ذكر موازنة الأنبياء في
فضائلهم بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما
أوتى - عليه السلام - : إذ أوتى ما أوتوا وشبهه ونظيره ،
فكان أول الرسل نوح - عليه السلام - ، وآيته التي أوتى :

شفاء غيظه واجابة دعوته ، فى تعجل نعمة الله لمكذبيه ،
حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت وناطق ، الا من
آمن به ودخل معه سفينته . . ولعمري انها آية جلية ،
وافقت سابق قدر الله وما قد علمه فى هلاكهم - وكذا نبينا
ﷺ بما كذبه قومه وبالفوا فى ايدائه ، والاستهانة بمنزله
من الله عز وجل ، حتى ألقى السفية عقبه بن أبى معيط سلى
(غشام رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه)
الجزور على ظهره وهو ساجد ، فأنت فاطمة ، عليها السلام ،
فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما سلم
رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه فقال : اللهم عليك بالملأ
من قريش ثم سمي فقال : « اللهم عليك بأبى جهل ، وعتبة ،
وشيبة ، والوليد بن عتبة ، وأميه بن خلف ، وعقبه بن أبى
معيط وعمارة بن الوليد » .

قال ابن مسعود : فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم
صرعى يوم بدر ، ثم سمي فقال الى القليب ، قليب بدر .

● وكذلك لما قتلت قريش يوم بدر فى عددها وعدتها
فحين عاينهم رسول الله ﷺ قال رافعا يديه : « اللهم هذه
قريش جاءتك بفخرها وخيلائها ، تجادل وتكذب رسولك
اللهم أصبهم الغداة » . . فقتل من سراتهم سبعون ، وأسر
من أشرافهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم عن آخرهم ،
ولكن من حلم وشرف نبيه أبقى منهم من سبق فى قدره أن
سيؤمن به وبرسوله ﷺ .

● وقد دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط عليه كلبه
بالشام ، فقتله الأسد عند وادى الزرقاء قبل مدينة بصرى
. . وقال الامام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتاب
« دلائل النبوة » وهو كتاب حافل :

ذكر ما أوتى نوح من الفضائل ، وبيان ما أوتى محمد
ﷺ مما يضاهى فضائله ويزيد عليها . . ان قوم نوح لما

بلغوا من أذيته والاستخفاف به ، وترك الايمان بما جاءهم
به من عند الله دعاء عليهم فقال :

« رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا »

نوح : ٢٦

فاستجاب الله دعوته ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شيء
من الحيوانات والدواب الا من ركب السفينة ، وكان ذلك
فضيلة أوتيها ، اذ أجيبَت دعوته ، وشفى صدره باهلاك
قومه ..

قلنا : وقد أوتي محمد ﷺ مثله عندما ناله من قريش
ما ناله من التكذيب والاستخفاف ، فأنزل الله اليه ملك الجبال
وأمره بطاعته فيما يأمره به من اهلاك قومه ، فاختر الصبر
على أذيتهم ، والابتغال في الدعاء لهم بالهداية *

قلت : وهذا احسن - وقد ذكرت عائشة - رضى الله
عنها - ، في قصة ذهابه ﷺ الى الطائف ، فدعاهم فأذوه
فرجع وهو مهموم ، فلما كان عند قرن الثعالب فاتاه ملك
الجبال فقال :

يا محمد ، ان ربك قد سمع قول قومك وماردو به عليك ،
وقد أرسلنى اليك لأفعل ما تأمرنى به ، فان شئت أطبقت
عليهم الأخشبين - يعنى جبلى مكة اللذين يكتنفانها جنوبا
وشمالا : أبو قبيس والأحمر * فقال : « بل أستأنى بهم لعل
الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئا » *

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى مقابله قوله تعالى :

« فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر »

القمر : ١٠

أحاديث الاستسقاء عن أنس وغيره ، كما تقدم
ذكرها ، أنه لما سأل ذلك الاعرابى أن يدعو الله لهم ، لما بهم
من الجذب والجوع ، فرفع يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم

اسقنا » فما نزل عن المنبر حتى رأى المطر يتحادر على لحيته
الكريمة ، فاستحضر من استحضر من الصلابة رضى الله عنهم
- قول عمه أبى طالب فيه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم . . .

فهم عنده فى نعمة وفواضل .
وكذلك استسقى فى غير ما موضع للجذب والعطش ،
فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية ولا ازيد ولا انقص ،
وهكذا أوقع وأبلغ فى المعجزة . . . وأيضا فان هذا ماء برخمة
ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة . . . وأيضا فان
عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يستسقى بالعباس
عم النبي ﷺ فيسقون ، وكذلك مازال المسلمون فى غالب
الأزمان والبلدان يستسقون فيجابون فيسقون ، وغيرهم
لا يجابون غالبا ولا يسقون ، والله الحمد .

قال أبو نعيم : ولبت نوح فى قومه ألف سنة الا خمسين
عاما ، فبلغ جميع من آمن به رجالا ونساء الذين ركبوا معه
سفينته ، دون مائة نفس ، وآمن بنبيينا فى مدة عشرين سنة
الناس شرقا وغربا ، ودانت له جبابرة الأرض وملوكها ،
وخافت زوال ملكهم ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشى رغبة
فى دين الله ، والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض فدفع
الجزية والاياد عن صغار ، أهل نجران ، وهجر ، وآيله
وأكيد دومة ، فنزلوا له منقادين لما أيده الله به من الرعب
الذى يسير بين يديه شهرا ، وفتح الفتوح ، ودخل الناس فى
دين الله أفواجا ، كما قال تعالى :

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
أَقْوَابًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

النصر ١ - ٣

قلت : مات رسول الله ﷺ وقد فتح الله له المدينة .
 وخيبر ، ومكة ، واكثر اليمن ، وحضرموت ، وتوفى عن مائة
 ألف صحابي أو يزيدون . . . وقد كتب في آخر حياته الكريمة
 الى سائر ملوك الأرض يدعوهم الى الله - عز وجل ، ، فمنهم
 من اجاب ، ومنهم من صانع ودارى نفسه ، ومنهم من تكبر
 فخاب وخسر ، كما فعل كسرى بن هرمز حين عتا وبغى
 وتكبر ، فمزق ملكه ، وتفرق جنده شذر مذر (أى ذهبوا
 مذاهب شتى مختلفين) . . ثم فتح خلفاؤه من بعده :
 ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، التالى على الأثر ، مشارق
 الأرض ومغاربها ، من البحر الغربى الى البحر الشرقى ، كما
 قال ﷺ : « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ،
 وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » .

وقال ﷺ « اذا أهلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا أهلك
 كسرى فلا كسرى بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما
 فى سبيل الله » .

وكذا وقع سواء بسواء ، فقد استولت الممالك الاسلامية
 على ملك قيصر وحواصله ، الا القسطنطينية ، وجميع ممالك
 كسرى وبلاد المشرق ، والى أقصى بلاده المغرب ، الى أن قتل
 عثمان - رضى الله عنه - فى سنة ستة وثلاثين . .

فكما عمت جميع أهل الأرض النعمة بدعوة نوح - عليه
 السلام - لما رآهم عليه من التماذى فى الضلال والكفر
 والفجور ، فدعا عليهم غضبا لله ولدينه ورسالته ، فاستجاب
 الله له ، وغضب لغضبه ، وانتقم منهم بسببه ، كذلك عمت
 جميع أهل الأرض النعمة ببركة رسالة محمد ﷺ ودعوته ،
 فأمن من آمن من الناس ، وقامت الحجة على من كفر منهم
 كما قال تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

الأنبياء ١٠٧

وروى هشام بن عمار في كتاب « البعث » عن ابن عباس في قوله : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) قال : آمن بالله ورسله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسله عد فيمن يستحق تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف .

كما قال تعالى :

« ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار »

ابراهيم : ٢٨

قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدلوا نعمة الله كفرا كفار قريش ، يعنى وكذلك كل من كذب به من سائر الناس ، كما قال تعالى :

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا نَكَاحَ فِي مَرْيَةِ مِثْنُهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هود : ١٧

قال أبو النعيم : فان قيل : قد سمي الله نوحا - عليه السلام - باسم من أسائه الحسنى ، فقال :

ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلَانِ نُّوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا

الاسراء : ٣

قلت : وقد سمي الله محمد ﷺ باسمين من أسمائه ، فقال :

يَا مُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

التوبة : ١٢٨

قال : وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم : يا نوح ،
يا ابراهيم ، يا موسى ، يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وقال
مخاطبا لمحمد ﷺ يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المزمّل ،
يا أيها المدثر وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف .
— ولما نسب المشركون أنبياءهم الى السفه والجنون ،
كل أجاب عن نفسه ، قال نوح :

قَالَ يَقُولُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

الاعراف : ٦٧

وكذلك قال هود — عليه السلام — ولما قال فرعون :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَعَثَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

الاسراء : ١٠١

وقال موسى :

قَالَ لَقَدْ
عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَٰبِرٍ وَءَاتٍ
لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَسْحُورًا ﴿١٠٢﴾

الاسراء : ١٠٢

وأما محمد ﷺ فان الله تعالى هو الذي يتولى جوابهم
عنه بنفسه الكريمة ، كما قال :

قال تعالى :

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَجُنُونٌ ① تَوَمَّأْنَا نِينَا بِالْمَلَكِ كَذِبًا إِن كُنتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ② مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا
مُنْظَرِينَ ③

الحجر ٦ - ٨

وقال تعالى :

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ④
قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤
الفرقان : ٦، ٥

وقال تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّئُهُم بِرَبِّهِمْ أَلَيْسَ الْبَشَرُ نَذِيرًا ⑥ قُلْ تَرَبَّصُوا
فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ⑦

الطور : ٣٠ ، ٣١

وقال تعالى :

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ
قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ⑧ وَلَا يَقُولُ كَآهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ⑨ نَزِيلٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ⑩

الحاقة : ٤١ - ٤٣

وقال تعالى :

وَلَا يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِزُلْفَتِكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا
الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥٢

القلم : ٥١ ، ٥٢

وفى معجزات هود - عليه السلام :

قال أبو نعيم ما معناه : ان الله تعالى أهلك قوم هود
بالريح العقيم ، وقد كانت ريح غضب ، ونصر الله تعالى
محمدا بالصبا يوم الأحزاب ، كما قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩

الأحزاب : ٩

ثم روى عن ابن عباس قال : لما كان يوم الأحزاب
انطلقت الجنوب الى الشمال فقالت : انطلق بنا ننصر محمدا
رسول الله ﷺ فقالت الشمال للجنوب : ان الحرة لا ترى
بالليل ، فأرسل الله عليهم الصبا .

ويشهد له قوله ﷺ « نصرت بالصبا » وأهلك عاد
بالدبور » .

فى معجزات صالح - عليه السلام :

قال أبو نعيم : فان قيل : فقد أخرج الله لصالح ناقة من
الصخرة جعلها الله له آية وحجة على قومه ، وجعل لها شرب
يوم ، ولهم شرب يوم معلوم . .

قلنا : وقد أعطى الله محمدا ﷺ مثل ذلك ، بل أبلغ ، لأن ناقة صالح لم تكلمه ، ولم تشهد له بالنبوة والرسالة ومحمد ﷺ شهد له البعير بالرسالة ، وشكا إليه ما يلقي من أهله من أنهم يمنعون عنه الطعام ويريدون ذبحه ، ثم ساق الحديث بذلك كما قدمنا . . وهو فى الصحاح والحسان والمسانيد . . وثبت الحديث فى الصحيح بتسليم الحجر عليه قبل أن يبعث ، وكذا سلام الأشجار والأحجار والمدر عليه قبل أن يبعث ﷺ .

فى معجزات ابراهيم - عليه السلام :

قال شيخنا العلامة أبو المعالى بن الزملى رحمه الله : وأما خمود النار لابراهيم - عليه السلام - فقد خمدت نار فارس لمولد نبينا ﷺ ، وبينه وبين بعثته أربعون سنة ، وخمدت نار ابراهيم لمباشرته لها ، وخمدت نار فارس لنبينا وبينه وبينها مسافة وهكذا .

ثم قال شيخنا : مع أنه قد ألقى بعض هذه الأمة فى النار فلم تؤثر فيه ببركة نبينا ﷺ منهم أبو مسلم الخولانى . قال : بينما الأسود بن قيس العنسى باليمن ، فأرسل الى أبى مسلم فقال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم . . قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع . . فأعاد اليه ، قال : ما أسمع . . فأمر بنار عظيمة فأججت ، فطرح فيها أبو مسلم ، فلم تضره ، فقليل له : لئن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك . . فأمر بالرحيل . . فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر ، فقام الى سارية من سوارى المسجد يصلى ، فبصر به عمر ، فقال : من أين الرجل ؟ قال : من اليمن .

قال : ما فعل الله بصاحبنا الذى حرق بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب : قال : نشدتك بالله ، أنت هو ؟ قال : اللهم نعم .

فَقِيلَ عَمْرَ مَا يَنْ عَيْنِيهِ ثُمَّ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْتَنِنِي حَتَّى أَرَانِي
فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ فَعَلٍ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَهَذَا السِّيَاقُ الَّذِي أوردَهُ شَيْخُنَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ
زَوَاهِدُ الْحَافِظِ ، أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي مُسْلِمٍ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ فِي تَارِيخِهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ .

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنَ عَسَاكِرٍ أَيْضًا - مِنْ غَيْرِ وَجْهِ - عَنْ أَبِي
بِشْرِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي وَحْشِيهِ ، أَنَّ رَجُلًا أَسْلَمَ ، فَأَرَادَهُ قَوْمُهُ عَلَى
الْكُفْرِ ، فَأَلْقَوْهُ فِي نَارٍ ، فَلَمْ يَحْتَرَقْ مِنْهُ إِلَّا أَنْمَلَةٌ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
مَضَى يَصِيبُهَا الْوَضُوءُ ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي
. . . قَالَ : . . . أَنْتَ أَحَقُّ . . . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنْتَ الْقَيْتُ فِي النَّارِ
فَلَمْ تَحْتَرَقْ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ وَكَانُوا يَسْمُونَهُ
بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذَا الرَّجُلُ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ
وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ إِنَّمَا تَحَقُّقُ أَنَّهُ إِنَّمَا نَالَ ذَلِكَ
بِبَرَكَةِ مُتَابَعَتِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، كَمَا جَاءَ
فِي حَدِيثِ الشِّفَاعَةِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مُوَاضِعَ
السُّجُودِ .

وَقَدْ نَزَلَ أَبُو مُسْلِمٍ بَدَارِيَا مِنْ غَرْبِي دِمَشْقَ ، وَكَانَ
لَا يَسْبِقُهُ أَحَدٌ إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِدِمَشْقَ وَقْتُ الصَّبْحِ ، وَكَانَ
يَغَازِي بِلَادَ الرُّومِ ، وَلَهُ أَحْوَالٌ وَكَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَقَبْرُهُ
مَشْهُورٌ بِدَارِيَا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُقَامُهُ الَّذِي كَانَ يَكُونُ فِيهِ ،
فَإِنَّ الْحَافِظَ ابْنَ عَسَاكِرٍ رَجَّحَ أَنَّهُ مَاتَ بِبِلَادِ الرُّومِ فِي خِلَافَةِ
مُعَاوِيَةَ ، وَقِيلَ : فِي أَيَّامِ ابْنِهِ يَزِيدَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ
شَيْخُنَا أَبُو الْمَغَالِي : وَأَمَّا الْقَاوُءُ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ -
مِنَ الْمُنْجَنِّيقِ ، فَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ فِي وَقْعَةٍ

مسيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا الى جائط (بستان) حضير فتحصنوا به وأغلقوا الباب ، فقال البراء ابن مالك : ضعوني على برش وأحملوني على رءوس الرماح ثم القوني من أعلاها داخل الباب ففعلوا ذلك وألقوه عليهم ، فوقع وقام وقاتل المشركين وقتل مسيلمة • قلت : وقد ذكر ذلك مستقصى في أيام الصديق ، حيث بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبني حنيفة ، وكانوا في قريب من مائة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفا ، فلما التقوا جعل كثير من الأغراب يفرون ، فقال المهاجرون والأنصار : خلصنا يا خالد • • فميزهم عنهم ، وكان المهاجرون والأنصار قريبا من ألفين وخمسمائة ، فصمموا الحملة وجعلوا يتدأبرون ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، • فهزموهم باذن الله وألجئوهم الى حديقة هناك ، وتسمى حديقة الموت ، فتحصنوا بها ، فحصرهم فيها ، ففعل البراء بن مالك ، أخو أنس بن مالك - وكان الأكبر - ما ذكر من رفعه على الأسنة فوق الرماح حتى تمكن من أعلى سورها ، ثم ألقي نفسه عليهم ونهض سريعا اليهم ، ولم يزل يقاتلهم وحده ويقاتلونه حتى تمكن من فتح الحديقة ، ودخل المسلمون يكبرون وانتهوا الى قصر مسيلمة ، وهو واقف خارجه عند جدار كأنه جمل أزرق ، أي من سمرة ، قابتدرة وحشى بن حرب الأسود - قاتل حمزة - بحريته ، وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري - وهو الذي ينسب اليه شيخنا هذا أبو المعالي بن الزمكاني - فسبقه وحشى ، فأرسل الحربة عليه من بعد فأنفذها منه ، ونجاء اليه أبو دجانة فعلاه بسيفه فقتله ، لكن صرخت جارية من فوق القصر : وأميراه !! قتله العبد الأسود • • ويقال ان عمر مسيلمة يوم قتل ، مائة

وأربعون سنة لعنه الله ، فمن طال عمره وساء عمله قبحه
الله . .

وهذا ما ذكره شيخنا فيما يتعلق بإبراهيم الخليل
— عليه السلام — .

وأما الحافظ أبو نعيم فإنه قال : فان قيل : فان
إبراهيم اختص بالخلة مع النبوة ، قيل : فقد اتخذ الله محمدا
خليلا وحبيبا ، والحبيب الطف من الخليل ، ثم ساق حديث
عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله
ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن
صاحبكم خليل الله » وقد رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود
عن رسول الله ﷺ قال : « لو كنت متخذًا خليلا لاتخذت
أبا بكر خليلا ، ولكنه أخى وصاحبى ، وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا » .

وروى مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبد الله قال :
سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « انى
أبرأ الى الله — عز وجل — أن يكون لى بينكم خليل ، فان الله
قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذًا
من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وان من كان
قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ،
ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » .

وروى هشام بن عمار فى كتابه « البعث » عن عروة بن
رويم النجمى أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله أدرك بى الأجل
المرقوم وأخذنى لقربه ، واحتضرنى احتضارا ، فنحن
الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة ، وأنا قائل قولا غير
فخر : ان إبراهيم خليل الله ، وموسى صفى الله ، وأنا خبيب
الله ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وان بيدى لواء الحمد ،
وأجازنى الله عليكم من ثلاث : أن لا يهلككم بسببه ، وأن لا
يسببى عليكم عدوكم ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة » .

وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام
الخلة بكلام طویل الى أن قال : ويقال الخليل الذى يعبد ربه
على الرغبة والرهبة ، من قوله :

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

التوبة ١١٤ .

من كثرة ما يقول : أواه . . . والحبيب الذى يعبد ربه
على الرؤية والمحبة . . . ويقال : الخليل الذى يكون معه
انتظار العطاء ، والحبيب الذى يكون معه انتظار اللقاء .
ويقال الخليل : الذى يصل بالواسطة من قوله :

وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلِكًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٧٥﴾

الأنعام : ٧٥

والحبيب الذى يصل من غير واسطة ، من قوله :

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

النجم : ٩

وقال الخليل :

وَنَزَّلْنَا

الْقُرْآنَ إِنَّمَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

الاثراء : ٨٢

وقال الله للحبيب محمد ﷺ :

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

الفتح : ٤

وقال الخليل :

وَالَّذِي أَظْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

الشعراء : ٨٢

وقال للنبي :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا
نُورَنَا وَاعِزِّدْنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٣﴾

التحريم : ٨

وقال الخليل حين ألقى في النار : « حسبي الله ونعم الوكيل » وقال الله لمحمد :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

الأنفال : ٦٤

وقال الخليل :

(اِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ)

الصفات : ٩٩

وقال الله لمحمد :

(وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ)

الضحى : ٧

وقال الخليل :

(واجعل لى لسان صدق فى الآخزين)

وقال الله لمحمد :

(ورفعنا لك ذكرك)

الشرح : ٤٠

وقال الخليل :

ر واجنبثنى وبنى أن نعبد الأصنام)
ابراهيم : ٣٥

وقال الله للحبيب :

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾
الأحزاب : ٣٣

وقال الخليل :

(واجعلنى من ورثة جنة النعيم)
الشعراء : ٨٥

وقال الله لمحمد :

(انا أعطيناك الكوثر)

الكوثر : ١

وذكر أشياء أخرى ، وفى صحيح مسلم عن أبى بن كعب
أن رسول الله ﷺ قال : « انى سأقدم مقاما يوم القيامة يرغب
الى الخلق كلهم حتى أبوهم ابراهيم الخليل » فدل على أنه

أفضل اذا هو يحتاج اليه فى ذلك المقام ، ودل على أن
ابراهيم أفضل الخلق بعده ، ولو كان أحد أفضل من ابراهيم
بعده لذكره .

ثم قال أبو نعيم : فان قيل : ان ابراهيم عليه السلام
حجب عن تمرود ويحجب ثلاثة فقد قيل كان كذلك . . قال
الله تعالى فى أمره :

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ①

يس : ٩

فهذه ثلاث . . ثم قال :

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَنُورًا ②

الاسراء : ٤٥

ثم قال :

إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَمَنْ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ③

يس : ٨

فهذه خمس حجب .

وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد ، وما
أدرى أيهما أخذ من الآخر والله أعلم وهذا الذى قاله غريب ،
والحجب التى ذكرها لابراهيم - عليه السلام - لا أدرى
ما هى ؟! كيف وقد ألقاه فى النار التى نجاه الله منها . . أما
ما ذكره من الحجب التى استدل عليها بهذه الآيات ، فقد

قيل : انها جميعها معنوية لا حسية ، بمعنى أنهم مصرفون
عن الحق ، لا يصل اليهم ، ولا يخلص الى قلوبهم ، كما قال
تعالى :

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُوا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا
غُشٌّ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ رَبِّاجُ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُون ۝٥

فصلت : ٥

وقد ذكرنا في السيرة والتفسير أن أم جميل امرأة أبي
لهب ، لما نزلت سورة المسد في ذمها ودم زوجها ، ودخولهما
النار ، وخسارهما ، جاءت بفهر - وهو الحجر الكبير -
لترجم النبي ﷺ ، فانتهدت الى أبي بكر وهو جالس عند
النبي ﷺ فلم تر رسول الله ﷺ وقالت لأبي بكر : أين
صاحبك ؟ فقال : وماله ؟ قالت : انه هجاني ، فقال :
ما هجاك فقالت : والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر * ثم
رجعت وهي تقول : مذمما أبينا ، ودينه قلينا ، وأمره
عصينا *

وكذلك حجب ومنع أبا جهل حين هم أن يطأ برجله رأس
النبي ﷺ وهو ساجد فرأى حدثا من نار وهو لا عظيمبا
وأجنحة الملائكة دونه ، فرجع القهقري ، وهو يتقى بيديه ،
فقالت له قريش : مالك ؟ ويحك !! * فأخبرهم بما رأى ،
وقال النبي ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا
عضوا » *

وكذلك لما خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، وقد
أرصدوا على مدرجته وطريقه ، وأرسلوا الى بيته رجالا
يحرسونه لئلا يخرج ، ومتى عاينوه قتلوه ، فأمر عليا فنام
على فراشه ، ثم خرج عليهم وهم جلوس ، فجعل يدر على
رأس كل انسان منهم ترابا ويقول : « شأهت (أى قبعت)

الوجوه » فلم يروه حتى صار وأبو بكر الصديق الى غار ثور
كما بسطنا ذلك في السيرة وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سد
على باب الغار ليعمى الله عليهم مكانه . . وفي الصحيح أن
أبا بكر قال : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم الى موضع قدميه
لأبصرنا . فقال : « يا أبا بكر بما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ ! »
وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

نسج داود ما حمى صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت
وكذلك حجب ومنع من سراقه بن مالك حين اتبعهم ،
بسقوط قوائم فرسه في الأرض حتى أخذ منه أمانا .

وروى ابن اسحاق عن سرافة بن مالك قال : لما خرج
رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا الى المدينة ، جعلت قریش فيه
مائة ناقة لمن يرده عليهم ، فبينما انا جالس في نادى قومي
اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، والله لقد رأيت ركيه
ثلاثة مروا على أنفا ، انى لأراهم محمدا واصحابه .

قال : فأومأت اليه بعيني ، أن أسكت . ثم قلت : انما
هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم . . قال : لعله . . ثم سكت .
قال : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت
بفرسى ، فقيدت لي من بطن الوادي ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج
لي من دبر حجرتي ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ،
ثم انطلقت ، فلبست لأمتى (أداة الحرب كلها) ثم أخرجت
قداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره وكنت
أرجو أن أرده على قریش ، فأخذ المائة ناقة . . قال : فركبت
على أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عشر بى ، فسقطت عنه ،
فقلت : ما هذا ؟ ! . . ثم أخرجت قداحتى فاستقسمت بها ،
فخرج السهم الذى أكره « لا يضر » قال : أبيت الا أن أتبعه ،
فركبت فى أثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عشر بى فرسى ،

فذهبت يدها في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالاعصار .

قال : فعرفت حين ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر . .
قال : فنادت القوم ، فقلت : أنا سراقه بن جعشم ،
انظروني اكلمكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتيكم مني شيء
تكرهونه ، قال : فقال رسول الله ﷺ لابي بكر : « قل له :
وما تبتغي منا ؟ » قال : فقال ذلك ابو بكر . . قال : قلت :
تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك ، قال : « أكتب له
يا ابا بكر » قال : فكتب لي كتابا عظيما في عظم أو في رقعة ،
أو في خرقة ثم القاه الى . وذكر ابن حامد في كتابه ، في
مقابلة اجتماع ابراهيم - عليه السلام - ولده للذبح
مستسلما لأمر الله تعالى ، بذل رسول الله ﷺ نفسه للقتل
يوم أحد وغيره ، ونال منه العدو ما نال ، من هشم رأسه ،
وكسر ثنيته اليمنى السفلى . ثم قال : قالوا كان ابراهيم
- عليه السلام - القاه قومه في النار فجعلها الله بردا وسلاما
. . قلنا : وقد أتى محمد ﷺ مثله ، وذلك أنه لما نزل بخيبر
سمته الخيبرية ، فصير ذلك السم في جوفه بردا وسلاما الى
منتهى أجله والسم عرق اذ لا يستقر في الجوف كما تحرق
النار .

قلت : ويؤيد ما قاله : أن بشر بن البراء بن معرور
مات سريعا من تلك الشاة المسمومة ، وأخبر رسول الله ﷺ
بما أودع فيه من السم ، وكان قد نهش منه نهشة ، وكان
السم فيه أكثر ، لأنهم كانوا يفهمون أنه ﷺ يحب الذراع . .
فلم يضره السم الذي حصل في باطنه باذن الله - عز وجل -
حتى انقضى أجله ﷺ فذكر انه وجد (أى حزن) حينئذ من
الم ذلك السم الذي كان في تلك الأكلة . ثم قال ابو نعيم :
فان قيل : فان ابراهيم خصم نمرود ببرهان نبوته فبهته ،
قال الله تعالى :

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

البقرة : ٢٥٨

تيل : محمد ﷺ أتاه الكذاب بالبعث - أبى ابن خلف -
بعظم بال ففركه وقال :

(قال من يحيى العظام وهى رميم)

يس : ٧٨

فأنزل الله تعالى البرهان الساطع :

« قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل
خلق عليم »

يس : ٧٩

فأنصرف مبهورا ببرهان نبوته .

قلت : هذا أقطع للحجة ، وهو الاستدلال للمعادة
بالبدأة ، فالذى خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا ،
قادر على اعادةهم كما قال تعالى :

أَوَلَيْسَ

الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

يس : ٨١

أى- يعيدهم كما بدأهم ، كما قال فى الآية الأخرى :-

« انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن
فيكون »

يس : ٨٢

وقال :

وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

الروم : ٢٧

هذا وأمر المعاد نظري لا فطري ضروري في قول
الأكثرين ، فأما الذي حاج إبراهيم في ربه فانه معاند مكابر ،
فان وجود الصانع مذكور في الفطر ، وكل واحد مفطور
على ذلك ، الا من تغيرت فطرته ، فيصير نظريا عنده - وبعض
المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات ،
وعلى كل تقدير فدعواه أنه هو الذي يحيى الموتى ، لا يقبله
عقل ولا سمع ، وكل واحد يكذبه بعقله في ذلك ولهذا ألزمه
إبراهيم بالاثبات بالشمس من المغرب ان كان كما ادعى :

«فبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»

البقرة : ٢٥٨

وكان ينبغي أن يذكر مع هذا أن الله تعالى سلط محمدا
على هذا المعاند لما بارز النبي ﷺ يوم أحد ، فقتله بيده
الكريمة ، طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسة
مرارا .. فقالوا : ويحك ! مالك ؟

فقال : والله انى بي لما لو كان بأهل ذى الحجاز لما توا
أجمعين .. ألم يقل : بَلْ أَنَا قَاتِلُهُ ؟ والله لو بصق على لقتلنى
.. وكان هذا لعنه الله ، قد أعد فرسا وحربة ليقتل بها
رسول الله ﷺ ، فقيال « بَلْ أَنَا قَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .. فكان
كذلك يوم أحد ثم قال أبو نعيم : فان قيل : فان إبراهيم
- عليه السلام - كسر أصنام قومه غضبا لله .. قيل : فان

محمد ﷺ كسر ثلاثمائة وستين صنما ، قد ألزمها الشيطان
بالرصا ص والنحاس ، فكان كلما دنا منها بمحضرتة تهوى
من غير أن يمسها ، ويقول :

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١

الاسراء : ٨١ ••

فتتساقط لوجوهها ، ثم أمر بهن فأخرجن الى الميل ،
وهذا أظهر وأجلى من الذى قبله •

وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام
تساقطت أيضا لمولده الكريم وهذا أقوى وأبلغ فى المعجزة
من مباشرة كسرها •• كما أن نار فارس التى كانوا
يعبدونها خمدت ليلتئذ ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ••
وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشرة شرفة ، مؤذنة
بزوال دولتهم بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم فى أقصر
مدة ، وكان لهم فى الملك قريب من ثلاث آلاف سنة •

وأما قوله تعالى :

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين »

الأنعام : ٧٥

والآيات بعدها ، فقد قال الله تعالى :

سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
الَّذِى بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①

• أول سورة الاسراء •

وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد . وقد ذكر في أحاديث الاسراء ما شاهده رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من الآيات فيما بين مكة الى بيت المقدس ، وفيما بين ذلك الى سماء الدنيا ، ثم عاين من الآيات في السموات السبع ، وما فوق ذلك ، وسدرة المنتهى ، وجنة المأوى ، والنار التي هي بئس المصير والمثوى .

قال عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث المنام وقد رواه أحمد والترمذي وصححه وغيرهما : «فتجلى لي كل شيء وعرفت» . وقد ذكر ابن حامد في مقابلة ابتلاء الله يعقوب - عليه السلام - بفقد ولده يوسف - عليه السلام - ، وصبره واستعانتة ربه - عز وجل ، موت ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وصبره عليه ، وقوله : «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وانا بك يا ابراهيم لمحزونون» قلب وقد مات بناته الثلاث : رقيه ، وأم كلثوم ، وزينب ، وقتل عمه حمزة ، أسد الله وأسد رسول الله يوم أحد ، فصبر واحتسب .

وذكر في مقابلة حسن يوسف - عليه السلام - ما ذكر من جمال رسول الله ﷺ ومهابته وحلاوته شكلا ، ونفعا وهديا ، ودلا ، وعينا . كما قالت الربيع بنت مسعود : لو رأيته لرايت الشمس طالعة .

وذكر في مقابلة ما ابتلى به يوسف - عليه السلام - من الفرقة والغربة ، هجرة رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ، ومفارقتة وطنه وأهله وأصحابه الذين كانوا بها . القول فيما أوتى موسى - عليه السلام - من الآيات البيئات : وأعظمهن تسع آيات ، كما قال تعالى :

(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)

الاسراء : ١٠١

وقول السلف فيها ، واختلافهم فيها ، وأن الجمهور غلى أنها هي : العصا في انقلابها حية تسعى . . . واليد ، اذا أدخل يده في جيب درعه وأخرجها تضيء كقطعة قمر يتلألأضائة ، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه ، فأرسل عليهم : الطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات . . وكذلك أخذهم الله بالسنين ، وهى نقص الحبوب . . وبالجذب وهو نقص الثمار . . وبالموت الذريع ، وهو نقص الأنفس ، وهو الطوفان فى قول .

ومنها : فلق البحر لانجاء بنى اسرائيل واغراق آل فرعون . . ومنها تضليل بنى اسرائيل فى التيه ، وانزال المن والسلوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حجر يحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه : اذا ضربه موسى بعصا يخرج من كل وجه ثلاث أعين ، لكل سبط عين ، ثم يضربه فينقلع ، الى غير ذلك من الآيات الباهرات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير .

أما العصا ، فقد قال شيخنا العلامة ابن الزملكاني : وأما حياة عصا موسى ، فقد سبح الحصا فى كف رسول الله ﷺ وهو جماد ، والحديث فى ذلك صحيح ، وقد قدمنا ذلك مبسوطا بما يغنى عن اعادته . وقيل : انهن سبحن فى كف أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما سبحن فى كف رسول الله ﷺ : « هذه خلافة النبوة » .

وروى البخارى عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . .

قال شيخنا : وكذلك قد سلمت عليه الأحجار .

قلت : وهذا قد رواه مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « انى لأعرف حجرا كان يسلم على بمكة قبل أن أبعث ، انى لأعرفه الآن » . . قال بعضهم : هو الحجر الأسود . .

وروى الترمذى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه -
قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة فى بعض نواحيها ، فما
استقبله جبل ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله .

ثم ذكر قصة اقبال الشجرتين لرسول الله ﷺ ، وقصة
فرع النخلة الذى آتاه ﷺ وكذا حنين الجذع الذى كان
يخطب الى جنبه حين فارقه . . وقال : قال شيخنا : فهذه
جمادات ونباتات وقد حنت وتكلمت ، وفى ذلك ما يقابل
انقلاب العصا حية .

قلت : سنشير الى هذا عند ذكر معجزات عيسى - عليه
السلام - فى احيائه الموتى باذن الله تعالى فى ذلك . . . كما
رواه البيهقى عن عمرو بن سواد .

قال : قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيا ما أعطى
محمدا ﷺ . .
فقلت : أعطى عيسى احياء الموتى . .

فقال : أعطى محمد الجذع الذى كان يخطب الى جنبه
حتى هينء له المنبر ، فلما هينء له حن الجذع حتى سسمع
صوته ، فهذا أكبر من ذلك . . وهذا اسناد صحيح الى
الشافعى رحمه الله وهو مما كنت أسمع شيخنا الربافظ
أبا العجاج المزنى رحمه الله ، يذكره عن الشافعى ، رحمه
الله وأكرم مثواه . . وإنما قال : فهذا أكبر من ذلك ، لأن
الجذع ليس محل للحياة ، ومع ذلك حصل له شعور ووجد لما
تحول عنه الى المنبر فإنه حن جنين الفشار حتى نزل اليه
رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكنه حتى سكن .

● قال شيخنا : وأما أن الله كلم موسى تكليما ، فقد
حصل الكلام للنبي ﷺ ليلة الاسراء مع الرؤىة ، وهو أبلغ .
أما الرؤىة فقصيها خلاف مشهور بين الخلف والسلف ،
ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة ،

المشهود له بامام الأئمة ، واختار ذلك القاضي عياض والشيخ
محيى الدين النووي .

وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية ، وجاء عنه
تفنيدها ، وكلاهما فى صحيح مسلم . وفى الصحيحين عن
عائشة ائكار ذلك ، فعن ابن مسعود وأبى هريرة وعائشة
ان المرئى فى المرتين المذكورتين فى أول سورة النجم انما هو
جبريل - عليه السلام .

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله
هل رأيت ربك ؟

فقال : « نور أنى أراه ! » .

وفى رواية : « رأيت نورا » .

وهذا الذى ذكره شيخنا فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية
. . . وأيضا فان الله تعالى كلم موسى وهو بطور سيناء وسأل
الرؤية فمنعها . . . وكلم محمدا ﷺ ليلة الاسراء وهو بالملأ
الأعلى حين رفع لمستوى فيه صريف الأقلام ، وخصلت له
الرؤية فى قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف ،
والله أعلم .

قال الله تعالى :

وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سَوَاءٍ آيَةً أُخْرَى ۝ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۝

طه : ٢٢ - ٢٣

وقال لحمد :

الله ۝ لا إله إلا هو الحى القيوم ۝

آل عمران ١ - ٢

● أما اليد التي جعلها الله برهاناً وحجة على فرعون وقومه ، كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية :

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ
تَسْعَى إِلَيْكَ الْفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

النمل : ١٢

وقال تعالى :

أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ
بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾

القصص : ٣٢

قال في سورة طه آية أخرى : (لنريك من آياتنا الكبرى)
فقد أعطى الله محمداً انشقاق القمر بإشارته إليه فرقتين ،
فرقة من وراء جبل حراء ، وأخرى أمامه كما تقدم بيان ذلك
بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى :

أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

أول سورة القمر آية ١ - ٢

ولا شك أن هذا أجل وأعظم وأبهر في المعجزات وأعم
وأظهر وأبلغ من ذلك . .

● وقال ابن حامد : قالوا : فان موسى أعطى اليد البيضاء
. . قلنا لهم : فقد أعطى محمد ﷺ ما هو أفضل من ذلك

نورا كان يضيء عن يمينه حيثما جلس وعن يساره حيثما
جلس يراه الناس كلهم ، وقد بقى فى ذلك النور الى قيام
الساعة .

وعن الطفيل بن عمرو الدوسى انه طلب من النبى ﷺ
آية تكون له عوناً على اسلام قومه من بيته هناك ، فسطع نور
بين عينيه كالصباح ، فقال : اللهم فى غير هذا الموضع ،
فانهم يظنوننه مثله . فتحول النور الى طرف سوطه ، فجعلوا
ينظرون اليه كالصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله
ﷺ وبدعائه لهم فى قوله : « اللهم اهد دوسا ، وآت بهم » .
وكان يقال للطفيل : ذو النورين لذلك . وقد ذكرنا حديث
اسيد بن حضير وعباد بن بشر فى خروجهما من عند النبى
ﷺ فى ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف عصا أحدهما فلما
افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه . وذلك فى
صحيح البخارى وغيره .

● وأما دعاؤه — عليه السلام — بالطوفان ، وهو الموت
الذريع فى قوله ، وما بعده من الآيات والقحط والجذب ،
فانما كان ذلك لعلهم يرجعون الى متابعتة ويقنعون عن
مخالفتة فما زادهم الا طغيانا كبيرا ، قال الله تعالى :

وَمَا يَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا
هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا
يَا أَيُّهُ السَّاحِرِ ادَّعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْذُونَ ﴿٤٩﴾

الزخرف : ٤٨ ، ٤٩

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ
 آيَةٍ لِّنُتَحَرَّ نَابِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
 وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
 وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
 وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ
 بِلَاغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٩﴾ فَأَنقَضْنَا مِهِمُ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٠﴾

الاعراف آية ١٣٢ - ١٣٦

وقد دعا رسول الله ﷺ على قريش حين تمادوا على
 مخالفته بسبع كسبع يوسف ففقطوا حتى أكلوا كل شيء ،
 وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع *
 .. وقد فسر ابن مسعود قوله تعالى :

فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

الدخان : ١٠

بذلك ، كما رواه البخارى عنه فى غير ما موضع من
 صحيحه ، ثم توسلوا اليه ، صلوات الله وسلامه عليه ،
 بقرابتهم منه ، مع انه بعث بالرحمة والرفقة فدعا لهم ،
 فأقلع عنهم ، ورفع عنهم العذاب ، وأخيرا نجوا بعدما كانوا
 قد أشرفوا على الهلكة :

● واما فلق البحر لموسى - عليه السلام - حين أمره الله
 تعالى حين تراءى الجمعان أن يضرب البحر بعصاه فانفلق
 فكان كل فلق كالطود العظيم فانه معجزة عظيمة باهرة ،

وجبة ماهرة .. وفى اشارته ﷺ بيده الكريمة الى قمر السماء فانشق القمر فلقطين وفق ما سأل قريش ، وهم معه جلوس فى ليلة البدر ، أعظم آية وايمى دلالة ، وأوضح حجة وأبهر برهانا على نبوته وجاهه عند الله تعالى .. ولم ينقل معجزة عن نبي من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا .. وهذا أعظم من حبس الشمس ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت ..

وقد تقدم من سيرة العلاء بن الحضرمي وأبى عبيد الثقفى وأبى مسلم الخولانى وسير الجيوش التى كانت معهم على تيار الماء ومنها دجلة وهى جارية عجاجة تغترف الخشب من شدة جريها .

● واما تظليله بالغمام فى التيه .. فقد ظلمت رسول الله ﷺ الغمامة التى رآها بحيرا الراهب وهو ابن نسي عشرة سنة ، صحبه عمه أبو طالب وهو قادم الى الشام فى تجارة .. وهذا أبهر من جهة انه كان وهو قبل أن يوحى اليه وكانت الغمامة تظلمه وحده من بين أصحابه ، فهذا أشد فى الاعتناء وأظهر من غمام بنى اسرائيل وغيرهم وأيضا فان المقصود من تظليل الغمام انما كان لاحتياجهم اليه من شدة الحر وقد سبق أن ذكرنا انه حين سئل النبي ﷺ أن يدعو لهم ليسقوا ، لما هم عليه من الجوع والجهد والقحط ، فرفع يديه وقال : « اللهم اسقنا اللهم اسقنا » ، قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فأنشأت من دعائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت .

قال أنس : فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ولما سألوه أن يستصحى (يطلب صحو السماء ، وذهاب الغيم والمطر) لهم رفع يده وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » ..

فما جعل يشير بيديه الى ناحية انحاز السحاب اليهم ،
حتى صارت المدينة مثل الاكليل يمطر ما حولها ولا تمطر
.. فهذا تظليل عام محتاج اليه ، أكثر من الحاجة الى ذلك ،
وهو أنفع منه ، وهو يشير أبلغ في المعجزات وأظهر في
الاعتناء .. والله أعلم .

وأما انزال المن والسلوى عليهم ، فقد كثر رسول الله
ﷺ الطعام والشراب في غير ما بوطن كما تقدم من اطعام
الجنم الفقير من الشيء اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من
شويبه جابر بن عبد الله وصاعه الشعير ، أزيد من ألف نفس
جائعة ، صلوات الله وسلامه عليه الى يوم الدين وقد ذكر
أبو نعيم وابن حامد أيضا هنا ، أن المداد بالمن والسلوى ،
انما هو رزق رزقوه من غير كد منهم ولا تعب .. ثم أورد
في مقابلته حديث تحليل المنعم ، ولا يعمل لأحد قبلنا ..
وحديث جابر في السيرة ، الى أن أكلوا الخيط ، ؟ عن دابة
تسمى العنبر ، فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا
وتكسرت بطونهم والحديث في الصحيح ، وسيأتي ذكره
المائدة في معجزات المسيح - عليه السلام .

وأما قوله تعالى :

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُفُورًا وَاشْرَبُوا مِنْ
رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۖ﴾

البقرة ٦٠

فقد ذكرت الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في وضع
يده في ذلك الاناء الصغير الذي لم يسع بسطها فيه ، فجعل
الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون .. وكذلك كثر الماء
في غير ما موطئ .. وقد استسقى الله لأصحابه في المدينة
وغيرها ، فأجيب طلب السؤال وفق الحاجة لا أزيد ولا أنقص ،

وهذا. أبلغ في المعجزة . . ونبع الماء في الحجر ، فانه محل لذلك .

قال أبو نعيم : فان قيل : ان موسى كان يضرب بعصاه الحجر فيتفجر منه اثنتا عشرة عينا في التيه ، قد علم كل أناس مشربهم ، قيل : كان لمحمد ﷺ مثله أو أعجب . . فان نبع الماء من الحجر مشهور في العلوم والمعارف ، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والدم والعظم ، فكان يفرج بين أصابعه في مخضب (اناء تغسل فيه الثياب) ، فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويسقون ماء جاريا عذبا ، يروى الكثير من الناس والخييل والابل . . ثم روى عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، فبات الناس في مخمصة ، فدعا بركوة (اناء صغير يشرب فيه) ، فوضعت بين يديه ، ثم دعا بماء فصبه فيها ، ثم مچ فيها وتكلم ما شاء الله أن يتكلم ، ثم أدخل أصبعه فيها . . فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تتفجر منها ينابيع الماء . . ثم أمر الناس فسقوا وشربوا وملئوا قربهم وادأواتهم .

حبس الشمس ليوشع بن نون :

وقد كان نبي بني اسرائيل بعد موسى — عليه السلام — وهو الذي خرج ببني اسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة ، وكان الفتح قد ينجز بعد العصر يوم الجمعة ، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم البيت فلا يتمكنون معه من القتال ، فنظر الى الشمس وقال : انك مأمورة وأنا مأمور . . ثم قا : « اللهم احبسها على . . فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ، ثم غربت روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة (أى ملك فرجها بالنكاح) وهو يريد أن يبنى بها . ولما بين ولا آخر قد بنى بنياننا ، ولما يرفع سقفها . . ولا آخر قد اشترى غنما »

أو خلفات (جمع خلفه) وهى الحامل من الابل ، وهو منتظر ولادتها : . قال : ففدا ، فأدى (أى قرب جيوشه وجموعه للمقرية . . وقد يكون المعنى : حان وقرب فتحها للمقرية حتى صلاة العصر ، أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها على شيئا ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه) . .

الحديث بطوله . . وهذا النبى هو يوشع بن نون، بدليل ما رواه الامام أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس » تفرد به أحمد ، واسناده على شرط البخارى .

إذا علم هذا ، فانشقاق القمر فلقتين، حتى صارت فلقة من وراء الجبل ، أعنى حراء ، والأخرى من دونه ، أعظم فى المعجزة من حبس الشمس قليلا .

قال شيخنا العلامة أبو المعالى الزملى : وأما حبس الشمس ليوشع فى قتال الجيادين ، فقد انشق القمر لنبينا محمد ﷺ ، وانشقاق القمر فلقتين أبلغ من حبس الشمس عن سيرها ، وصحت الأحاديث وتواترت بانشقاق القمر ، وأنه كان فرقة خلف الجبل وفرقة أمامه ، وأن قريشا قالوا : هذا سحر أبصارنا ، فورد المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفترقا . . قال الله تعالى :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

القمر (١)

قال : وقد حبست الشمس لرسول الله ﷺ مرتين .

أحداها : ما رواه الطحاوى وقال : رواه ثقات ، وسماهم وعدهم واحد واحدا . . وهو أن النبى ﷺ كان

يؤخى اليه ورأسه فى حجر على - رضى الله عنه - فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس * ولم يكن على صلى العصر ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسؤلك ، فاردد عليه الشمس فرد الله عليه الشمس حتى رؤيت ، فقام على فصلى العصر ، ثم غربت » *

والثانية : صبيحة الاسراء ، فانه ﷺ أخبر قريشا عن مسراه من مكة الى بيت المقدس * فسألوه عن أشياء من بيت المقدس ، فجلاه الله له حتى نظر اليه ووصفه لهم .. وسألوه عن غير كانت لهم فى الطريق ، فقال « انها تصل اليكم مع شروق الشمس » *

فتأخرت ، فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى كانت بالعصر .. روى ذلك ابن بكير فى زياداته على السيرة *

أما حديث رد الشمس ببيت على - رضى الله عنه - فقد تقدم ذكرنا له .. وهو مستنكر من جميع الوجوه .. وقد مال الى تقويته أحمد بن صالح المصرى الحافظ ، وأبو حفص الطحاوى ، والقاضى عياض ، وكذا صححه جماعة من الرافضة * ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث * ونقادهم *

وذكره الشيخ جمال الدين أبو فرج بن الجوزى فى كتابه « الموضوعات » *

وأما ما ذكره ابن بكير فى زياداته على السيرة ، من تأخر طلوع الشمس عن ابان طلوعها ، فلم ير لغيره من العلماء ، على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة وأكثر ما فى الباب أن الراوى روى تأخير وقوعها ولم نشاهد حبسها عن وقته *

أما أعطى ادريس - عليه السلام -
أوما أعطى - محمد صلى الله عليه وسلم - :

قال أبو نعيم : وأما القول فيما أعطى ادريس - عليه
السلام - الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال :
« ورفعناه مكانا عليا »

مریم ۵۷

القول فيه أن نبينا محمدا ﷺ أعطى أفضل وأكمل
من ذلك ، لأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة فقال :
(ورفعنا لك ذكرك)

الشرح : ٤

فليس خطيب ، ولا شيخ ، ولا صاحب صلاة
الا ينادى بها : أشهد أن لا اله الا الله ، وان محمدا
رسول الله ، فقرن الله اسمه باسمه ، في مشارق
الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاح للصلاة ذلك ،
قال « قال جبريل قال الله : اذا ذكرت ذكرت ، ورواه
ابن جرير * وابن أبي حاتم * ثم روى الله تعالى به
من أمر السموات والأرض ، قلت : يارب انه لم يكن نبي
قبلي الا قد كرمته ، جعلت ابراهيم خيلا ، وموسى كليما
وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ،
وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟ قال أوليس قد
أعطيتك أفضل من ذلك كله ؟ أن لا أذكر الا ذكرت معي ،
وجعلت صدور أمتك انا حين يقرأون القرآن ظاهر ولم
أعطيها أمة ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشي : لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم * »

وهذا اسناده فيه غرابة ولكن أورد له شاهدا من طريق
أبي القاسم ابن بنت منيع البغوي ، عن ابن عباس مرفوعا
بنحوه * »

وقد رواه أبو زرعة الرازى فى كتابه « دلائل النبوة »
سياق آخر وفيه انقطاع وقال بعض الأئمة : رفع الله ذكره ،
وقبرنه باسمه فى الأولين والآخرين ، وكذلك يرفع قدره
ويقيم مقامه محمودا يوم القيامة ، يغطيه به الأولون
والآخرون ويرغب اليه الخلق كلهم حتى ابراهيم الخليل
كما فى صحيح مسلم .

فأما التنسويه بذكره فى الأمم الخالية ، والقرون
السابقة ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : ما بعث
الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى
ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرته ، وأمره أن يأخذ على أمته
العهد والميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به
وليتبعنه .

وقد بشرت بوجوده الأنبياء - حتى كان آخر من بشر به
عيسى ابن مريم خاتم أنبياء بنى اسرائيل وكذلك بشرت به
الاحبار والرهبان ، والكهان ولما كانت ليلة الاسراء رفع
من سماء الى سماء حتى سلم على ادريس - عليه السلام -
وهو فى السماء الرابعة . ثم جاوزه الى الخامسة .
ثم الى السادسة . فسلم على موسى بها ثم جاوزه
الى السابعة فسلم على ابراهيم الخليل عند البيت المعمور ،
ثم جاوز ذلك المقام فرفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ،
وجاء سدرة المنتهى ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات
الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيعه من كل مقربوها وسلم
عليه رضوان خازن الجنات ، ومالك خازن النار ، فهذا
هو الشرف وهذه هى الرفعة . وهذا هو التكريم والتنويه ،
والاشهار والتقديم ، والعلو ، والعظمة ، صلوات الله
وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين .

وأما رفع ذكره فى الآخريين ، فان دينه باق وناسخ لكل
دين - - ولا ينسخ هو أبد الأبدىين ، ودهر الداهريين الى يوم

الدين . . ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة . .
والنداء في كل يوم خمس مرات على كل مكان من الأرض :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . . وهكذا
كل خطيب يخطب لابد أن يذكر في خطبته وما أحسن قول
حسان :

أغر عليه للنبيوة خاتم
من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحله
فدو العرش محمود وهذا محمد

وقال المصطفى رحمه الله :

ألم تر أنا لا يصح أذاننا
ولا فرضنا ان لم نكرره فيهما ؟
ما أوتي داود - عليه السلام - وما أوتي محمد .

قال تعالى :

« اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
ذا الأيد أنه أبواب ، أنا سخرنا الجبال معه
يسبحن بالعشي والاشراق . والطير محشورة
كل له أبواب . وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة
وفصل الخطاب »

. سورة ص (١٧ - ١٩)

قال تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ^ط الْجِبَالَ
أَوَّيَّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ ^ط وَأَلْنَّاهُ الْحَدِيدَ ⑩ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَقَدْرًا
فِي السَّيِّدِ وَأَعْمَلُوا صُلْحًا إِنِّي بِمَاعْمَلُونَ بَصِيرٌ ⑪

سبا ١٠ ، ١١

لقد كان داود - عليه السلام - طيب الصوت ، وقد
سخر الله تعالى له الطير يسبحن معه وكانت الجبال أيضا تجيبه
وتسبح معه ، وكان سريع القراءة ، يأمر بدوايه فتسرج
فيقرأ الزبور بمقدار ما يفرغ من شأنها ثم يركب . . كان
لا يأكل الا من كسب يده ، صلوات الله وسلامه عليه . .
وقد كان نبينا - ﷺ حسن الصوت ، طيبه بتلاوة القرآن . .
قال جبير بن مطعم : قرأ رسول الله ﷺ في المغرب
بالتين والزيتون ، فما سمعت صوتا أطيب من صوته ﷺ
وكان يقرأ ترتيلا كما أمره الله - عز وجل - بذلك .

وأما تسبيح الطير مع داود ، فتسبيح الجبال الصم
أعجب من ذلك - وقد تقدم في الحديث أن الحصا سبّح في
كف رسول الله ﷺ . . قال ابن حامد : هذا حديث مشهور .

وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه ﷺ في
صحيح البخاري عن ابن مسعود قال : لقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل . . يعني بين يدي النبي ﷺ .

وكلمه ذراع الشاة المسمومة . وأعلمه بما فيه في
السم ، وشهدت نبوته الحيوانات الانسية والوحشية ،
والجمادات أيضا . . كما تقدم بسطه .

ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصفار الصم
التي لا تجاوب فيها ، أعجب من صدور ذلك من الجبال ، لما

ففيها من التجاويف والكهوف ، فانها وما شاكلها تردد صدى الأصوات العالية غالبا ، كما قال عبد الله بن الزبير : كان اذا خطب ، وهو أمير المدينة بالحرم الشريف ، تجاوبه الجبال وقبيس وزرود ، ولكن من غير تسبيح ، فان ذلك من معجزات داود - عليه السلام - ومع هذا كان تسبيح الحصا في كف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان أعجب .

وأما أكل داود من كسب يده ، فقد كان رسول الله ﷺ يأكل من كسبه أيضا ، كما كان يرعى غنما لأهل مكة على قراريط ، وقال « وما من نبي الا وقد رعى الغنم » .
وخرج الى الشام في تجارة لخديجة فصار به .

وقال الله تعالى :

« وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (*) أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا (*) انظر كيف ضربوا لله الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا »

الفرقان : ٧ - ٩

وقوله تعالى :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق »
الفرقان : ٢٠

أى للتكسب والتجارة طلبا للربح الحلال .

ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة ، كان يأكل مما أباح الله له من المغنم التي لم تبح قبله وما أفاء الله عليه من أموال الكفار التي أبيحت له دون غيره ، كما جاء في المسند عن ابن

عمر قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » .

وأما الآلة الحديد بغير نار كما يلين العجين في يده ، فكان يصنع هذه الدروع الداودية ، وهي الزرديات السابغات وأمره الله تعالى بنفسه بعملها «وقدر في السرد» ، أن ألا يدق المسمار فيفلق ، ولا يغلظه فينقصم .

وقال تعالى :

« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون »

وقد قال بعض الشعراء في معجزات النبوة :

نسج داود ما حمى صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت
والمقصود في الآلة الحديد . . . معه وقد سبق أن ذكرنا
أنه عند حفر الخندق قد عرضت لهم كدية ، وهي الصخرة في
الأرض ، فلم يقدرُوا على كسرها ولا شيء منها ، فقام إليها
رسول الله ﷺ وقد ربط حجرا على بطنه من شدة الجوع ،
فضربها ثلاث ضربات ، لمعت الأولى حتى أضاعت لها قصور
الشام ، وبالثانية قصور فارس والثالثة انسالت الصخرة
كأنها كثيب من الرمل .

ولا شك أن انسيال الصخرة التي لا تنفعل ولا بالنار
أعجب من لين الحديد الذي ان أحمى لان ، كما قال بعضهم :

فلو أن ما عالجت لين فرأدها
بنفسى للان الجلد والجندل الصخر

فلو أن شيئا أشد قوة من الصخر لذكره هذا الشاعر
البالغ ، قال الله تعالى :

ثُمَّ قَسَتْ
 قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارِ
 لَمَا يَنْفَخُ جُرمِئُهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَنْشَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
 مِنْهَا لَمَاءً يَنْبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

البقرة : ٧٤

وَأما قوله تعالى :

* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا
 يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

الاسراء : ٥٠ ، ٥١

فذلك لمعنى آخر فى التفسير ، وحاصله أن الحديد أشد
 امتناعا فى الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالج، فإذا عولج
 انفعل الحديد ولا يتفعل الحجر . . والله أعلم .

وقال أبو نعيم : فإن قيل : فقد لين الله لداود - عليه
 السلام - الحديد حتى سرد منه الدروع السوابغ . . قيل . .
 لينت لمحمد ﷺ الحجارة وصم الصبخور ، فعادت له غارا استتر
 به من المشركين يوم أحد، مال الى الجبل ليخفى شخصه عنهم،
 فلين الجبل حتى أدخل رأسه فيه ، وهذا أعجب ، لأن الحديد
 تليينه النار ، ولم نر النار تلين الحجر . قال : وذلك بعد ظاهر
 باق يراه الناس - قال وكذلك فى بعض شعاب مكة حبر من
 جبل أصم استروح فى صلاته اليه ، فلان الحجر حتى أثر فيه
 بذراعيه وساعديه ، وذلك مشهود يقصده الحجاج ويزدونه
 . . وعادت الصخرة ليلة أسرى به كهية العجين فربط بها
 دابته ، البراق - وموضعه يلمسه الناس الى يومنا هذا .

وهذا الذي أشار إليه من يوم أحد ، وبعض شباب مكة غريب جدا ، ولعله قد أسنده هو فيما سلف ، وليس ذلك بمعروف في السيرة المشهورة . وأما ربط الدابة في الحجر فصحيح والذي ربطها جبريل كما في صحيح مسلم - رحمه الله .

وأما قولهم : أوتي داود الحكمة وفصل الخطاب ، فقد كانت الحكمة التي أوتىها محمد ﷺ الشرعة التي شرعت له أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن قبل من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، فإن الله جمع له محاسن من كان قبله وفضله وأكمله ، وآتاه ما لم يؤت أحدا قبله . . . قد قال ﷺ « أوتيت جوامع الكلم ، واختصرت لي الحكمة اختصارا » .

ولا شك أن العرب أفصح الأمم ، وكان النبي ﷺ أفصحهم نطقا ، وأجمع لكل خلق جميل مطلقا .

خامسا : ما أوتي سليمان بن داود عليهما السلام وما أوتي محمد صلى الله عليه وسلم :

قال الله تعالى :

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ

بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٣١ وَإِنَّ لَكَ عِنْدَنَا لَوْفِي وَحْشَنَ مِثَابٍ ١٣٢

ص ٣٩ - ٤٠

قال الله تعالى :

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً

تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ١٨١

الأنبياء ٨١ - ٨٢

قال الله تعالى :

وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْغُتْرَ وَمِنْ الْجِبِّ
تَنْ يَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ
عَذَابِ السَّعِيرِ ١٢ ١٣ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثَّلَ جِغْفَانٍ
كَالْجُحَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَةٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشُّكْرُ ١٤

سبأ ١٢ ، ١٣

وقد سبق ذلك في التفسير ، وفي الحديث الذي رواه
الامام أحمد وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم في
مستدرجه ، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « أن سليمان
— عليه السلام — لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلافاً
ثلاثاً : سأل الله حكماً يوافق حكمه وملكاً لا ينبغى لأحد من
بعده . . . وأنه لا يأتى هذا المسجد أحد الا خرج من ذلك كيوم
ولدت أمه وأن تسخير الريح لسليمان ، فقد قال الله تعالى :
في شأن الأحزاب :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩

الأحزاب ٩

وقد تقدم في الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس ان
رسول الله ﷺ قال (نصرت بالصبا ، وأهلك عاد بالديور)
وثبت في الصحيحين نصرت بالرعب من مسيرة شهر «
ومعنى ذلك أنه ﷺ كان اذا قصد قتال قوم عن الكفار ألقى

الله الرعب فى قلوبهم قبل وصوله اليهم بشهر ، ولو كان
مسيره ، شهرا ، فهذا فى مقابلة : غدوها شهر ورواحها شهر
.. بل هذا ابلغ فى التمكن والنصر ، والتأييد ، والظفر .

وسخرت الرياح شوق السحاب لانزال المطر الذى امتن
الله به حين استسقى رسول الله ﷺ فى غير موطن كما تقدم .

قال أبو نعيم : فان قيل : فان سليمان سخرت له الرياح
فسارت فى بلاد الله ، وكان غدوها شهرا ورواحها شهرا ،
قيل : أعطى محمد ﷺ أعظم وأكبر ، لأنه سار فى ليلة
واحدة من مكة الى بيت المقدس مسيرة شهر ، وعرج به فى
ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة ، فى أقل من ثلث
ليلة ، فدخل السموات سماء سماء ، ورأى عجائبها ، ووقف
على الجنة والنار ، وعرض عليه أعمال أمته ، وصلى بالانبياء
وبملائكة السموات ، واخترق الحجب ، وهذا كله فى ليلة
فانها ، أكبر وأعجب وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل له
ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده ورسوله محمد ﷺ
فى غير ما موطن . يوم أحد ، ويوم بدر ، ويوم حنين ، ويوم
الأحزاب .. وذلك أعظم وأفضل ، وأجل وأعلى من تسخير
الشياطين ، قد ذكر ذلك ابن حامد فى كتابه .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن
النبي ﷺ قال : ان عفريت من الجن تفلت على البارحة - أو
كلمه نحوها - فقطع على الصلاة ، فأمكننى الله منه فأردت أن
أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا
اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان « رب اغفر لى وهب لى
ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » فرده الله خاسئا .

وفى رواية لمسلم عن أبى الدرداء « ثم أردت أخذه ، والله
لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل
المدينة » .

وروى الامام أحمد بسند جيد عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قام يصلي الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته ، قال « لو رأيتموني وابليس ، فأهويت بيدي ، فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين ، الابهام والتي تليها ، ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة » - وقد ثبت في الصحيح والحسان والمسانيد ، أن رسول الله ﷺ قال « اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » .

وفي رواية « مردة الشياطين » . . فهذا من بركة ما شرعه الله من صيام شهر رمضان وقيامه . . وسيأتي عند ابراء الأكمة والأبرص من معجزات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام - دعاء رسول الله ﷺ لغير واحد ممن أسلم من الجن فشفي وفارقهم خوفا منه ومهابة له ، وامتنالا لأمره . صلوات الله وسلامه عليه ، وقد بعث الله نفرا من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه ، ورجعوا الى قومهم فدعوهم الى دين محمد ﷺ وحذروهم من مخالفته ، لأنه كان مبعوثا الى الانس والجن فأمنت طوائف من الجن كثيرة ، ووفدت اليه منهم وفود كثيرة ، وقرأ عليهم سورة الجن وأخبرهم بأن من آمن منهم فله النجات الجنان ، وما عن كفر من النيران ، وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم ، فدل على أنه بين لهم ما هو أهم من ذلك وأكبر .

وقد ذكر أبو نعيم حديث الغول التي كانت تسرق الثمر من جماعة من أصحابه ﷺ ويريدون احضارها اليه فتمتنع كل الامتناع خوفا من المشول بين يديه ، ثم افتدت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسي التي لا يقرب قارئها الشيطان والغول هو الجن المبتدى بالليل في صورة مرعبة .

روى البخارى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يعضو من الطعام ، فأخذته وقلت له : لأرفعنك الى رسول الله ﷺ

قال : قلت : يا رسول الله • شكا حاجة شديدة وعيالا ،
فرحمته فخليت سبيله •

قال : « أما انه قد كذبتك وسيعود » •

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته ، فجعل
يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله
ﷺ •

قال : دعني فاني محتاج ، وعلى عيال ، لا أعود •

فرحمته ، فخليت سبيله • • فأصبحت ، فقال لي رسول
الله ﷺ « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ »

قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته
فخليت سبيله ، قال : « أما انه قد كذبتك ، وسيعود » فرصدته
فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته •

فقلت : لأرفعنك الى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث
مرات ، انك تزعم لا تعود ثم تعود • •

قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها • • قلت • •
ما هن ؟

قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا اله
الا هو الحي القيوم) حتى تختتم الآية فانك لن يزال عليك
من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح •

فخلينا سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ
« ما فعل أسيرك البارحة ؟ »

قلت : يا رسول الله ، زعم انه يعلمني كلمات ينفعني
الله بها فخليت سبيله •

قال : « ما هي ؟ » .

قلت : قال لي : اذا اوتيت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية « الله لا اله الا هو الحي القيوم » ، وقال لي : لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح . . . وكانوا أحرص شيء على الخير . . . فقال النبي ﷺ : « أما انه قد صدقك وهو كذوب » تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟

قال : لا قال : « ذاك شيطان » .

وأما ما جمع الله - تعالى - لسليمان من النبوة والملك كما كان أبوه من قبله ، فقد خير الله عبده محمدا ﷺ بين أن يكون ملكا نبيا أو عبدا رسولا ، فاستشار جبريل في ذلك ، فأشار اليه أن يتواضع ، فاختر أن يكون عبدا رسولا وقد روى ذلك من حديث عائشة وابن عباس .

ولا شك أن منصب الرسالة أعلى - وقد عرضت على نبيينا كنوز الأرض فأبأها قال « ولو شئت لأجبري الله معي جبال الأرض ذهبا ، ولكنني أجوع يوما وأشبع يوما » .

وقد ذكرنا ذلك بأدلة وأسانيده ، في التفسير ، وفي السيرة أيضا ، والله الحمد والمنة .

وقد أورد الحافظ أبو نعيم طرفا منها ، عن أبي هريرة - رضي الله عنهم - قال : قال رسول الله ﷺ « بينما أنا نائم جيء بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت في يدي » . . . ومن حديث جابر مرفوعا « أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبلق جاءني به جبريل ، عليه قطيفة من سندس ومن حديث أبي ليابة مرفوعا « عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فاذا جعت تضرعت اليك ، وإذا شبعيت حمدتك وشكرتك »

قال أبو نعيم : فان قيل سليمان - عليه السلام - كان يفهم كلام الطير والنملة كما قال تعالى :

« حتى اذا أتوا على واد من النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون (١٨) فتبسم ضاحكا من قولها (١٩) »

النمل : ١٨ ، ١٩

قيل : قد أعطى محمد ﷺ مثل ذلك وأكثر منه ، فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم ، وحنين الجذع ، ورغاء البعير ، وكلام الشجر وتسبيح الخصى والحجر ، ودعائه آياه استجابة لأمره وما فى معناه . . . كل ذلك تقدم فى الفصول فيما يغشى عن أعادته .

قلت : وكذلك أخبره ذراع بما فيه من السم ، وكان ذلك بإقرار من وضعه فيه من اليهود وقال ﷺ « انى لأعرف حجرا كان يسلم على بمكة قبل أن أبعث أنى لأعرفه الآن » ، لأنه جماد بالنسبة الى الطير والنمل ، لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح وان كان سلا ما نطقيا ، وهو الأظهر ، فهو أعجب من هذا الوجه أيضا ، كما قال على : رجعت مع رسول الله ﷺ فى بعض شعاب مكة ، فما مر بحجر ولا شجر ولا مدر الا قال - السلام عليك يا رسول الله - فهذا النطق سمعه رسول الله ﷺ وعلى - رضى الله عنه .

ما أوتى عيسى ابن مريم - عليه السلام -
وما أوتى محمد صلى الله عليه وسلم :

لماذا سمي المسيح ؟

قيل : لمسحه الأرض . . . وقيل : لمسح قدمه . . . وقيل :
لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدهان . . .

وقيل : لمسح جبريل له بالبركة . . . وقيل لمسح الله الذنوب عنه وقيل : لأنه كان لا يمسخ أحدا الا برا . . . حكاهما كلها الحافظ أبو نعيم - رحمه الله - .

أهم خصائصه - عليه السلام - :

ومن خصائصه ، أنه - عليه السلام - مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر ، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى ، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وانما خلقه الله تعالى من مزاج ثم قال له كن فيكون . . . وكذلك يكون عيسى بالكلمة ، وينفخ جبريل في مريم ، فخلق منها عيسى .

ومن خصائصه أنه حي لم يمت ، وهو الآن يجسده في السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطا وعديلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية كما رواه الترمذي .

ومن خصائصه وأمه ، أن ابليس لعنه الله ، حين ولد ذهب يظعن فظعن في الحجاب كما في الحديث الصحيح .

معجزات عيسى عليه السلام - :

قال شيخنا العلامة ابن الزمكاني رحمه الله : وأما معجزات عيسى - عليه السلام - فمنها احياء الموتى ، وللنبي ﷺ من ذلك كثير ، واهياء الجماد أبلغ من احياء الميت . . . وقد كلم النبي ﷺ الذراع المسمومة ، وهذا الاحياء أبلغ من احياء الانسان الميت من وجوه .

- أحدهما : أنه احياء جزء من الحيوان دون بقية الأجزاء . وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن الثاني . . . انه

أحياء وحدة منفصلة عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت
البقية .

— انه أعاد عليه الحياة مع الادراك والعقل ، ولم يكن
هذا الحيوان ، الذى هو جزؤه مما يعقل فى حياته ولا مما
يتكلم : وفى هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التى أحيها الله
لابراهيم عليه السلام .

قلت : وفى حلول الحياة والادراك والعقل فى الحجر
الذى كان يخاطب النبى ﷺ بالسلام عليه كما روى فى صحيح
مسلم من المعجزات ، هو أبلغ من أحياء الحيوان فى الجملة . .
لأنه كان محلاً للحياة فى وقت ، بخلاف هذا حيث لا حياة له
بالكلية قبل ذلك . . وكذلك تسليم الحجر والمدر عليه
وكذلك الأشجار والأغصان ، وشهادتها بالرسالة . . وحنين
الجذع . . قد جمع الحافظ ابن أبى الدنيا كتاباً فيمن عاش
بعد الموت وذكر منها كثيراً .

وقد ثبت عن أنس — رضى الله عنه — أنه قال : دخلنا
على رجل من الأنصار — وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى
قبض — فبسطنا عليه ثوبه وسجيناه ، وله أم عجوز كبيرة عند
رأسه ، فالتفت اليها بعضنا وقال : يا هذه احتسبى مصيبتك
عند الله .

فقلت : وما ذاك ؟ أمات ابنى ؟ قلت : نعم . قالت :
أحق ما تقولون ؟ قلنا نعم فمدت يدها الى الله تعالى ، فقالت :
اللهم انك تعلم أنى أسلمت وهاجرت الى رسولك رجاء أن
يعيننى عند كل شدة ورخاء ، فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم .

قال : فكشفت الرجل عن وجهه وقعد ، وما يبرحنا حتى
أكلت معه .

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي سبرة النخعي قال :
أقبل رجل من اليمن ، فلما كان في بعض الطريق نفق
حماره ، فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم اني
جئت من المدينة مجاهدا في سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا
أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور ، لا تجعل لأحد
على اليوم منه ، أطلب اليك اليوم أن تبعث حمارى ، فقام
الحمار ينفض أذنيه .

قال البيهقي اسناده صحيح ، ومثل هذا يكون كرامة
لصاحب الشريعة .

قال الشعبي : فأنا رأيت الحمار يبيع أو يباع في
الكناسة — يعنى بالكوفة — وفي رواية لابن أبي الدنيا أن
ذلك كان في زمن عمر بن الخطاب ، وقد قال بعض قومه ،
في ذلك :

ومنا الذي أخيا الاله حماره
وقد مات منه كل عضو مفصل

وأما قصة زيد بن خارجه وكلامه بعد الموت وشهادته
للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر ، وعثمان بالصدق — فمشهورة
مروية من وجوه كثيرة صحيحة :

قال البخاري في التاريخ الكبير : أن زيد بن خارجه
الخزرجي الأنصاري ، شهد بدرا وتوفي في زمن عثمان ،
وهذا الذي تكلم بعد الموت .

وروى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائله
وصحيحه عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجه الأنصاري ،
من بني الحارث بن الخزرج ، توفي زمن عثمان بن عفان
فسجى بثوبه ، ثم انهم سيمعوا جليجة في صدره ، ثم تكلم
فقال : أحمده في الكتاب الأول ، صديق صدق ، أبو بكر

الضعيف في نفسه ، القوي في أمر الله - في الكتاب الأول
صدق - صدق ، عمر بن الخطاب القوي في الكتاب الأول ،
صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم - مضت أربع
وبقيت ثنتان ، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف ، وقامت
الساعة ، وسيأتيكم عن جيشكم خير .

قال سعيد بن المسيب ، ثم هلك رجل من بني حطمة ،
فبسجى بثوبه ، فسمع جلجلة في صدره ، ثم تكلم فقال : ان
أخا بني حارث بن الخزرج صدق صدق .

ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي أيضا من وجه آخر
بأنسب من هذا وأطول ، وصححه البيهقي .

قال : قد روى في الفلكي بعد الموت عن جماعة بأسانيد
صحيحة والله أعلم .

قلت : ذكرت في قطعة سخة جابر يوم الخندق وأكل
الآلف منها - ومن قتيل شعير ، وقد أورد المافظ بن المنذر -
المعروف بيشكر ، في كتابه « الفرائب والمجائب » سنده أن
رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت
فتركها في منزله والله أعلم .

قال شيخنا : ومن معجزات عيسى الابرء من الجنون ،
وقد أبرأ النبي ﷺ يعني من ذلك - هذا آخر ما وجدته
فيما حكيناه عنه . فأما ابرء عيسى من الجنون فما أعرف
فيه نقلا خاصا ، وإنما كان يبرئ الأكمة والأبرص ،
والظاهر : ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة .

وأما ابرء النبي ﷺ من الجنون ، فقد روى الامام أحمد
والبيهقي من غير وجه عن علي بن مرة أن امرأة أتت بابن لها
صغير به لم ما رأيت لما أشد منه ، فقالت يا رسول الله ابني
هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ في
اليوم ما أدرى كم مرة فقال رسول الله ﷺ « ناوليني » .

فرفعته اليه فجعلته بينه وبين واسطة الرجل ، ثم فغر فاه
ونفث فيه ثلاثا ، وقال « باسم الله أنا عبد الله - احسأ عدو
عبد الله » - ثم تناولها آية ، فذكرت أنه يرى من ساعته
وما رابهم شيء بعد ذلك .

وروى أحمد عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها
إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله - إن ابني هذا به جنون
وأنه يأخذه عند غداثنا وعشاثنا فيفسد علينا . قال :
فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فخرج فشع ثعة منه مثل
الجرو الأسود فشفي .

وروى الشيعتان من حديث عطاء بن أبي رباح قال : قال
إلى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى .
قال : هذه المرأة السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت :
إني أصرع واني أتكشف فادع الله لي .

قال : (أن شئت صبرت ولك الجنة - وإن شئت دعوت
الله أن يعافيك) .

قالت : أصبر : فقالت اني أتكشف فادع الله ألا أتكشف :
قال : فدعا لها .

وأما ابراء عيسى الأكمه . وهو الذي يولد أعمى ، وقيل
هو الذي لا يبصر في النهار ويبصر في الليل ، وقيل غير
ذلك ، الأبرص الذي به بهق فقد رد رسول الله ﷺ يوم
أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعدما سألت على خده ،
فأخذها في كفه الكريمة وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها
وبصرها وكانت أحسن عينيه - رضي الله عنه - كما ذكر محمد
ابن اسحاق بن يسار في السيرة وغيره . وقد دخل بغض ولده ،
وهو قاصم بن عمرو بن قتادة ، على عمر بن عبد العزيز
فسأل عنه فأنشأ يقول :-

أنا ابن الذي سألت على الخذ عينه
فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فَعَادَت كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا
فِيَا حَسَنَ مَا غَيْنَ وَيَا حَسَنَ مَا خُذَ
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

(تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لِبْنِ
شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدَ أَبَوَالَا)
ثُمَّ أَجَازَهُ فَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ :

وَقَدْ رَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ أَنَّ عَيْنِيَّهَ أَصْهَبَتْهُمَا مَعًا حَتَّى سَأَلَتْهُ
عَلَى خَدْيِهِ • فَرَدَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَانِهِمَا • وَالْمَشْهُورُ
الْأَوَّلُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ الْأَعْمَى الَّذِي رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ
بِبَرَكَةِ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ •

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ ضَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرَبَهَا
أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ • ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَعْافِيَنِي •
فَقَالَ : « إِنْ شِئْتَ أَخَرْتُ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَخْرَتِكَ ، وَإِنْ
شِئْتَ دَعَوْتُ » •

قَالَ : بَلْ ادْعُ اللَّهَ لِي •
فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَنْ يَدْعُو
بِهَذَا الدَّعَاءِ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ،
إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِهِ فِي حَاجَتِي هَذِهِ • فَتَقْضَى « وَفِي رِوَايَةٍ
« فَشَفَعَهُ فِي » فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبِرًّا •

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْبِرُ بِهِ
إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطَمِيِّ وَقَدْ رَوَاهُ وَلَا طَالَ الْحَدِيثُ
مِنَّا حَتَّى دَخَلَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرْقُ قَطْ •

● وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نفث في عيني
على - رضي الله عنه - يوم خيبر وهو أرمد - فبرأ من ساعته •
ثم لم يرمد بعدها أبدا •

ومسح ﷺ رجل جابر بن عتيك - وقد انكسرت رجله
ليلة قتل أبا رافع تاجر أهل العجواز الخيبري • فبرأ من
ساعته أيضا •

وروى البيهقي أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب
وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته ومسح رجل سلمة
ابن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعته ودعا
لسعد بن أبي وقاص أن يشفي من مرضه ذلك فشفي •

وروى البيهقي أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه ﷺ
أن يدعو له ربه ، فدعا له فشفي من مرضه ذلك •

وكم له من مثلها وعلى مسلكها من إبراء آلام وإزالة
أسقام مما يطول شرحه وسط كرامات الأولياء في ذلك •

وقد وقع في كرامات الأولياء إبراء الأعمى بعد الدعاء
عليه بالأعمى أيضا ، كما رواه الحافظ ابن عساكر عن أبي
مسلم • أن أمرا حنثت عليه امرأته ، فدعا عليها ، فذهب
بصرها فأتته فقالت : يا أبا مسلم • انى كنت فعلت وفعلت ،
وأنى لا أعود لمثلها •

فقال : اللهم ان كانت صادقة فاردد عليها بصرها
فأبصرت •

ورواه ابن أبي الدنيا عن عثمان بن عطاء قال : كان
أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله فاذا بلغ وسط الدار كبر
وكبرت امرأته : فاذا دخل البيت كبر وكبرت امرأته فيدخل
فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام فيأكل • فجاء ذات ليلة

فكبر فلم تجبه ثم جاء الى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه .
واذا البيت ليس فيه سراج . واذا هي جالسة بيدها عود
تنكت فى الأرض به . فقال لها : مالك ؟

فقالت : الناس بخير ، وأنت لو آتيت معاوية فامر لنا
بخدم ويعطيك شيئا فيثاب به .

فقال : اللهم من أفسد على أهل فأعم بصره . قال :
وكانت أتتها امرأة فغالت لامرأة أبى مسلم : لو كلمت زوجك
ليكلم معاوية فيخدمكم ويعطيكم ؟

قال : بينما هذه المرأة فى منزلها والسراج مزهر . اذا
أنكرت بصرها . . فقالت سراجكم طفىء ؟

قالوا : لا : فقالت : ان الله أذهب بصرى .

فأقبلت كما هى الى أبى مسلم فلم تنزل تناشده وتتلف
اليه . فدعا الله فرد بصرها ورمقت امرأته على حالها التى
كانت عليها .

بين مائدة عيسى وموائد محمد - عليهما الصلاة والسلام
وأما قصة المائدة التى قال الله - تعالى :

قَالُوا زَيْدٌ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتُطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونَ
عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝ قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝

المائدة ١١٣ - ١١٥

فقد ذكرنا ذلك فى التفسير والمقصود أن المائدة سواء
كانت قد نزلت أم لم تنزل فهى آية واضحة امتن الله بها على
عيسى - عليه السلام - وقد كانت موائد رسول الله ﷺ تمد

من السماء • وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه ، وكم قد أشبع من طعام ألوفاً ومئات وعشرات ﷺ ما تعاقبت الأوقات وما دامت الأرض والسموات •

مقارنة بين ما أخبر به عيسى وما أخبر به محمد - عليهما الصلاة والسلام •

وأما قوله - تعالى عن عيسى - عليه السلام - انه قال لبني اسرائيل :

وَرَسُولًا إِلَىٰ ابْنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

آل عمران (٤٩)

فهذا شيء يسير على الأنبياء • بل وعلى كثير من الأولياء وقد قال يوسف الصديق لزميليه الفتية المجوسيين :

قَالَ لَا يَأْتِيَكُمُ طَعَامٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَّا
نَبَأًا نَّكَاحًا وَيَلَهُ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ذَٰلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي
رَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

يوسف الآية (٣٧)

وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ما وقع، وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء ، كما أخبر عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التي كانت بطون قريش قديماً كتبته على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يسلموا اليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك الصحيفة وعلقوها في سقف الكعبة ، فأرسل الله الأرضة فأكلتها الا موضع اسم الله تعالى :

وفى رواية : فأكلت اسم الله منها تنزيها لها أن تكون مع
الذى فيها من الظلم والعدوان ، فأخبر رسول الله ﷺ عمه
أبا طالب وهم بالشعب - فخرج اليهم أبو طالب وقال لهم عما
أخبره به ، فقالوا : ان كان كما قال والا فسلموه الينا .
فقالوا : نعم . فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر عنها
رسول الله ﷺ سواء بسواء ، فأقلعت بطون قريش عما كانوا
عليه لبنى هاشم وبني المطلب وهدى الله بذلك خلقا كثيرا .
وكم له مثلها .

وفى يوم بدر طلب من العباس عمه فداء ، ادعى أنه
لا مال له ، فقال له : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل
تحت اسكفه الباب وقلت لها : ان قتلت فهو للصبية ؟

فقال : والله يا رسول الله ان هذا شيء لم يطلع عليه غيرى
وغير أم الفضل الا الله عز وجل .

وأخبر ﷺ بموت النجاشي يوم مات وهو بالحبشة ،
وصلى عليه وأخبر عن قتل الأمراء يوم موته واحدا بعد
واحد وهو على المنبر عيناه تذرفان .

وأخبر عن الكتاب الذى أرسل به طالب بن أبى ملتعة مع
ولادة لبنى عبدالمطلب وأرسل فى طلبها عليا والزبير والمقداد ،
فوجدوها جعلته فى عقاصها .

وقال لأمرى كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى
ليستعملين أمر رسول الله ﷺ « ان ربي قد قتل الليلة ربكما »
فأرخا تلك الليلة . فاذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله .
فأسلما وأسلم نائب اليمن . وكان سبب ملك اليمن لرسول
الله ﷺ وأما أخباره ﷺ عن الغيوب المستقبله فكثيرة جدا
وقد تقدم الكلام عنها .

وذكر ابن حامد فى مقابلة جهاد عيسى - عليه السلام -
جهاد رسول الله ﷺ وفى مقابلة زهد عيسى - عليه السلام -

زهادة رسول الله ﷺ عن كنوز الأرض حين عرضت عليه
فأبأها وقال « أجوع يوما وأشبع يوما » .

وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضى عليهن الشهر
والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح ، وانما هو
والاسودان : التمر والماء . وربما ربط على بطنه الحجر من
الجوع ، وما شبعوا من خبز بر ثلاث ليالى تباعا .

وكان فراشه ﷺ من آدم وحشوه من ليف، وربما اعتقل
الشاة فيحلبها ، ورقع ثوبه ، وخصف نعله بيده الكريمة .
صلوات الله وسلامه عليه .

ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى على طعام اشتراه
لأهله - هذا وكم أثر بآلاف مؤلفة - وبالابل والشاة والغنائم
والهدايا ، على نفسه وأهله . للفقراء والمحاويج والأرامل
والأيتام والأسرى والمساكين .

بشارة الملائكة لمريم بعيسى وبشارتها لآمنة بمحمد :

وذكر أبو نعيم فى مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة
به فى منامها • وما قيل لها - انك قد حملت سيد هذه الأمة
بوضع عيسى ، ما بشرت به آمنة أم رسول الله ﷺ حين حملت
فسميه محمدا • وقد أورد الحافظ أبو نعيم حديثا غريبا
مطولا بالمولد •

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف
ابن منصور بن عمر الأنصارى الصرصرى الماهر الحافظ
للأحاديث واللغة • ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ فذلك
يشبهه فى عصره بحسان بن ثابت - رضى الله عنه - وفى
ديوانه المكتوب عنه فى مديح الرسول الله ﷺ وقد كان ضرير
البصر ، بصير البصيرة ، وكانت وفاته ببغداد فى سنة ست
 وخمسين وستمئة ، قتله التتار فى قلبه ببغداد ، قال فى
قصيدته من حرف الحاء المهمة من ديوانه :

محمد المبعوث للناس رحمة
ليشيد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبحت صم الجبال مجيبة
لداود أو لان الحديد المصفح
فان الصخور الصم لانت بكفه
وان الحصا فى كفه يسبح
وان كانت الريح الرخاء مطيعة
فمن كفه قد أصبح الماء يطفح
وان كان الريح الرخاء مطيعة
سليمان لا تألو تروح وتسرح

فان العسا كانت لنصر نبينا
يرعب على شهر به الخصم يكلح
وان أوتي الملك العظيم وسخرت
له الجن تشقى مارضىه وتلدح
فان مفاتيح الكنوز بأسرها
أتته فرد الزاهد المترجح
وان كان ابراهيم أعطى خلة
وموسى بتكليم على الطور يمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلم
وخصم بالرويا وبالحق أشرح
وخصم بالحوض العظيم وبالكوا
ويشفع للعاصين والنار تلمح
وبالمعنى الأعلى المقرب عنده
عطاء يبشراه أغر وافرح
وبالرتبة العليا الأسيلة دونها
مراتب آرباب المواهب تلمح
وفى جنة الفردوس أول داخل
له سائر الأبواب بالخير تفتح

الآيات القرآنية
الواردة في هذا الكتاب

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن
رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾

الأحزاب : ٤٠ ، ٤١

نَبِّئْ يَا أَبَى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي
جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

المسد : ١ : ٥

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنفُسًا ظَالِمًا مِّنكُمْ فِي ضَالٍّ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾

الأنبياء : ٥٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
ءَابَاءَكُمْ وَءِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن
يَتَوَلَّهُمْ فَوَؤُلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾

التوبة : ٢٣

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سبا : ٢٨

فَلَا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنْ سَعْلِهِمْ فَلَا ظَرَئَ لَنَا مِنْهُمْ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ مَا لَبِثُوا
فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ⑮

سبأ : ١٤

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ④ فجعلهم كعصفٍ ما كُولِبَ ⑤

الفيل : ١ - ٥

وَلَنْ يَرَوْا كَلَّاءَ آيَةٍ إِلَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا
جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
⑤ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَلَنْ يُهْلِكَ مَنْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ⑥

الأنعام : ٢٥ : ٢٦

إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ① لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَيُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ②

الفتح : ٨ ، ٩

وَأَنذِرْ لَهُم مَّا أَنزَلَ
 اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنزَلَ عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ عِابًا وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
 شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

البقرة : ١٧٠

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥٠﴾
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٥١﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ
 مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٥٢﴾ وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ
 أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٥٣﴾

الاحزاب : ٤٥ - ٤٨

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
 مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

المائدة : ٦٧

وَأَنزِلْ مَا أُوحِيَ
 إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُسْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

الكهف : ٢٧

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَشْرَ السُّجُودِ
ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ
الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الفتح : ٢٩

• وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ

إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ
إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ
عِبَادِنَا وَلَئِنْ لَّمْ نَلْهَدْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

الشورى : ٥١ ، ٥٢

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿٢﴾

الأحزاب : ١ ، ٢

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ④

النجم : ٤

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ③ وَشِيبَاكَ فَطَهِّرْ ④
وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ ⑤ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَكُنَّ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦

المدثر : ١ - ٧

إِنَّا
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَمَرْيَمَ وَاسْلِمْنَ وَأَنَا آتِيَا دَاوُدَ زَبُورًا ③ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ
عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ④
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ⑤

النساء : ١٦٣ - ١٦٥

وَمَا كُنْتَ
تَرْجُوا أَنْ يُلَاقِيَكَ إِلَهُكَ الْكَاتِبُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنْ ظَاهِرِينَ
الْكَافِرِينَ ⑧

القصص : ٨٦

وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَتَّبِعِي حَتَّىٰ تَنفِرَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ①

الحجرات : ٩

وَلَوْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَلْنِي إِسْرَءِيلُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ①

الصف : ٦

طه ① مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ② إِلَّا ذِكْرًا لِّمَنْ يَخْشَى ③
تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ④ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
أَسْتَوَى ⑤ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَاتُحْتَ
الْأُتْرَى ⑥ وَلَنْ تَجْمَعَهُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

طه : ١ - ٧

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ①

البقرة : ١٩٣

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ ۝ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝

العلاق : ١ - ٢

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا

القضاء : ٨٤

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَيْدٌ وَصَدٌّ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالنُّشُوزُ عَنِ الْحَرَامِ وَلِخُرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ
وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمُ عَن
دِينِكُمْ إِنِ اسْتَمْتَعُوا وَمَنْ يَرُدَّ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَبَّحْتَ وَهُوَ كَاوٍ
فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

البقرة : ٢١٧

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾

النساء : ٦٩

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٢٢٨﴾

البقرة : ٢٢٨

إِنْ شَاءَ نَكَحْهُمْ أَلِفَاتٍ ﴿٢٢٩﴾

الكوثر : ٣

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ

مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

النساء : ٧

وَلَا يَأْتِيَنَّكُمُ الْقُرْآنُ أَلْفًا وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٩﴾
وَالْمُجْرِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾

النور : ٢٢

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٣٠﴾ وَإِن
كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾

الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩

وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

النساء : ١٩

إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَثَرَابًا ﴿٣٧﴾

الواقعة : ٣٥ - ٣٧

قُلْ لِّمَنِ جَحَّمَ عَلَى النَّاسِ وَالْجِنِّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ إِنْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٣٨﴾

الاسراء : ٨٨ مكية

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ
مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾

الطور : ٣٣ ، ٣٤

وَلِنْ كُنْتُمْ
فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنَّا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾

البقرة : ٢٣ ، ٢٤ مدنية

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ
مُفْتَرِيٍّ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

هود : ١٣ ، ١٤

وَمَا كَانَ
هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

يونس : ٣٧ - ٣٩

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

الفرقان : ٦

وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

الفرقان : ٥

لَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ
لِلْمُتَّعِينَ ﴿٤٩﴾

هود : ٤٩

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ
أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٥٠﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
فَأِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٥١﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٥٢﴾

طه : ٩٩ - ١٠١

وَمَا كُنْتَ
تَسْأَلُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كَيْفٍ وَلَا تَخْطُءُ بِسْمِئِكَ إِذَا لَا رَأْيَ إِلَّا الْبَاطِلُونَ ﴿٥٣﴾
بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الظَّالِمُونَ ﴿٥٤﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ
عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ يُنَالُ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ يَنِّي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٧﴾

العنكبوت : ٤٨ - ٥٢

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ
لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

الأنفال : ٣١

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ

المائدة : ٤٨

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

الحاقة : ٤٤ - ٤٧

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِشْرٍ هَذَا أَوْ بَدَّلَ لَهُ قُلُوبُ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أَبَدَّ لَهُ مِنْ نَفْسَيْ أَن تُبْعِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْنَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يُّومٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا نَلَّوْهُمُ عَلَيْهِكُمْ
وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾
مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْحَجَرُ مُونَ ﴿١٧﴾

يونس : ١٥ - ١٧

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَقَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ
شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ
الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
الْحُمُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

الأنعام : ٩٣

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً
قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ
بَلَغَ أَهْلُكُمْ لَتَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَةَ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ
وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٩٤﴾

الأنعام : ٩٤

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٩٥﴾

القصص : ٩٥

ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ
أَقْلَمَهُمْ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مُرِيهٌ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾

آل عمران : ٩٦

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
 قَالَتِ أَرْغَبُهُمْ فَلَا نَكَ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَالْكَافِرُونَ
 أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هود : ١٧

وَنَلَّكَ الْأَمْثَلُ نَصْرُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

المنكوت : ٤٣

وَلَقَدْ
 صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
 إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

الاسراء : ٨٩

ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ
 نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١١٢﴾
 وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
 لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يوسف : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١

وَقَالُوا لَا يَنْبَغُ لِلرَّبِّهِمْ أَنْ يُولَدَ لَهُمْ بَنُونَ
الْصُّحُفِ الْأُولَى ١١٣

: طه : ١٣٣

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ كُفْرٌ ثُمَّ يَسْأَلُكُمُ اللَّهُ فِي شِقَاقِ بَيْدٍ ٥٢
سُئِلُوهُمْ أَيُّ ثَمَرٍ أَخْرَجُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ
أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ٥٣

فصلت : ٥٢ ، ٥٣

عَلِمَ
أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا نَزَّلَ
مِنْهُ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ
أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٤

المزمل : ٢٠

سَيَهْنَأُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ
الدُّبُرُ ٥٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ٥٦

القمر : ٤٥ ، ٤٦

وَمِمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا (١١٥)

الأنعام : ١١٥

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنَّا عَرَّبْنَا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

الزمر : ٢٧ ، ٢٩

قُولُوا آمَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ
أَتَمَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ
الَسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

الفتح : ٢٨

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ۝
 فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ أَفَأَصْبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَاهُ
 الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝

التكوير : ٢٢ - ٢٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَعَالَى
 مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
 لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
 رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَشَعَهَا لَهَا
 مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
 أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
 وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

خاتمة البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
 رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝

الأعراف : ١٥٨

الرَّكِيبُ أَحْكَمُ عَيْنُهُمْ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①

هود : ١

كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَارٌ ②

لِلشَّوَى ③ لَدَعُوا مِنْ آدَبِ رَبِّهِمْ ④ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ⑤

المعارج : ١٥ - ١٨

قَلَّمَ نَفْسَهُ لَهُمْ وَلَئِنْ كُنَّ

اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِبَئِي الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⑥

الأنفال : ١٧

وَاللَّهُ لَكَ نَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑦ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ ⑧ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ⑨ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

هَلْ أَنْتُمْ مَكْرُومٌ عَلَى مَنْ نَزَّلُ

الشَّيْطَانُ ⑩ نَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ⑪ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ
كَذِبُونَ ⑫

الشعراء : ٢٢١ - ٢٢٣

سَاهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ④۰ أَدْلَهُمْ شُرَكَاءُ

فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ④۱ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ
وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ④۲ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ
ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَامُونَ ④۳

القلم : ٤٠ - ٤٣

أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ② وَكَذَّبُوا وَابْتَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ مُسْتَنْقِرَةٌ ③
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ
الَّذُرُ ⑤

القمر : ١ - ٥

قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ①

الزمر : ٦٤

وَاللَّجَجِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④

النجم : ١ - ٤

مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ① ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ② ثُمَّ أَمَانَهُ وَأَقْبَرَهُ ③

التكوير : ١٩ - ٢١

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسِيَٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ
إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

الاسراء : ١٠١

إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
الْحَنَاجِرَ وَنُظُّوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠٢﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٠٣﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُفِفُونَ وَاللَّيِّنُ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠٤﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠٥﴾

الاحزاب : ١٠ - ١٣

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ
الْأَدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْقَتْلِ وَإِذَا لَمْ تَمُوتُوا لَأَلْأَلَيْلًا ﴿١٠٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ
مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمُ مِّنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٠٨﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِاخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا فُلْيَا ﴿١٠٩﴾ أَشَٰعَةً عَلَيْكُمْ

فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ
 عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْنِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا كُفْرًا بِالسِّتَةِ حَادِدًا شَحَنَةً
 عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرًا ١٥ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ
 يَوَدُّوْنَ أَلَّا يَأْتِيَهُمْ بَادُورٌ فِي الْأَحْزَابِ يَسْعَاوْنَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَهُمْ لَوْ كَانُوا
 فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ١٦ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ١٧ وَلَمَّا
 رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ١٨ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
 مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
 تَبْدِيلًا ١٩ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ
 شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٢٠ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِخَيْبِهِمْ لَمَّا بَلَغُوا الْأَخْيَارَ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ
 قَوِيًّا عَزِيمًا ٢١

الاحزاب : ١٥ - ٢٥

أَفَعَيِّرُ اللَّهَ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ
 مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ
 فَلَا مَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْتَرِينَ ١١٤

الأنعام : ١١٤

الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ وَكُتُبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

الاعراف : ١٥٧

إِنَّا أَنْزَلْنَا

التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٥٨﴾

المائدة : ٤٤

إِنَّ الَّذِينَ

يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُدَّةِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ ۚ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

البقرة : ١٤٦

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

النور : ٥٥

وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَامِعُكُمْ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

آل عمران : ٢٠

لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَجْعَلَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

يس : ٧٠

هَذَا بَلَاءُ النَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

ابراهيم : ٥٢

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ
قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَآخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكُمْ لَمُصْرِي^{٨١} قَالُوا أَتَرْزَأُ قَالَ
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ^{٨٢} فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ^{٨٢}

آل عمران : ٨١ ، ٨٢

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^٩

الصف : ٩

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَيْنَأْ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَانْبَعَوْا
أَهْوَاءَهُمْ^{١٦}

محمد : ١٦

وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
فَجَعَلَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^{٢٠} وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ
اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا^{٢١}

الفتح : ٢٠ ، ٢١

وَإِذَا

يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاكِ الشُّكُوكَ
تَكُونُ لَكُمْ

وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾

الأنفال : ٧

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ
اللَّهُءِ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

الفتح : ٢٧

سَيَعْلَمُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ
فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ

التوبة : ٩٥

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ
إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

الأنفال : ٧٠

وَأِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

التوبة : ٢٨

قَالَ لَقَدْ
عَلِمْتُ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِبِ رُءُوفٍ
لَاطِفٍ يَفْرَعُونَ مُبْهُرًا ﴿١٠٢﴾

الاسراء : ١٠٢

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
فَانصُرْ ﴿١٠١﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١٠٢﴾ وَجِئْنَا بِالْأَرْضِ غُيُوتًا
فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أُنْثَرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٠٣﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ ﴿١٠٤﴾
تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ

القمر : ١٠ - ١٥

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَجُنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا نَأْتِينَا بِالْمَلَكِ كَذِبٌ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُزِّلَ الْمَلَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا
مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

الحجر : ٦ - ٨

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

الأنبياء : ١٠٧

ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا

الاسراء : ٣

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

التوبة : ١٢٨

وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ

الأنعام : ٢١

قَالَ يَقُولُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

الأعراف : ٦٧

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْنَا النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

النصر : ١ - ٣

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْتُ بِهِ رَبِّي أَلَمْ نُؤْمِنْ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا

فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿٣١﴾

الطور : ٣٠ ، ٣١

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ
 قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَآهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ
 مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

الحاقة : ٤١ - ٤٣

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٤﴾

الفتح : ٤

لَتَجْعَلُنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا ۖ فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾

يس : ٨

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

النجم : ٩

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

التوبة : ١١٤

وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونِ مِنَ
 الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

الأنعام : ٧٥

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

الأحزاب : ٩

وَنَزَّلْنَا
الْقُرْآنَ أَنْ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

الاسراء : ٨٢

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْهُ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَجَبَابًا مِّنْهُنَّ ﴿٤٥﴾

الاسراء : ٤٥

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا
نُورَنَا وَاعْبُدْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

التحريم : ٨

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

الشعراء : ٨٢

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

الأحزاب : ٣٣

أَوَلَيْسَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

يس : ٨١

وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالَّذِي يَخْتَارُ
مِمَّا يَسُوغُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ أَشَدُّ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

الدوم : ٢٧

وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوًى فِي
تَسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

النمل : ١٢

أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌّ ﴿٢﴾

القمر ١ ، ٢

* وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَأَشْرَبُوا مِنْ
رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

البقرة : ٦٠

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا
الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

النساء : ١

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٩﴾

يس : ٩

* وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا إِيَّاكَ
أَوَّيَّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعًا وَقَدَّرَ
فِي السَّيِّدِ وَأَعْمَلُوا صُلْحًا إِنِّي بِمَاعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

سبا : ١٠ ، ١١

وَأَضْمَمْنَا يَدَ الْإِسْجَانِ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٣﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٤﴾

طه : ٢٢ ، ٢٣

وَقَالُوا هُمَا تَائِيَتَا بِهِ مِنْ
 آيَةِ السَّحَرَةِ نَابِهًا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
 وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّحْمَ أَيْتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
 وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
 وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٨﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ
 بِلَاغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٩﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٠﴾

الأعراف : ١٣٢ ، ١٣٦

وَمَا رِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا
 هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا
 يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّاحِي لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَ إِبْنَائِهِ يُهْدُونَ ﴿٤٩﴾

الزخرف : ٤٨ ، ٤٩

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَمَةٍ مِمَّا دَعَوْنَا إِلَى فِيءِ إِذْ نُنَا
 وَفُؤْمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاْعْمَلْ إِنَّا نَحْنُ عَمِلُونَ ﴿٥٠﴾

فصلت : ٥

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾

الدخان : ١٠

الْم ① اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ②

آل عمران : ١ ، ٢

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ③

الاسراء : ٨١

وَلَا يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا
الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ④ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ⑤

القلم : ٥١ ، ٥٢

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑥

البقرة : ٢٥٨

وَلَسِيكُمُ الرِّيحُ عَاصِفَةً

تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُلَّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ⑦

الأنبياء : ٨١

ثُمَّ قَسَتْ

قُلُوبُهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ
لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ⑧

البقرة : ٧٤

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٠﴾

ص : ٣٩ ، ٤٠

* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا

يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

الاسراء : ٥٠ ، ٥١

أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَنَّةٍ

تَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُلِكَ

بُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

القصص : ٣٢

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَنَكُونَ

عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا

مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ

مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

المائدة : ١١٣ - ١١٥

قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ طَعَامٌ مِنْ رَبِّيهِ إِلَّا
 نَسِيًا نَحْمًا يَتَأْوِيلُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إني
 تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

يوسف . ٣٧

وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْدَ مَمَلِكِهِ الْمَنَاسِقَ
 وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْدَ مَمَلِكِهِ الْمَنَاسِقَ
 مَنْ يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا إِنَّهُ مِنْ
 عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثَّلُوا بِحَفَنِ
 كَافٍ وَفَدُّوا رَأْسَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورِ ﴿١٣﴾

سبا : ١٢ ، ١٣

وَرَسُولًا إِلَىٰ تَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ
 مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ
 الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ
 وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

آل عمران : ٤٩

الخاتمة

تمضى السنين والأجيال والقرون
وينطوى الملوك والعظماء والاعلام
فى كل عصر ومكان . . .
وتبقى يا محمد درة فى جبين تاريخ البشرية رحمة
مهداة من السماء .
نورا يتجدد . . تستضيء به العقول والأحلام
تتبدد به الظلمات وتنقشع به الغشاوات .
وليس ذلك الا لان نورك من نور الله مقتبس خرجت من
الجزيرة العربية فى بيته او ثان واستعلاء قبلى وصراع وحتى
بين أبنائها .
فهديت بالقرآن نفسا ما كان يروعها غير الموت .
عقولا ما كانت تقر غير العنفوان والقهر .
وتظل يا رسول الله الى البشر فى كل زمان ومكان وحى
والهام لا ينقطعان بل يزدادان ريا ومددا .
فأنت الذى جعلت المعجزة تابعة للايمان بعبد أن كان
الايمان تابعا للمعجزة .
فأنت فريد وحيد لأننا من خلال هذا البحث نوقن أن
مقدمات شخصيتك العظيمة لو توفرت فى أى شخص آخر فلم
تأت بمثل هذه النتائج التى استعرضناها فى بحثنا هذا
الا بعناية الله وأمره فهو الله سبحانه وتعالى أراد لحبيبه محمد

ما أراد فكان محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما كان وبكل ما سبق وعرضناه وهذا دليل الدلائل على ان محمدا هو الحق ودعوته هي الحق ويلغى أن الجاهلية مقدمة للاسلام وان الفساد سبب للاصلاح ويثبت أنه لا قريش ولا جزيرة العرب ولا دولة القياصرة ولا ابهة الاكاسرة هي التي تسببت في بعث محمد ويثبت ايضا أن محمدا لم يات ليعلم العرب تسفيهه اثراث الموروث من الآباء او هز العروش التي قام عليها البطغاة وتالهوا دون حساب لاله *

ونرى ان هؤلاء جميعا كانوا بضلالهم مريضا شفى بنزول الوحي على سيدنا محمد وبتواجد رسالة محمد للبشر هؤلاء جميعا تم شفاؤهم بغير شعور بالمرض ولم يسعوا الى الشفاء ومن هذا يتضح ان محمدا عليه الصلاة والسلام قدم للبشرية جمعاء كنزا كبيرا وفكرا مستقبلي على مر العصور الى ان تقوم الساعة بمعجزة المعجزات التي ترحها وهي القرآن السحاي الجامع لكل الامور وكذلك السيرة النبوية وهنا لابد وان اتيت حقيقة لا جدال فيها وهي ان هذا الكتاب ليس انقصد منه سيرة نبوية جديدة تضاف الى السير العربية التي ذخرت بها المكتبات من قبل لكبار العلماء لأننى لم اقصّد وفائع السيرة لذكر السيرة ولست أنا الذى يتصدى لشرح الاسلام واحكامه أو الذى سيجادل خصومه فكل ذلك استوفاه اساتذة علماء كتبوا عنه فى مواطن شتى لأنهم هم القادرون عليه بما توصلوا اليه من علم ومقدرة خلال دراستهم المتخصصة المستفيضة فى هذا المجال *

وانما هذا البحث والكتاب قصدت منه اظهار من هو محمد من خلال الحب القابع فى قلبى المستكين لا يزعجه أى قوة فى هذه الدنيا ولا يفرق بينى وبينه صلوات الله وسلامه عليه حتى الموت والانتقال الى الآخرة وكذلك التقدير الواجب لشخص محمد والدين الذى يدين به العالم كله لمحمد صلى الله عليه وسلم والذى من خلاله توج محمد المكانة الأسمى بين

صفوة الاخيار والخالدين وقصدت من خلال هذا الكتاب أن يرى الناس على شتى معتقداتهم والمسلمون خاصة أن ميزان القيادة وميزان العمل وميزان العقيدة قد رجح بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وأردت من خلال ذلك الكتاب أن يرى العالم كله أنه لا قائد الا محمد ولا قيادة مهما كانت تعتبر مكتملة الا قيادة محمد الذي لا ينال من عظمتيه بغى الجهلاء كما لم ينل منه بغى الكفار وقت الرسالة ولا يمكن أن أنسى أبدا أساتذتي الذين مكنوني من خلال مراجعهم الفياضة ان يظهر بحشى في هذا الكتاب الذى باذن الله سيكون له مكانته التى تليق بصاحب الرسالة واحمد الله أن لهذه الدراسة أثرها فى نفسى حيث سعدت كل السعادة لما توصلت له فكانت لى بمثابة المعلم الذى أضاف لفكرى وعقلى وقلبى الكثير وحرك وجدانى فإدراك لم يتحرك الوجدان لمحمد فلمن يتحرك ؟ وكان تعرضى فى هذا الكتاب لشخص محمد واسرته ومن هم وميلاده وفصاحته وعسكريته وبصيرته فى القيادة ذكاؤه السياسى دروسه التى قدمها من خلال زواجه وأبوته وعبادته لله معجزاته وأخلاقه فله عظيم الأثر فى نفسى وتعلمت الكثير الذى كنت أجهله أريد من خلال هذا الكتاب أن يتعلم كل من أحب لعله يكون الطريق الى الهداية من خلال مادة سهلة سلسلة تفر الحقائق والبراهين على أن محمدا هو قائد الأمم .

أسأل الله أن يتقبل منى وان ألقى الله تعالى وهو راض عنى يوم لا ظل الا ظله طامعا فى شفاعه سيد الخلق أجمعين حبيبى وربيع قلبى محمد عليه الصلاة والسلام .

وأكون قد أوصلت معلومة يرضى عنها سيدى محمد عليه الصلاة والسلام طامعا فى لقائه فى الآخرة .
انك سميع مجيب يا الله .

د . اسماعيل حلمي

المراجع

- القرآن الكريم
- البداية والنهاية الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير
- صحيح البخارى
- معجزات النبي للحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير - دراسة وتحقيق محمد عبد العزيز الهلاوى *
- الفصول فى اختصار سيرة الرسول لابن كثير
- العبقريات الأخلاقية - عباس العقاد
- أحسن القصص - على فكرى
- ... سيرة ابن هشام
- كلمات للدكتور محمد هدارة

صدر للكاتب

- ١ - استيقظوا انها سموم العهد الجديد طبعتان
- ٢ - الصلاة لقاء مع الله دار المطبوعات الجديدة طبعتان
- ٣ - سبيلك الى السعادة المركز العربى للنشر طبعتان
- ٤ - الجنة والنار دار المطبوعات الجديدة طبعتان
- ٥ - المرأة فى المرأة الهيئة العامة للكتاب طبعتان
- ٦ - أفلا تعقلون مكتبة الايمان طبعة
- ٧ - صرخة مدمن وأنواع المخدرات مكتبة الجامعة أبو ظبى طبعة
- ٨ - طرائف مكتبة الجامعة أبو ظبى طبعة
- ٩ - أفاقون يروون التاريخ مكتبة المعارف الحديثة طبعتان
- ١٠ - الصيام لله الوطنية طبعة
- ١١ - المسلمات الأوائل مكتبة مدبولى طبعتان
- ١٢ - ريجان قبل البيت الأبيض وبعده الوطنية طبعة
- ١٣ - الأربعة الكبار الهيئة العامة للكتاب
- ١٤ - بوش والبيت الأبيض مكتبة المعارف الحديثة طبعة
- ١٥ - الديمقراطية فى الصحافة المصرية الهيئة العامة للكتاب
- ١٦ - العذراء تزور مصر الهيئة العامة للكتاب طبعة
- ١٧ - محمد قائد الأمم الهيئة العامة للكتاب طبعة
- ١٨ - ماذا تعرف عن ؟ «طرائف» الهيئة العامة للكتاب طبعة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهتمام	٥
مقدمة	٧
القسم الأول (مولده ونشأته)	١٣
نسبه الشريف	١٥
أسرة النبي	١٦
أطوار حياته صلى الله عليه وسلم	٤٨
١ - الطور الأول (من ولادته الى النبوة)	٥٠
(١) ميلاده	٥٠
(ب) تسميته (صلى الله عليه وسلم)	٥٤
(ج) علامات مولده	٥٦
(د) عبقرية الداعي	٦٤
(هـ) حادثة شق الصدر	٦٨
عبقرية محمد العسكرية	٩٠
عبقرية محمد السياسية والادارية	١١٥
١ - سياسة الخصوم والاتباع	١١٥
٢ - عبقرية محمد الادارية	١٢٢
— محمد البليغ والصديق	١٢٨
— محمد الرئيس ومعاملته لزوجاته	١٤١
— الأب (الأبوة الروحية والأبوة النوعية)	١٦٧
— العابد	١٧٧
القسم الثاني (معجزاته)	١٩٢
الدلائل المعنوية	١٩٣
دلائل النبوة الحسية	٢١٦
المعجزات الأرضية	٢٣٢

الصفحة

الموضوع

٢٣٤	انقياد الشجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقطته
٢٦٨	الأشجار والحيوانات وقصصها مع الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٨٥	قصة الذئب وشهادته للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة
٣١٢	القسم الثالث (دعوته مستجابة)
٣١٣	الدعوات
٣٢٧	المسائل التي سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب عنها
٣٦٨	الأخبار بالغيوب المستقبلية
٤٥٤	حبس الشمس ليوشع بن نون
٤٧٠	ما أوتى عيسى ابن مريم - عليه السلام - وما أوتى محمد صلى الله عليه وسلم
٤٧١	أهم خصائصه عليه السلام
٤٨٦	الآيات القرآنية الواردة في هذا الكتاب

أى استفسار

للكاتب

هيئة الكتاب - رملة بولاق

أو

تليفون : ٤٢١٢٢٢٢ / ٠٣

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/١١٧٨٩

ISBN — 977 — 01 — 5009 — 6

ففي هذا الكتاب ..

كانت الضرورة لوجود مبحث يظهر للعالم كله أنه لا فائدة في هذا الكون إلا إتباع سنة محمد ﷺ وقرآنه وأنه لا قيادة مهما كانت تعتبر مكتملة إلا بقيادة محمد ﷺ الذي لا ينال من عظمته بغى الجهلاء كما لم ينل منه بغى الكفار وقت الرسالة.

وأنه لا بد أن يكون هناك بحث له مكائنه التي تليق بصاحب الرسالة وأسرته ومن هم؟ وميلاده، وفصاحته، وعسكريته، وبصيرته في القيادة وذكاءه السياسي، دروسه التي قدمها من خلال زواجه وأبوته وعبادته لله، معجزاته وأخلاقه، وذلك من خلال مادة سهلة سلسلة تقرر الحقائق والبراهين على أن محمداً ﷺ قائد الأمم.

النور المتجدد الذي تستضيء به العقول وتبديد به الظلمات وتنقشع به الغشاوات الفريد الوحيد، الذي - مقدمات شخصيته العظيمة - لو توفرت في أى شخص آخر لا تأتى بمثل هذه النتائج التي استعرضناها في بحثنا هذا إلا بعناية الله وأمره.

قاله وحده أراد لحبيبه ما أراد فكان محمد ﷺ بكل ما كان دليل الدلائل على أنه هو الحق وما جاء به هو الحق فربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

تصميم الغلاف

أحمد جبر الغفار

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب